

١

صحيح التوثيق في ...



تأليف
مجدي فتحي السيد

دار الصحابة للتراث بطنطا
للنشر والتحقيق والتوزيع







صحيح التوثيق في سيرة وحياة الصديق رضي الله عنه

تأليف

مجدي فتحي السيد

دار الصحابة للتراث بطنطا
للنشر والتحقيق والتوزيع

كتاب قد حوى درراً بعين الحسن ملحوظة

لهذا قلت تنبيها

لدار الصحابة للتراث بطنطا

للنشر ـ والتحقيق ـ والتوزيع

الطبعة الأولى

١٤١٧ هـ ـ ١٩٩٦م

رقم الإيداع / ٩٦/١٠٠٣٦

I.S.B.N. / 977-272-262-3

المراسلات: دار الصحابة للتراث

طنطا ش المديرية ـ أمام محطة بنزين التعاون

ت: ٣٣١٥٨٧ ص.ب: ٤٧٧

[٢/ الصديق / صحابة]

بسم الله الرحمن الرحيم

الفصل الأول

اقرأ في الصفحات التالية:

١ ـ تقديم.

٢ ـ بين يدي الكتاب.

٣ ـ تعريف الصحابى وشروط الصحبة.

٤ ـ بيان عدالة الصحابة جميعاً.

٥ ـ واجبنا نحو الصحابة الكرام.

٦ ـ حكم من انتقص أحداً من الصحابة.

٧ ـ التفاضل بين الصحابة الكرام.

٨ ـ كيفية معرفة الصحابى.

٩ ـ منهج المؤلف.



بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

إن الحمد لله . . .

نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾(١).

﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها، وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءً، واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام، إن الله كان عليكم رقيبا﴾(٢).

﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً﴾(٣).

أما بعد . .

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدى هدى محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة فى النار.

---

(١) سورة آل عمران: ١٠٢.

(٢) سورة النساء: ١.

(٣) سورة الأحزاب: ٧٠ ـ ٧١.

بين يدى الكتاب

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على عباده الذين اصطفى.

وبعد...

فمن المعالم التربوية التى قررها الإسلام الحنيف أن وجود عنصر القدوة الحسنة من أهم المؤثرات فى عملية إعداد الفرد الصالح، وبناء الجيل المثالى، ووجود الأمة القوية الفتية؛ حيث قال تعالى: **﴿لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر﴾**[1] وعندما يتأمل المسلم المعاصر فى تاريخ الأمة الإسلامية العريق، يجد أن الصحابة الكرام، وعلى رأسهم الخلفاء الراشدون، والعشرة المُبشرون بالجنة، هم خير قدوة بعد النبى ﷺ.

فقد كان الصحب الأبرار يمثلون الشُعلة المتوهجة على الدوام التى تنير للأمة حياتها إلى أن يرث الله الأرض، وكانوا بأفعالهم وأقوالهم الكواكب النيرات التى يستضاء بها فى الظلمات.

فهم - رضى الله عنهم أجمعين - المُثل البناءة، وأسباب الرقى الحضارى، وبهم عز الإسلام، فقد جابوا البلاد سعياً لهداية العباد، وإعلان ألا عبودية إلا لله وحده.

ولله در القائل:

فما العز للإسلام إلا بظلهم ... وما المجد إلا ما بنوه وشيدوا

وهل بعد ذكرهم فى كتاب الله الخالد بالمدح والثناء يبقى أى موضع لمدح المداحين؟!

قال الله تعالى:

﴿والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً،

---

(١) سورة الأحزاب: ٢١.

ذلك الفوز العظيم﴾[1].

وقال جل شأنه: ﴿لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما فى قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريباً ومغانم كثيرة يأخذونها وكان الله عزيزاً حكيماً﴾[2] فقد اتصفوا بكل صفات الخير، من صدقٍ وإخلاصٍ، ويقينٍ ومحبة، وخضوع وخشوع، وتعبدٍ وذكرٍ، وإنفاقٍ فى سبيل الله وجهاد، ورحمة بالمؤمنين، وغلظة وشدة على الكافرين.

قال الله تعالى:

﴿محمدٌ رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم، تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً سيماهم فى وجوههم من أثرالسجود ذلك مثلهم فى التوراة، ومثلهم فى الإنجيل كزرعٍ أخرج شطئه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يُعجب الزراع ليغيظ بهم الكُفار، وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجراً عظيماً﴾[3].

ولا يستوى فى الأجر والفضل كُلُّ مَنْ جاء بعد السابقين الأولين، من المهاجرين والأنصار، كما قال العليُّ الغفار:

﴿لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعدُ وقاتلوا وكُلاً وعد الله الحسنى﴾[4].

ومهما قام المتأخرون من الأمة بالأعمال الصالحة لم يصلوا إلى درجة الأولين، وفى ذلك يروى الصحابى الجليل أبو سعيد الخدرى ـ رضى الله عنه ـ أنه سمع النبى ﷺ يقول: «والذى نفسى بيده لو أنفق أحدكم مثلَ أحُد ذهباً ما بلغ مُدَّ أحدهم، ولا نصيفه»[5] والنصيف بمعنى النصف، ومعنى الحديث الشريف: أنه لا ينال أحدٌ بإنفاق مثل جبل أحدٍ ذهباً من الفضل والأجر ما ينال أحدهم بإنفاق

(١) سورة التوبة: ١٠٠. (٢) سورة الفتح: ١٨ ـ ١٩.
(٣) سورة الفتح: ٢٨ ـ ٢٩. (٤) سورة الحديد: ١٠
(٥) حديثٌ صحيحٌ. أخرجه البخارى (٣٦٧٣)، ومسلم (٢٥٤٠)، وأبو داود (٤٦٥٨)، والترمذى (٣٨٦٠)، وأحمد (٣/ ١١).

مد طعامٍ أو نصيفه.

وسبب التفاوت فى ذلك هو ما يقارن أعمالهم فى مزيد الإخلاص، وصدق النية، وشدة احتياجهم إلى ما ينفقون.

قال العلامة أبو القاسم البغوى رحمه الله:

«جُهد المُقِل منهم، واليسير من النفقة مع ما كانوا فيه من شدة العيش، والضرِّ أفضل عند الله من الكثير الذى ينفقه مَنْ بعدهم»[1].

وهم خير الأمة الإسلامية فى الدنيا والآخرة ثواباً، وأجراً، وفضلاً.

أما فى الدنيا فيروى عمران بن الحصين رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال:

«خيركم قرنى» وفى لفظ آخر: **«خيرُ أمتى قرنى، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم» «ثم إن بعدكم قوماً يخونون ولا يؤتمنون، ويشهدون ولا يستشهدون، وينذرون ولا يوفون، ويظهر فيهم السِّمَنُ»**.

«تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته»[2].

ويطلق القرن على مدةٍ من الزمان، واختلفوا فى تحديدها، ولكن أشهرها أن كل مائة سنة تُسمى قرناً.

والمراد بقرن النبى ﷺ الصحابة، «ثم الذين يلونهم» أى: القرن الذى بعدهم وهم التابعون، «ثم الذين يلونهم» وهم أتباع التابعين.

فظهر بذلك فضل الصحابة الكرام على مَنْ عداهم من الأمة الإسلامية.

يقول الله تعالى:

﴿يوم لا يخزى الله النبى والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم، يقولون ربنا أتمم لنا نُورنا واغفر لنا إنك على كل شيءٍ قدير﴾[3].

---

(١) شرح السنة (١٤/ ٧٠).

(٢) حديثٌ صحيح. أخرجه البخارى (٣٦٥٠)، ومسلم (٢٥٣٥)، وأبو داود (٤٦٣٢)، والترمذى (٢٣٢٢)، وأحمد (٤/ ٤٢٦، ٤٤٠).

(٣) سورة التحريم الآية: ٨ .

ومن كل ما سبق نستطيع أن نستخلص ما يلى:

لا غنى لمسلمٍ إلى يوم القيامة عن التعرف على الصحب الكرام، والاهتداء بأفعالهم، والاقتداء بأقوالهم، والسير على دربهم.

وبقدر تلك الأهمية القصوى فى تتبع سير الصحابة الكرام، وعلى كثرة ما صُنِّف من تصانيف فى فضائلهم وذكر أخبارهم، فإن تلك المؤلفات جمعت الغث والسمين، والصحيح والضعيف، والمقبول والمردود، والمحفوظ والمنكر.

لذا كانت تلك السلسلة المباركة: «صحيح الأخبار فى سيرة الصحب الأطهار» التى لا أورد فيها إلا ما صح سنده إلى الصحابة، مع التوضيح واستلهام العظة والعبرة من تلك الأخبار.

وقد بدأت بهذا الكتاب «الصحيح من سيرة وحياة أبى بكر الصديق».

وقد بدأت بالصديق ـ رضى الله عنه ـ لأنه أفضل الأمة الإسلامية بعد نبيها ﷺ بلا خلاف.

تعريف الصحابى وشروط الصحبة

فى البدء أقول:

لا خلاف بين أهل اللغة أن الصحابى مشتقٌ من الصحبة، وهو يقع على من صحب أقل ما يطلق عليه اسم صحبة، فضلاً عمن طالت صحبته، وكثرت مجالسته.

فتلك الصحبة لا تُحد بزمنٍ، فيقال: صحبته سنة، وصحبته ساعة.

يقول اللغوى ابن منظورٍ ـ رحمه الله ـ:

صَحِبه يصْحَبه صُحبة بالضم، وصَحابة بالفتح، **وصاحبه**: عاشره، **والصاحب**: المعاشر، **واصطحب** الرجلان، **وتصاحبا**، **واصطحب** القوم: صحب بعضهم بعضاً[1].

هذا تعريف الصحابى والصحبة فى اللغة، وأما فى الاصطلاح عند المحدثين:

الصحابى: هو مَنْ لقى النبى ﷺ مؤمناً به، ولو ساعة، سواء روى عنه، أو لم يرو، فقد ورد ما يدل على إثبات الفضيلة لمن لم يحصل منه إلا مجرد اللقاء القليل، والرؤية ولو مرة.

ولا يشترط فى الرائى البلوغ، وذلك لوجود كثيرٍ من الصحابة الذين أدركوا عصر النبوة، ورووا ولم يبلغوا إلا بعد موته ﷺ[2].

ثم إن ذكر الرؤية فى التعريف من قبيل الغالب، وإلا فإن الضرير الذى حضر النبى ﷺ كابن أم مكتوم معدود فى الصحابة بالاتفاق، ولذا عبّر بعض أهل العلم باللقاء بدل الرؤية.

وفى هذا يقول أحمد بن حنبل رحمه الله:

«من صحبه سنة، أو شهراً، أو يوماً، أو ساعة، أو رآه فهو من أصحابه، وله

---

(١) لسان العرب (١/٥١٩ ـ ٥٢٠).

(٢) قواعد التحديث (ص/٢٠٠) للقاسمى.

من الصحبة على قدر ما صحبه، وسمع منه، ونظر إليه»[1].

وقال على بن المدينى رحمه الله:

«من صحب النبى ﷺ، أو رآه ولو ساعة من نهار، فهو من أصحاب النبى ﷺ».

وقال محمد بن إسماعيل البخارى رحمه الله:

«من صحب النبى ﷺ، أو رآه من المسلمين، فهو من أصحابه»[2].

والعبارة المشهورة فى تعريف الصحابى:

«من رأى النبى ﷺ مؤمناً، ومات على ذلك».

قال العلامة السفارينى رحمه الله:

والأرشق فى التعريف:

أن يقال: الصحابى من اجتمع بالنبى ﷺ مؤمناً، ومات على الإيمان[3].

ولمزيد من التفصيل فى هذا الباب يمكن الرجوع إلى المراجع والمصادر التالية:

١ ـ «الكفاية» للخطيب البغدادى (ص/ ٤٩).

٢ ـ «مقدمة ابن الصلاح» فى علوم الحديث (ص/ ٢٩٥)

٣ ـ «فتح المغيث» للسخاوى (٣/ ٧٨ ـ ٨٧).

٤ ـ «تدريب الراوى» للسيوطى (٢/ ٢٠٦).

٥ ـ «لوائح الأنوار» للسفارينى (٢/ ٨٩).

٦ ـ «قواعد التحديث» للقاسمى (ص/ ٢٠٠).

---

(١) **إسناده صحيح**. أخرجه الخطيب (ص/ ٥١) فى الكفاية.

(٢) **إسناده صحيح**. أخرجه الخطيب (ص/ ٥١).

(٣) لوائح الأنوار (٢/ ٨٩).

بيان عدالة الصحابة جميعاً

الصحابة رضى الله عنهم أجمعين كلهم عدول، حتى مَنْ لابسَ الفتن، بإجماع أهل الحق، أهل السنة والجماعة، خلافاً لأهل البدعة والضلالة.

فيقبل رواية الجميع من الصحب الكرام، ولا يسأل عن عدالة واحدٍ منهم، فإذا قال الراوي عن رجلٍ من الصحابة ولم يسمه، كان ذلك حجة، ولا يضر الجهالة باسمه، لثبوت عدالتهم على العموم جميعاً.

يقول العلامة الخطيب البغدادى رحمه الله:

كل حديثٍ اتصل إسناده بين مَنْ رواه، وبين النبى ﷺ لم يلزم العمل به إلا بعد ثبوت عدالة رجاله، ويجب النظر فى أحوالهم سوى الصحابى الذى رفعه إلى رسول الله ﷺ، لأن عدالة الصحابة ثابتة معلومة بتعديل الله لهم، وإخباره عن طهارتهم، واختياره لهم فى نص القرآن.

فمن ذلك قوله تعالى: ﴿**كنتم خير أمة أخرجت للناس**﴾[1].

وقوله: ﴿**وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس، ويكون الرسول عليكم شهيداً**﴾[2].

وهذا اللفظ وإن كان عاماً، فالمراد به الخاص، وقيل هو واردٌ فى الصحابة دون غيرهم.

ووصف رسول الله ﷺ الصحابة مثل ذلك، وأطنب فى تعظيمهم، وأحسن الثناء عليهم.

ثم ذكر الأحاديث النبوية التى وردت فى ذلك المعنى، ثم انتهى إلى ما يلى:

ذهبت طائفة من أهل البدع إلى أن حال الصحابة كانت مرضية إلى وقت الحروب التى ظهرت بينهم، وسفك بعضهم دماء بعضٍ، فصار أهل تلك الحروب

---

(١) سورة آل عمران: ١١٠.

(٢) سورة البقرة: ١٤٣.

ساقطى العدالة، ولما اختلطوا بأهل النزاهة وجب البحث عن أمور الرواة منهم، وليس فى أهل الدين والمتحققين بالعلم من يصرف إليهم خبر ما لا يحتمل نوعاً من التأويل، وضرباً من الاجتهاد، فهم بمثابة المخالفين من الفقهاء المجتهدين فى تأويل الأحكام لإشكال الأمر والتباسه، ويجب أن يكونوا على الأصل الذى قدمناه من حال العدالة والرضا.

فقد برأهم الله تعالى، ورفع أقدارهم عنده، على أنه لو لم يرد من الله عز وجل، ورسوله ﷺ فيهم شىءٌ مما ذكرناه، لأوجبت الحال التى كانوا عليها من الهجرة، والجهاد والنصرة، وبذل المهج[1] والأموال، وقتل الآباء والأولاد، والمناصحة فى الدين، وقوة الإيمان واليقين، القطع على عدالتهم، والاعتقاد لنزاهتهم، وأنهم أفضل من جميع المعدلين والمزكين، الذين يجيئون من بعدهم أبد الآبدين.

هذا مذهب كافة العلماء ومن يُعتد بقوله من الفقهاء[2].

وقال أبو عُمر ابن عبد البر رحمه الله:

ثبتت عدالتهم جميعهم بثناء الله ـ عز وجل ـ عليهم، وثناء رسوله ﷺ، ولا أعدل ممن ارتضاه الله لصحبة نبيه ونصرته، ولا تزكية أفضل من ذلك، ولا تعديل أكمل منه.

وإنما وضع الله ـ عز وجل ـ أصحاب رسوله الموضع الذى وضعهم فيه بثنائه عليهم من العدالة، والدين والإمامة، لتقوم الحجة على جميع أهل الملة بما أدَّوْه عن نبيهم من فريضة، وسُنة، فصلَّى الله عليه وسلم، ورضى عنهم أجمعين، فنعم العون كانوا له فى الدين فى تبليغهم عنه إلى مَنْ بعدهم من المسلمين.

وقد كُفينا البحث عن أحوالهم لإجماع أهل الحق من المسلمين، وهم أهل السنة والجماعة، على أنهم كلهم عدول، فواجبٌ الوقوف على أسمائهم، والبحث عن سيرهم وأحوالهم، ليهتدى بهديهم[3].

---

(١) المهج: الأرواح.

(٢) الكفاية فى علم الرواية (ص/ ٤٩).

(٣) الاستيعاب فى معرفة الأصحاب (١/ ١، ١٥٠، ١٩).

واجبنا نحو الصحابة الكرام

من أصول أهل السنة والجماعة: حبُّ الصحابة جميعاً، والترضى عنهم، والسكوت عما شجر بينهم، وسلامة القلوب من الحقد عليهم أو البغض لهم، أو الاحتقار، وسلامة الألسنة من الطعن فيهم، أو السب لأحدهم، أو الوقيعة فيهم.

وفى هذا يقول الله تعالى:

﴿والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان، ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم﴾(1).

فلقد كانوا أبر هذه الأمة قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلها تكلفاً، وأقومها هدياً، وأحسنها حالاً، فلنعرف لهم فضلهم، ولنتبع آثارهم، فهم أصحاب الصراط المستقيم.

قال قبيصة بن عقبة رحمه الله:

«حب أصحاب النبى ﷺ كلهم سُنة»(2)

وتتعجب عائشة ـ رضى الله عنها ـ من هؤلاء الضالين، الذين يسبون الصحب الكرام، فتقول لعروة بن الزبير رحمه الله:

يا ابن أختى، أُمروا أن يستغفروا لأصحاب النبى ﷺ فسبوهم(3)!!

وقال العلامة السفارينى رحمه الله.

يجب ذكر محاسنهم، والترضى عنهم، والمحبة لهم، وترك التحامل على أحدٍ منهم، واعتقاد العذر لهم، وإنما فعلوا ما فعلوا باجتهادٍ سائغٍ لا يوجب كفراً، ولا فسقاً.

---

(1) سورة الحشر: ١٠.

(2) **إسناده صحيح**. أخرجه التيمى فى الحجة (٢/٣٦٨).

(3) **إسناده صحيح**. أخرجه مسلم (٣٠٢٢)، والتيمى (٣٦٥) فى الحجة.

بل ربما يثابون عليه لأنه اجتهاد سائغ.

وكان الإمام أحمد بن حنبل - رحمه الله - ينكر على من خاض، ويسلم أحاديث الفضائل، وقد تبرأ ممن ضللهم أو كفرهم وقال: السكوت عما جرى بينهم أولى وأحرى[1].

وقال أبو جعفر الطحاوى رحمه الله:

«نحب أصحاب رسول الله ﷺ، ولا نفرط فى حب أحد منهم، ولا نتبرأ من أحدٍ منهم، ونبغض من يبغضهم، وبغير الخير يذكرهم، ولا نذكرهم إلا بخيرٍ»[2].

---

(١) لوائح الأنوار (٢/٩٩).

(٢) العقيدة الطحاوية (ص/٥٢٨).

حكم من انتقص أحداً من الصحابة

الصحابة رضى الله عنهم أجمعين هم شهودنا، الذين بلغوا إلينا القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة، لذا فالقدح فيهم جريمة كبرى، تُوجب اتهام مَنْ وقع فيها فى إسلامه.

قال الميمونى رحمه الله: سمعت أحمد بن حنبل ـ رحمه الله ـ يقول: ما لهم ولمعاوية؟

أسأل الله العافية.

وقال لى: يا أبا الحسن، إذا رأيت أحداً يذكر أصحاب رسول الله ﷺ بسوء فاتهمه على الإسلام[1].

وقال أبو زُرعة الرازى رحمه الله:

إذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ فاعلم أنه زنديقٌ، وذلك أن رسول الله ﷺ عندنا حقٌ، والقرآن حقٌ، وإنما أدى إلينا هذا القرآن والسنن أصحاب رسول الله ﷺ، وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة، فيكون الجرح بهم أولى، وهم زنادقة».

وفى لفظ آخر قال رحمه الله: «فمن جرحهم، إنما أراد إبطال الكتاب والسنة، فيكون الجرح به أليق، والحكم عليه بالزندقة والكذب، والعناد أقوم وأحق»[2].

ويظهر حكم من انتقص أحداً من الصحابة جلياً فيما روى عن الإمام مالك ابن أنس، فى قوله تعالى: ﴿**ليغيظ بهم الكفار**﴾[3].

قال مالك رحمه الله: من أصبح وفى قلبه غيظ على أصحاب رسول الله ﷺ فقد أصابته هذه الآية[4].

---

(١) **إسناده صحيح**. أخرجه التيمى (٢/ ٣٧١) فى «الحجة».

(٢) **إسناده جيد**. أخرجه الخطيب (ص/ ٤٩) فى «الكفاية».

(٣) سورة الفتح: ٢٩.

(٤) تفسير البغوى (٤/ ٢٠٧).

وقال القرطبى المفسر تعليقاً على ذلك: لقد أحسن مالك فى مقالته، وأصاب فى تأويله، فَمَنْ نقص واحداً منهم، أو طعن عليه فى روايته فقد ردّ على الله رب العالمين، وأبطل شرائع المسلمين.

فحذار من الوقوع فى أحد منهم، فَمَنْ نسب واحداً من الصحابة إلى كذبٍ فهو خارجٌ عن الشريعة، مبطل للقرآن، طاعن على رسول الله ﷺ.

ومتى أُلحق واحد منهم تكذيباً، فقد سُبّ، لأنه لا عار، ولا عيب بعد الكفر بالله أعظم من الكذب[1].

وقال أبو جعفر الطحاوى رحمه الله:

«حبهم دينٌ، وإيمانٌ، وإحسانٌ، وبغضهم كفرٌ، ونفاقٌ، وطغيانٌ»[2].

ويقول العلامة الذهبى رحمه الله:

من طعن فيهم، أو سبهم فقد خرج من الدين، ومرق من ملة المسلمين، لأن الطعن لا يكون إلا عن اعتقاد مساوئهم، وإضمار الحقد فيهم، وإنكار ما ذكره الله تعالى فى كتابه من ثنائه عليهم، وما لرسول الله ﷺ من ثنائه عليهم، وفضائلهم، ومناقبهم، وحبهم، ولأنهم أرضى الوسائط من المنقول، والطعن فى الوسائط طعن فى الأصل، والازدراء بالناقل ازدراء بالمنقول، وهذا ظاهرٌ لمن تدبره، وسلم من النفاق، ومن الزندقة، والإلحاد فى عقيدته.

ومن ذم أصحاب الرسول ﷺ بشيءٍ، أو تتبع عثراتهم، وذكر عيباً، وأضافه إليهم كان منافقاً[4].

تلك هى خلاصة كلام أئمة السلف الصالح فى حكم مَنْ ينتقص أحداً من الصحابة الكرام.

(١) تفسير القرطبى (١٦/ ١٩٥ ـ ١٩٦).
(٢) العقيدة الطحاوية (ص/٥٢٨).
(٣) الكبائر (ص/ ٢٨٣)

التفاضل بين الصحابة الكرام

مما لاشك فيه وقوع التفاضل بين أصحاب النبى ﷺ، فَمَنْ لازم النبى ﷺ وقاتل معه، أو قُتل ليس كَمَنْ لم يلازمه، ولم يقاتل أو يُقتل معه.

ومَنْ كلّمه كثيراً، وجالسه، ليس كمن رآه من بُعدٍ أو حدّثه قليلاً، وإن كان شرف صحبة الجميع للنبى ﷺ قد حصل لهم.

فأفضلهم باعتبار الأفراد: أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علىٍ رضى الله عنهم أجمعين.

وأما باعتبار الأصناف: فأفضلهم الخلفاء الأربعة، ثم الستة الباقين من العشرة المُبشرين بالجنة، وهم طلحة، والزبير، وسعد بن أبى وقاص، وعبد الرحمن بن عوف، وأبو عبيدة بن الجراح، وسعيد بن زيد رضى الله عنهم أجمعين.

وتلك هىٍ عقيدة أهل السنة والجماعة، وما كان عليه سلف الأمة قرناً بعد قرنٍ.

ثم يأتى أصحاب غزوة بدر، ثم أصحاب غزوة أحد، ثم أهل بيعة الرضوان، ثم أصحاب بيعة العقبة الأولى، وأصحاب بيعة العقبة الثانية من الأنصار، ثم أصحاب السبق إلى الإسلام، ثم مَنْ صلّى إلى القبلتين.

ولمزيد من الإيضاح والتفصيل حول تلك الطبقات يمكن الرجوع إلى المراجع التالية:

١ ـ «معرفة علوم الحديث» للحاكم (ص/ ٢٢ ـ ٢٤).

٢ ـ «التقييد والإيضاح» للعراقى (٢٦٤).

٣ ـ «فتح المغيث» للسخاوى (٣/ ١٠٣ ـ ١١٠).

٤ ـ «تدريب الراوى» للسيوطى (٢/ ٢٢٢ ـ ٢٢٦).

٥ ـ «لوامع الأنوار» للسفارينى (٣/ ٣٦٦).

٦ ـ «لوائح الأنوار» للسفارينى (٢/ ١٠٠).

[١٨/ الصديق / صحابة]

كيفية معرفة الصحابى

ذكر العلماء طرق التعرف على الصحابى على النحو التالى:

[١] مَنْ يُعرف كونه صحابياً بالتواتر:

ومثل ذلك العشرة الذين بُشروا بالجنة، وسبق ذكرهم.

[٢] مَنْ يُعرف كونه صحابياً بالاستفاضة:

وهى الشهرة القاصرة عن التواتر، وذلك كالصحابى ضمام بن ثعلبة، وعكاشة بن محصن رضى الله عنهما.

[٣] مَنْ تُعرف صحبته بقول صحابى آخر:

وذلك بأن يوجد صحابى تُعلم صحبته يُصرح أن فلاناً له صحبة، كقوله: كنت أنا وفلان عند النبى ﷺ، أو دخلنا على النبى ﷺ بشرط أن يُعرف إسلام المذكور فى تلك الحالة.

فهذا حممة بن أبى حممة الدوسى، رضى الله عنه، مات بأصبهان مبطوناً، فشهد له أبو موسى الأشعرى رضى الله عنه أنه سمع النبى ﷺ حكم له بالشهادة.

[٤] من تُعرف صحبته بقول آحاد ثقات التابعين:

وهو أن يُخبر أحد التابعين بأن فلاناً صحابى، كما قال حميد بن عبد الرحمن الحميرى: إن رجلاً كان يقال له «حممة» من أصحاب النبى ﷺ خرج غازياً إلى أصبهان فى خلافة عمر رضى الله عنه.

[٥] مَنْ وُصف بوصف يتضمن أنه صحابى:

وهذا مثل أمراء الفتوح، أو مَنْ كان عام حجة الوداع من أهل المدينة، ومكة، والطائف، وما بينهما من الأعراب، فإنهم أسلموا وشهدوا حجة الوداع ورأوا النبى ﷺ.

ولمزيد من الإيضاح والتفصيل يمكن الرجوع إلى المراجع التالية:

١ ـ «الكفاية» للخطيب البغدادى (ص/ ٥٠ ـ ٥٢).

٢ ـ «مقدمة ابن الصلاح» (ص/ ٢٩٩).

٣ ـ «فتح المغيث» للسخاوى (٣/ ٨٧ ـ ٨٨).

٤ ـ «تدريب الراوى» للسيوطى (٢/ ٢١٢ ـ ٢١٧).

منهج العمل فى الكتاب

من فضل الله عليَّ أن حبّب إليَّ مُنذ الصغر التعرف على أعمال السلف الصالح وأقوالهم، وكان يحزننى أن تلك الأقوال، وهذه الأفعال متفرقة فى بطون الكتب، لا يجمعها كتاب واحد، ثم إنها فيها الصحيح والضعيف، والغث والسمين، والمحفوظ والشاذ، والمعروف والمنكر.

فلما عهدت إليَّ **«دار الصحابة للتراث»** بإعداد الصحيح من **«سيرة الخلفاء الراشدين»** كمقدمة لعملٍ كبيرٍ يجمع الصحيح من الأخبار فى سيرة وحياة الصحب الأطهار.

نظرتُ فلاح لى أن خدمة حياة الصحب الأبرار بجوانبها العلمية، والتربوية المشرقة يُعد من أجل الخدمات التى ينبغى للباحث الفهم أن يتفانى فيها، وذلك لما يترتب عليها من إحياء نهج السلف الصالح.

ولحكمةٍ أرادها الله تعالى لم يحاول أحدٌ من الذين اهتموا بالتصنيف فى التراجم والسِّير أن يُفرد صحيح الأخبار بالتأليف.

لذا ومن خلال الخطوات التالية تم هذا العمل:

١ ـ تم جمع المادة العلمية الخاصة بكل صحابى من بطون المراجع على اختلاف مشاربها، عقائدية، أو فقهية، أو رقائقية، وسواء أكانت كتبا تاريخية أو أدبية، أو علمية حديثية، على شرط أن تكون تلك المادة العلمية مُسندة.

٢ ـ تم الحكم على الأسانيد، والبحث عن الطرق والشواهد لكل خبرٍ.

٣ ـ قمت بإثبات النص الصحيح، واستبعاد النصوص الضعيفة أو الموضوعة من حياة كل صحابى.

٤ ـ قمت بتصنيف المادة العلمية بحسب الموضوع، مع دمجها ببعضها فى موضع واحد.

٥ ـ ذكرتُ العظة والعبرة المأخوذة من هذا الموقف أو ذاك، حتى يحدث الربط

بين القارئ والصحابى المُترجم له.

٦ ـ ولما كان الوصول إلى المعلومة سريعاً، ومعرفة النص المراد هو بغية كل باحثٍ، وضالته المنشودة، قمت بإعداد الفهارس العلمية التى تخدم الكتاب، وتمثل للباحث المفاتيح العلمية التى يصل بها إلى ما يصبو إليه فى أسرع وقتٍ.

وبعد...

فهذا عمل بشرى، يتخلله ما يتخلل أعمال البشر من القصور، فلقد قدّر الله تعالى ألا يكون الكمال إلا لكتابه، ولكن ما لا يدرك كله لا يُترك كله، وحسب المرء إخلاص النية، وصواب العمل

أسأل الله العظيم، رب العرش العظيم، أن يجعل عملى هذا خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفعنى به يوم لا ينفع مالٌ، ولا بنون، إلا من أتى الله بقلبٍ سليمٍ.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

أبو مريم/ مجدى فتحى السيد إبراهيم

طنطا ـ مصر

الصحيح من سيرة وحياة أبى بكر الصديق

[٢٣/ الصديق / صحابة]



اقرأ فى الصفحات التالية

الفصل الثانى

[١] اسمه ونسبه.

[٢] مولده وأسرته.

[٣] صفة أبى بكر الصديق الخلقية.

[٤] نبذة عن حياته قبل الإسلام.

[٥] أولية إسلام أبى بكر الصديق.

الفصل الثالث

[٦] مناقب وفضائل الصديق

[١] الرفيق والخليل للنبى ﷺ.

[٢] الأمر بسد الأبواب إلا باب أبى بكر.



(١) اسمه ونسبه العريق

من أقدم الذين أثبتوا لنا نسب أبى بكر الصديق: العلامة ابن إسحاق، ومن بعده مصعب الزبيرى، وعن ابن إسحاق نقل كل من ذكر ذلك النسب العريق[١].

قال ابن إسحاق المتوفى سنة ١٥٢ هـ:

أسلم أبو بكر بن أبى قحافة، واسمه عتيق، واسم أبى قحافة: عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مُرَّة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر.

وتعقبه ابن هشام فقال: واسم أبى بكر عبد الله، وعتيق لقب لحسن وجهه وعتقه[٢].

وقال ابن الأثير: اختلف فى اسمه، فقيل: كان عبد الكعبة، فسماه رسول الله ﷺ عبد الله، وقيل: إن أهله سموه عبد الله، ويقال له: عتيق أيضاً.

قلت: رجح أصحاب السير والتراجم أن اسمه عبد الله، ولذلك ذكروه تحت ترجمة «عبد الله بن عثمان»، ويكفيك الرجوع إلى المراجع التالية لتقف على ذلك[٣].

ومما يبين لنا عراقة نسبه ـ رضى الله عنه ـ أنه يلتقى مع النبى ﷺ فى النسب من الجد السادس مُرّة بن كعب.... إلى آخره.

---

(١) نقل ذلك عن ابن إسحاق بالسند: الطبرى فى تاريخه (٢/ ٣١٦ ـ ٣١٧)، والبيهقى فى الدلائل (٢/ ١٦٥)، وأورده ابن كثير فى البداية والنهاية (٣/ ٢٩).

(٢) انظر: السيرة النبوية (١/ ٣٢١).

(٣) مسند الطيالسى (ص/ ٢) — المستدرك (٣/ ٦١) للحاكم.
الطبقات الكبرى (٣/ ١٦٩) لابن سعد. — جمهرة أنساب العرب (ص/ ١٣٧) لابن حزم
شرح السنة (١٤/ ٧٦) للبغوى. — أسد الغابة (٤/ ٣٠٩) لابن الأثير.
تاريخ الإسلام (٣/ ١٠٥) للذهبى — الإصابة (٤/ ١٠١ ـ ١٠٢) لابن حجر.
المعجم الكبير (١/ ٥١ ـ ٥٣) للطبرانى. — تاريخ الطبرى (٣/ ٤٢٤).

ويلتقى فى نسبه مع عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ فى الجد السابع، ومع عثمان بن عفان فى الجد السادس، ومع على بن أبى طالب ـ رضى الله عنه ـ فى الجد السادس، وهكذا سائر العشرة المبشرين بالجنة.

فهو قرشى عريقٌ، من قبيلة تَيْم، ويُنسب إليها فيقال التَّيْمىّ رضى الله عنه.

ومع عراقة نسبه، فهو من أعلم قريش بالأنساب.

وفى هذا تروى عائشة ـ رضى الله عنها ـ أن رسول الله ﷺ قال:

«إن أبا بكر أعلم قريش بأنسابها»[1].

ويقول ابن إسحاق رحمه الله:

كان أنسب قريش لقريش، وأعلم قريش بها، وبما فيها من خير وشر[2].

وقد لُقّب بالصِّدّيق لكثرة تصديقه للنبى ﷺ، وفى هذا تروى أم المؤمنين عائشة ـ رضى الله عنها ـ فتقول: لما أسرى بالنبى ﷺ إلى المسجد الأقصى، أصبح يتحدث الناس بذلك، فارتد ناسٌ، فمن كان آمنوا به وصدقوه سعوا بذلك إلى أبى بكر ـ رضى الله عنه ـ فقالوا: هل لك إلى صاحبك يزعم أنه أسرى به الليلة إلى بيت المقدس؟! قال: أو قال ذلك؟ قالوا: نعم. قال: لئن كان قال ذلك، لقد صدق.

قالوا: أو تصدقه أنه ذهب الليلة إلى بيت المقدس، وجاء قبل أن يصبح؟!!

قال: نعم، إنى لأصدقه فيما هو أبعد من ذلك، أصدقه بخبر السماء فى غدوة أو روحة، فلذلك سُمّى أبو بكر: الصديق[3].

---

(١) **حديثٌ صحيحٌ**. أخرجه مسلم (٢٤٩٠)، والطبرانى (٣٥٨٢) فى الكبير، والبيهقى (١٠/٢٣٨) فى سننه الكبرى، والسمعانى (١/ ٢٢) فى الأنساب.

(٢) انظر: السيرة النبوية (٢٤٩) لابن هشام، والإصابة (٤/١٠٢).

(٣) **حديثٌ صحيحٌ**. أخرجه الحاكم (٣/ ٦٢ ـ ٦٣) وصححه وأقره الذهبى، وعن طريقه أخرجه البيهقى (٢/ ٣٦١) فى الدلائل، وفى الباب عن أم هانئ، أخرجه الطبرانى (١٥) فى الكبير، ولا يصلح شاهداً، ففيه ابن أبى المساور من المتروكين، وأخرجه ابن إسحاق (٣٩٢) كما فى السيرة عن الحسن البصرى مرسلاً، وفى الباب شواهد فى السلسلة الصحيحة (٣٠٦).

وفى هذا المعنى يقول العلامة ابن عبد البر رحمه الله:

سُمّى الصديق لبداره إلى تصديق رسول الله ﷺ فى كل ما جاء به ﷺ.

وقيل: بل قيل له الصديق، لتصديقه له فى خبر الإسراء(١).

قلت: قد صَدّق أبو بكر بخبر الإسراء خاصة، وبكل ما جاء به النبى ﷺ عامة، لذا فقد استحق أن يُلقب بالصديق.

وفى هذا يقول أبو محجن الثقفى.

وسُمِّيتَ صِدِّيقًا وكُلُّ مُهَاجِرٍ ... سِوَاكَ يُسَمَّى باسمه غيرُ مُنْكرِ

سَبَقْتَ إلى الإسلامِ واللهُ شَاهدٌ ... وكُنتَ جَلِيساً فِى العريشِ المُشَهرِ(٢)

والآن نتعرف على تحديد مولده، وأسرته.

(٢) مولده وأسرته

متى ولد أبو بكر الصديق رضى الله عنه؟

لم يختلف العلماء فى أنه وُلد بعد عام الفيل، وإنما اختلفوا فى المدة التى كانت بعد عام الفيل.

فقال أبو معشر صاحب المغازى والتاريخ، وعنه نقل ابن سعد، والطبرى: كان أبو بكر وُلد بعد الفيل بثلاث سنين(٣).

وقال ابن البرقى الحافظ فى كتابه «معرفة الصحابة» وعنه نقل ابن حجر العسقلانى: ولد بعد الفيل بسنتين وستة أشهر(٤)، وقال بعضهم: بسنتين وأشهر، ولم يحددها(٥).

أما أبوه فهو: عثمان بن عامر بن عمرو، ويكنى أبا قُحافة، أسلم يوم فتح مكة، وأتى به أبو بكر النبىَّ ﷺ ليبايعه(٦).

(١) انظر: الاستيعاب (٣/ ٩٦٦). (٢) انظر: أسد الغابة (٣/ ٣١٠).
(٣) انظر: تاريخ الطبرى (٣/ ٤٢٠)، الطبقات الكبرى (٣/ ٢٠٢).
(٤) انظر: الإصابة (١٠٧٤). (٥) انظر: تاريخ الخلفاء (ص/ ٥٦).
(٦) انظر: مسند أحمد (٦/ ٣٤٩)، صحيح ابن حبان (٩/ ١٦٩)، مستدرك الحاكم (٣/ ٤٦)، والطبرانى (٢٤/ ٨٨) فى الكبير، والبيهقى (٥/ ٩٥) فى الدلائل.

وأما أمه فهى: سلمى بنت صخر بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم، قرشية، تيمية، وتُكنى أم الخير.

أسلمت قديماً مع ابنها، وكانت من المبايعات، وقيل: تُوفيت قبل أبى قُحافة[1].

أما أولاده: فكان له من الولد: **عبد الله، وأسماء ذات النطاقين**، وأمهما هى قُتيلة بنت عبد العزى بن عبد أسعد.

وعبد الرحمن، وعائشة، وأمهما هى أم رومان بنت عامر بن عويمر.

ومحمد، وأمه هى: أسماء بنت عميس.

وأم كلثوم، وأمها هى حبيبة بنت خارجة بن زيد[2].

فأما **عبد الله بن أبى بكر**، فقُتل يوم الطائف شهيداً، وهو الذى كان يأتى رسول الله ﷺ وأباه فى الغار بزادهما وأخبار مكة[3].

وأما **أسماء بنت أبى بكر**، فتزوجها الزبير بن العوام، فأنجبت له عبد الله، والمنذر، وعروة، ثم طلقها. فكانت مع ابنها عبد الله إلى أن قتل، وعاشت مائة سنة[4].

وأما **عبد الرحمن بن أبى بكر**، فأسلم قُبيل فتح مكة، وكان أكبر أولاد الصديق، وعُرف بالشجاعة والرماية، وتوفى سنة ٥٣ هـ، ودُفن بمكة، وله ذرية[5].

---

(١) انظر: طبقات ابن سعد (٣/ ١٦٩)، الاستيعاب (٤/ ١٩٣٤)، أسد الغابة (٧/ ٣٢٦)، الإصابة (٨/ ٢٢٨).

(٢) انظر: نسب قريش (ص/ ٢٧٥) للزبيرى، الطبقات الكبرى (٣/ ١٦٩)، تاريخ الطبرى (٣/ ٤٢٥)، صفة الصفوة (١/ ٢٣٨)، جمهرة أنساب العرب (ص/ ١٣٧) لابن حزم.

(٣) انظر ترجمته: تاريخ الطبرى (٣/ ٢٤١)، الاستيعاب (٣/ ٨٧٤)، أسد الغابة (٣/ ١٩٩).

(٤) انظر ترجمتها: طبقات ابن سعد (٨/ ٢٤٩)، المستدرك (٤/ ٦٤) للحاكم، الاستيعاب (٤/ ١٧٨١)، أسد الغابة (٧/ ٩)، سير أعلام النبلاء (٢/ ٢٨٧) للذهبى، التهذيب (١٢/ ٣٩٨) لابن حجر.

(٥) انظر ترجمته: المستدرك (٣/ ٤٧٣)، الاستيعاب (٢/ ٨٧٥)، أسد الغابة (٣/ ٤٦٦)، سير أعلام النبلاء (٢/ ٤٧١)، التهذيب (٦/ ١٤٦).

وأما **عائشة بنت أبى بكر**، أم المؤمنين، تزوجها النبى ﷺ، وعاشت ثلاثاً وستين سنة وأشهراً، وتُوفيت سنة ٥٧ هـ، ولا ذرية لها(١).

وأما **محمد بن أبى بكر**، قُتل بمصر وله ذرية(٢).

وأما **أم كلثوم** فتزوجها طلحة بن عبيد الله رضى الله عنه، وليس لها صحبة، لأنها ولدت بعد وفاة النبى ﷺ(٣).

وبعد معرفتنا بمولده وأسرته، نتعرف على صفاته الخلقية لنزداد معرفة لتلك الشخصية الفذة.

(٣) صفة أبى بكر الصديق الخلقية

كان ـ رضى الله عنه ـ يوصف بالبياض فى اللون، والنحافة فى البدن، وفى هذا يقول قيس بن أبى حازم رحمه الله:

دخلتُ مع أبى بكر، وكان رجلاً نحيفاً، خفيف اللحم أبيض.(٤)

وكان يخضب لحيته بالحناء، فكانت تبدو حمراء اللون، وتبين ذلك أم المؤمنين عائشة ـ رضى الله عنها ـ فتقول:

إن أبا بكر ـ رضى الله عنه ـ كان يخضب بالحناء والكتم(٥).

والكتم: نبتٌ فيه حمرةٌ، ينبت فى أصعب الصخر.

ومما استخلصه أصحاب السير من أفواه الرواة أن أبا بكر رضى الله عنه اتصف

---

(١) انظر ترجمتها: طبقات ابن سعد (٨/ ٥٨)، المستدرك (٤/ ٤)، حلية الأولياء (٢/ ٤٣) لأبى نعيم، والاستيعاب (٤/ ١٨٨١)، أسد الغابة (٧/ ١٨٨)، سير أعلام النبلاء (٢/ ١٣٥)، والتهذيب (١٢/ ٤٣٣).

(٢) انظر ترجمته: تاريخ الطبرى (٥/ ٩٤)، الاستيعاب (٣/ ١٣٦٧)، أسد الغابة (٥/ ١٠٢)، سير أعلام النبلاء (٣/ ٤٨١)، التهذيب (٩/ ٨٠).

(٣) انظر ترجمتها: أسد الغابة (٧/ ٣٨٣)، الإصابة (٨/ ٢٧٦)، التهذيب (١٢/ ٤٧٧).

(٤) **إسناده صحيح**. أخرجه ابن سعد (٣/ ١٨٨) فى طبقاته.

(٥) **إسناده صحيح**. أخرجه ابن سعد (٣/ ١٨٨)، ومن خبر أنس، أخرجه البخارى (٥٨٩٥)، ومسلم (٢٣٤١).

بأنه: كان أبيض يخالطه صُفرة، حسن القامة، نحيفاً خفيف العارضين، أجنأ[1]، لا يستمسك إزاره، يسترخى عن حقويه[2]، رقيقاً، معروق الوجه، [3]غائر العينين[4]، أقنى[5]، حمش الساقين[6]، محموص الفخذين[7].

وكان ناتئ الجبهة، عارى الأشاجع[8]، ويخضب لحيته، وشيبه بالحناء، والكتم[9].

وبعد معرفتنا بصفاته الخلقية، نتعرف على نبذة عن حياته قبل الإسلام.

(٤) نبذة عن حياته قبل الإسلام

قبل بعثة النبى ﷺ والناس لا زالوا فى جاهلية كان أبو بكر الصديق من أصحاب الفضل والقدر فى قريش.

وقد كان لمكانته بينهم أنه بمجرد إسلامه تبعه على الإسلام، وأسلم على يده طائفة من أجلاء الصحابة، منهم خمسة من العشرة المبشرين بالجنة.

وكان رجلاً وجيهاً، رئيساً من رؤساء قريش، مُحَبَّباً فيهم، مألفاً لهم، وإليه كانت الأشناق فى الجاهلية، **والأشناق**: الديات.

---

(١) الجنأ: ميلٌ فى الظهر.
(٢) حقويه: الحقو هو معقد الإزار، يعنى الخصر.
(٣) المعروق: هو قليل اللحم.
(٤) يقال: غارت عينه تغور غوراً، أى: دخلت فى الرأس.
(٥) يقال: أقنى واستقنى: إذا حفظ حياءه ولزمه.
(٦) الحماشة: الدقة، وحمش الساقين أى دقيق الخلقة فى ساقيه.
(٧) المحموص: هو الشديدُ الخلق فى الفخذين، مع قلة اللحم بهما.
(٨) الأشاجع: هى مفاصل الأصابع، واحدها: أشجع، أى: كان اللحم عليها قليلاً، وقيل: الأشاجع رءوس الأصابع التى تتصل بعصب ظاهر الكف.
(٩) انظر: طبقات ابن سعد (٣/ ١٨٨). المعجم الكبير (١/ ٥٦ ـ ٥٧) للطبرانى
الاستيعاب (٣/ ٩٧٣) تاريخ الطبرى (٣/ ٤٢٤).
صفة الصفوة (١/ ٢٣٦) لابن الجوزى. تاريخ الإسلام (٣/ ١٠٦) للذهبى.
تاريخ الخلفاء (ص/ ٥٨) للسيوطى.

كان إذا حمل شيئاً صدَّقته قريش، وأمضوا حمالته[1]، وحمالة من قام معه، وإن احتملها غيره خذلوه، ولم يصدقوه[2].

وكان رجلاً تاجراً ذا خُلقٍ ومعروف، وكان رجال قومه يأتونه، ويألفونه لغير واحدٍ من الأمر: لعلمه، وتجارته، وحسن مجالسته[3].

ولعلَّ مجمل فضائل أبى بكر الصديق تتضح لنا فى قول ابن الدغنة[4] التالى:

قال ابن الدغنة: أين تريد يا أبا بكر؟

فقال أبو بكر: أخرجنى قومى، وآذونى، وضيقوا علىَّ، فأريد أن أسيح فى الأرض وأعبد ربى.

قال ابن الدغنة: فإن مثلك يا أبا بكر لا يخرُجُ ولا يُخرج، فوالله إنك لتزين العشيرة، وتعين على النوائب، وتفعل المعروف، وتكسب المعدوم، وتَصِل الرحم، وتَحملُ الكَلّ، وتقرى الضيف، وتُعين على نوائب الحق.

فأنا لك جارٌ، ارجع وأنت فى جوارى، واعبد ربك ببلدك.

فرجع معه. حتى إذا دخل مكة، فقال: يا معشر قريش، إنى قد أجرت ابن أبى قحافة، فلا يعرضن له أحد إلا بخيرٍ.

وطاف ابن الدغنة عشيةً فى أشراف قُريشٍ، فقال: إن أبا بكر لا يخرج مثله، ولا يُخرج، أتخرجون رجلاً يكسب المعدوم، ويصل الرحم، ويحمل الكَلّ،

---

(١) **الحَمَالة**: الدية والغرامة التى يحملها قومٌ عن قومٍ، **وتحمَّل الحمالة** أى: حملها، والحميل: الكفيل، وهو أن تقع حرب بين فريقين، تُسفك فيها الدماء، فيدخل بينهم رجلٌ يتحمل ديات القتلى ليُصلح ذات البين. انظر: لسان العرب (١١/ ١٨٠).

(٢) انظر: الاستيعاب (٣/ ٩٦٦)، أسد الغابة (٤/ ٣١٠)، الإصابة (٤/ ١٠٤).

(٣) انظر: السيرة النبوية (٢٤٩)، تاريخ الطبرى (٢/ ٣١٧)، دلائل النبوة (٢/ ١٦٥) للبيهقى.

(٤) **ابن الدغنة**: بضم الدال والغين، وتشديد النون عند أهل اللغة، وعند الرواة: بفتح أوله وكسر ثانيه، وتخفيف النون، وقيل: إن ذلك كان لاسترخاء فى لسانه، والدغنة هى أمه، وقيل: أم أبيه، ومعنى **الدغنة**: المسترخية، واختلف فى اسمه، **انظر**: فتح البارى (٧/ ٢٣٣).

ويقرى الضيف ويعين على نوائب الحق؟!

فلم تكذِّب قريش بجوار ابن الدغنة[1].

فكان أبو بكر ـ رضى الله عنه ـ صاحب مروءة وإحسان قبل الإسلام، وبعده.

وكان صاحب شرفٍ فى الجاهلية، وفى الإسلام، وكان من أعف الناس فى الجاهلية، حتى إنه حرّم على نفسه الخمر قبل الإسلام.

فتقول عائشة رضى الله عنها:

«والله ما قال أبو بكر شعراً قط فى جاهلية، ولا إسلام، ولقد ترك هو وعثمان شرب الخمر فى الجاهلية»[2].

وعنها ـ رضى الله عنها ـ أنها قالت:

حرم أبو بكر الخمر على نفسه، فلم يشربها فى جاهلية، ولا فى إسلامٍ، وذلك أنه مَرَّ برجلٍ سكران يضع يده فى العذرة، ويدنيها من فيه، فإذا وجد ريحها صرف عنه.

فقال أبو بكر: إن هذا لا يدرى ما يصنع، وهو يجد ريحها فحماها[3]!!

وهكذا كان الصديق شريفاً، عفيفاً، صاحب مروءة قبل ظهور الإسلام.

فهل أسلم بمجرد ظهور الإسلام لما اتصف به من صفاتٍ ترشحه لذلك؟

وهل يُعد من أوائل السابقين إلى الإسلام؟

---

(١) **خبرٌ صحيحٌ**. أخرجه البخارى (٣٩٠٥)، وأحمد (٦/ ١٩٨، ٢١٢)، والبغوى (٣٧٦٣) فى شرح السنة، وأبو نعيم (ص/ ١١٢) فى الدلائل، و(١/ ٢٩) فى الحلية، والبيهقى (٢/ ٤٧١) فى الدلائل.

(٢) **إسناده صحيح**. قاله السيوطى فى تاريخ الخلفاء (ص/ ٥٧) وعزاه لابن عساكر فى تاريخه، وعزاه الهندى فى الكنز (٣٥٦٠٥) لابن أبى عاصم، وأورده الذهبى فى تاريخ الإسلام (٣/ ١١٤).

(٣) **إسناده جيد**. أخرجه أبو نعيم (٧/ ١٦٠) فى حلية الأولياء.

(٥) أولية إسلام أبى بكر الصديق

وردت نصوص كثيرة فى تحديد أول مَنْ نال شرف دخول الإسلام، وبعض تلك النصوص فى عداد الصحيح، وبعضها الآخر فى عداد الضعيف.

ولعلَّ أصح تلك النصوص التى جاءت فى هذا الباب ما رواه أبو أمامة ـ رضى الله عنه ـ عن عمرو بن عبسة فى قصة إسلامه الطويلة.

يقول عمرو بن عبسة: كنت وأنا فى الجاهلية، أظن أن الناس على ضلالة، وأنهم ليسوا على شىء، وهم يعبدون الأوثان، فسمعت برجلٍ بمكة يخبر أخباراً، فقعدتُ على راحلتى، فقدمت عليه، فإذا رسول الله ﷺ مستخفياً، جرءاء[1] عليه قومه، فتلطفت حتى دخلت عليه بمكة، فقلت له: ما أنت؟[2] قال: «**أنا نبى**» فقلت: وما نبى؟ قال: «**أرسلنى الله**» فقلت: وبأى شىء أرسلك؟ قال: «**أرسلنى بصلة الأرحام، وكسر الأوثان، وأن يوحد الله لا يشرك به شىءٌ**».

قلت له: فمن معك على هذا؟ قال: «**حرٌ وعبدٌ**» ومعه يومئذ أبو بكر، وبلالٌ ممن آمن به.

وفى لفظٍ آخر: ومن معك على هذا الأمر؟ قال: «**حر وعبد**» ومعه أبو بكر وبلال.

وفى لفظ آخر: فقلت: يا رسول الله، من أسلم معك؟ قال: «**حرٌ وعبدٌ**»[3] يعنى أبا بكر وبلالاً.

وفى لفظٍ آخر: «**معى رجلان، أبو بكر وبلال**».

---

(١) **جرءاء**: جمع جرىء من الجراءة وهى الإقدام والتسلط.

(٢) **ما أنت؟**: ولم يقل: من أنت؟ لأنه يريد أن يسأل عن صفته، وليس عن ذاته.

(٣) **حديثٌ صحيحٌ**. أخرجه مسلم (٨٣٢)، وأحمد (٦/ ١١٢، ١١٣)، وأبو داود (١٢٧٧)، وابن سعد (٤/ ١١٥)، (٧/ ٤٠٣) فى طبقاته، والبخارى فى تاريخه الكبير (٣/ ٢٨٥)، والحاكم (٣/ ٢٨٥)، (٣/ ٦١٧)، والطبرانى فى مسند الشاميين (١٤١٠)، وأبو نعيم (ص/ ١٩٨) فى دلائل النبوة، وابن عبد البر (٤/ ١٣) فى التمهيد، وابن الأثير (٤/ ٢٥١) فى أسد الغابة.

يقول عمرو بن عبسة: فأسلمتُ عند ذلك، فلقد رأيتنى ربع الإسلام.

ولذا اتفقت المراجع والمصادر على أن عمرو بن عبسة هو رابع الإسلام، حتى قال الذهبى فيه: مَنْ كان يُقال له: ربع الإسلام[1].

فهذا النص الذى بين أيدينا هو أصح ماورد فى تحديد أولية إسلام أبى بكر، وهو يبين لنا بجلاءٍ أن من أوائل الذين دخلوا الإسلام: أبا بكر، وبلالاً رضى الله عنهما.

ولكن ليس بين أيدينا ما يوضح لنا أيهما كان أسبق إلى الإسلام.

ويلاحظ أننا لم نتحدث عن إسلام خديجة رضى الله عنها إذ من المتفق عليه بين أهل العلم أنها أول مَنْ آمن بالنبى ﷺ، ولكن من النساء[2]، ونحن بدورنا نتحدث ههنا عن أوائل مَنْ أسلم من الرجال.

ولكن يبقى إشكال ههنا، فقد جاءت آثار عن بعض الصحابة، وهى صحيحة فى مجملها بأن على بن أبى طالب، هو أول من أسلم.

فهذا زيد بن أرقم رضى الله عنه يقول:

أول من أسلم مع رسول الله ﷺ علىٌّ بن أبى طالب، وأولُ رجل صلى مع رسول الله ﷺ على بن أبى طالب.

قال أبو حمزة مولى الأنصار: فذكرته لإبراهيم النخعى، فأنكره، وقال: أبو بكر أولُ من أسلم[3].

وكان ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ يقول:

أول من أسلم من الناس بعد خديجة علىٌّ، وأول مَنْ صلى علىٌّ[4].

---

(١) انظر: سير أعلام النبلاء (٢/ ٤٥٦)، أسد الغابة (٤/ ٢٥١)، الإصابة (٥/ ٦).

(٢) انظر: السيرة النبوية (١/ ٣٠٩) لابن هشام، السيرة النبوية (١/ ١٢٨) للذهبى، وسير أعلام النبلاء (٢/ ١٠٩) للذهبى أيضاً، تاريخ الطبرى (٢/ ٣٠٩).

(٣) **إسناده صحيحٌ**. أخرجه ابن سعد (٣/ ٢١) فى طبقاته، والطبرى (٢/ ٣١٠) فى تاريخه.

(٤) **إسناده حسنٌ**. أخرجه ابن سعد (٣/ ٢١)، والطبرى (٢/ ٣١٠) فيه أبو بلج، وهو صدوقٌ.

وأما إبراهيم النخعي ـ رحمه الله ـ فكان يقول: أول من صلّى: أبو بكر الصديق[1].

ويزداد الخلاف ظاهرياً بقول علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

أنا أول من صلى، وفي لفظٍ آخر: أسلم[2].

ولكن يمكن الجمع بأن علياً ـ رضي الله عنه ـ لمّا كان غلاماً صغيراً لم يذكره النبيﷺفي حديثه عن مَنْ أسلم معه، ويرشح ذلك قول الحسن بن زيد رحمه الله:

كان ابن تسع سنين، ويقال: دون التسع سنين، ولم يعبد الأوثان قط لصغره[3].

وأشار إلى ذلك الذهبي بقوله: ولم يذكر علياً لأنه كان صغيراً ابن عشر سنين[4].

ولذا يقول محمد بن عمر الواقدي صاحب المغازي:

أصحابنا مجمعون على أن أول أهل القبلة الذي استجاب لرسول الله ﷺ: خديجة بنت خويلد، ثم اختلف عندنا في ثلاثة نفرٍ أيهم أسلم أولاً، في أبي بكر، وعليّ، وزيد بن حارثة، وما نجد إسلام عليّ صحيحاً إلا وهو ابن إحدى عشرة سنة[5].

وعليه فقد استبعد الواقدي علي بن أبي طالب لصغره، ونحن نستبعد ما ورد في شأن زيد بن حارثة لعدم صحة أسانيده[6]، فهي مقاطيع[7]، ومعلقات[8].

---

(١) **إسناده صحيحٌ**. أخرجه ابن سعد (٣/ ١٧١).

(٢) **إسناده حسن**. أخرجه ابن سعد (٣/ ٢١) وفيه حبة العرني، وهو صدوقٌ.

(٣) انظر: الطبقات الكبرى (٣/ ٢١).

(٤) انظر: تاريخ الإسلام (١/ : ١٤).

(٥) انظر: الطبقات الكبرى (٢/ ٢١ ـ ٢٢) لابن سعد، تاريخ الطبري (٢/ ٣١٦).

(٦) انظر: السيرة النبوية (١/ ٣١٨)، تاريخ الطبري (٢/ ٣١٦-٣١٧)، الطبقات الكبرى (٣/ ٤٤).

(٧) **المقطوع**: جمعه المقاطع والمقاطيع، وهو الموقوف على التابعي قولاً له أو فعلاً.
مقدمة ابن الصلاح (ص/ ٦٦) الكفاية (ص/ ٥٩) للخطيب البغدادي.
فتح المغيث (١/ ١٢٣) للسخاوي. تدريب الراوي (١/ ١٩٤) للسيوطي.
الباعث الحثيث (ص/ ٣٨) لابن كثير.

(٨) **المعلق**: هو أن يحذف من أول الإسناد واحدٌ، أو أكثر، واستعمله بعض المحدثين فيما=

ومن أدلة أولية الصديق كما ذكر بعض أهل العلم قول عمار بن ياسر رضى الله عنه:

رأيت رسول الله ﷺ وما معه إلا خمسة أعبد، وامرأتان، وأبو بكر(١).

قال ابن حجر العسقلانى: أما الأعبد فهم: بلال، وزيد بن حارثة، وعامر بن فهيرة مولى أبى بكر، فإنه أسلم قديماً مع أبى بكر، وأبو فكيهة مولى صفوان بن أمية، وأما الخامس: فيحتمل أن يفسر بشقران، وأما المرأتان: فخديجة والأخرى أم أيمن.

وفى الحديث: أن أبا بكر أول من أسلم من الأحرار مطلقاً، ولكن مراد عمار بذلك ممن أظهر إسلامه، وإلا فقد كان حينئذ جماعة ممن أسلم لكنهم كانوا يخفونه من أقاربهم، وسيأتى قول سعد بن أبى وقاص، إنه كان ثلث الإسلام، وذلك بالنسبة إلى من اطلع على إسلامه ممن سبق إسلامه(٢).

وفيه دلالة على قدم إسلام أبى بكر إذ لم يذكر عمار أنه رأى مع النبى ﷺ من الرجال غيره، وقد اتفق الجمهور على أن أبا بكر أول من أسلم من الرجال(٣).

وعليه فخديجة ـ رضى الله عنها ـ أول من أسلم من النساء، وأبو بكر ـ رضى الله عنه ـ أول مَنْ أسلم من الرجال الأحرار، وبلال ـ رضى الله عنه ـ أول مَنْ أسلم من العبيد، وعلى بن أبى طالب ـ رضى الله عنه ـ أول مَنْ أسلم من الغلمان.

ومما قاله حسان بن ثابت ـ رضى الله عنه ـ فى هذا الشأن:

إذا تذكرت شجواً من أخى ثقة ... فاذكر أخاك أبا بكر بما فعلا

خير البرية أتقاها وأعدلها ... بعد النبى وأوفاها بما حملا

= حذف إسناده كله.

انظر:

مقدمة ابن الصلاح (ص/ ٩٠ ـ ٩١) تدريب الراوى (١/ ٢١٩)

فتح المغيث (١/ ٧٠).

(١) خبرٌ صحيحٌ. أخرجه البخارى (٣٦٦٠)، (٣٨٥٧).

(٢)، (٣) انظر: الفتح (٧/ ٢٤، ١٧٠).

الثانى التالى المحمود مشــهده[1] وأول الناس منهم صدَّق[2] الرسلا

والثانى اثنين فى الغار المنيف وقد طاف العدو به إذ صعدوا الجبــلا

وكان حِبّ رسول الله قد علمـوا من البرية لم يعدل به رجـــلا[3]

وقد رجح ذلك ابن عبد البر[4]، وقال ابن الأثير:

لما جاء الإسلام سبق إليه، وأسلم على يده جماعة لمحبتهم له، وميلهم إليه، وقد ذهب جماعةٌ من العلماء إلى أنه أول من أسلم، منهم ابن عباس، وقاله حسان بن ثابت فى شعره، وعمرو بن عبسة، وإبراهيم النخعى، وغيرهم[5].

وقال ابن الجوزى: قال حسان بن ثابت، وابن عباس، وأسماء بنت أبى بكر، وإبراهيم النخعى: أول من أسلم: أبو بكر.

وقال يوسف بن يعقوب الماجشون:

أدركت أبى، ومشيختنا: محمد بن المنكدر، وربيعة بن أبى عبد الرحمن، وصالح بن كيسان، وسعد بن إبراهيم، وعثمان بن محمد الأخنسى، وهم لا يشكون أن أول القوم إسلاماً: أبو بكر.

وهكذا ينجلى الأمر عن أولية أبى بكر وسبقه للإسلام، فرضى الله عنه وأرضاه، وأسكنه فسيح جناته.

ونتوقف مع المناقب والفضائل النبوية التى وردت فى شأن أبى بكر الصديق.

---

(١) فى رواية: شيمته.

(٢) فى رواية: طرا صدق.

(٣) انظر: ديوان حسان (ص/ ٢٤٠)، تاريخ الطبرى (٢/ ٣١٤)، الاستيعاب (٣/ ٩٦٤)، صفة الصفوة (١/ ٢٣٧) لابن الجوزى.

(٤) انظر: الاستيعاب (٣/ ٩٦٤ ـ ٩٦٥).

(٥) انظر: أسد الغابة (٣/ ٣١٠)

(٦) مناقب أبى بكر الصديق وفضائله

١ ـ الرفيق والخليل للنبى ﷺ

لعلَّ المرء لا يبالغ إذا قال: إنه لم يرد فى فضل أحدٍ من أصحاب النبى ﷺ مثل ما ورد فى فضل أبى بكر الصديق، بل لو جُمع ما ذُكر فى فضائله لكان مصنفاً كبيراً.

وليس هذا بعجيبٍ، فهو أبو بكر الصديق، السابق إلى التصديق، والمُلقب بالعتيق، والمؤيد من الله بالتوفيق.

صاحب النبى ﷺ فى الحضر والأسفار، ورفيقه فى حادثة الغار.

وشهد مع رسول الله ﷺ بدراً، وسائر الغزوات، ولم يختلف اثنان أنه هو المقصود بقول الله تعالى: **﴿ثانى اثنين إذ هما فى الغار﴾**[١].

فقالت عائشة وأبو سعيد الخدرى، وابن عباس، وغيرهم رضى الله عنهم: «**وكان أبو بكر مع النبى ﷺ فى الغار**»[٢].

وهل هناك ما هو أصرح وأبين مما رواه أنس ـ رضى الله عنه ـ عن أبى بكر ـ رضى الله عنه ـ أنه قال: قلت للنبى ﷺ وأنا فى الغار:

لو أن أحدهم نظر تحت قدميه لأبصرنا. فقال: «**ما ظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما**» وفى لفظٍ آخر: «**اسكت يا أبا بكر، اثنان الله ثالثهما**»[٣].

«**الله ثالثهما**» بالنصر، والمعونة، والحفظ والتسديد، فمعنى «ثالثهما» أى: ناصرهما، ومعينهما، وإلا فالله ثالث كل اثنين بعلمه[٤].

---

(١) سورة التوبة: ٤١.

(٢) **إسناده صحيحٌ**. أخرجه البخارى (٧/ ٨) تعليقاً، وهو موصولٌ من طرق صحيحة.

(٣) **حديثٌ صحيحٌ**. أخرجه البخارى (٧/ ٨) برقم (٣٦٥٣)، ومسلم (٢٣٨١)، وأحمد (١/ ٤)، وابن أبى شيبة (١٤/ ٣٣٣) فى مصنفه، وابن أبى عاصم (٢/ ٥٧٦) فى السنة، وغيرهم

(٤) انظر: الفتح (٧/ ١١) لابن حجر.

وفى هذا الحديث منقبة لأبى بكر رضى الله عنه، لا يشاركه فيها أحدٌ من أصحاب الرسول ﷺ.

ومن فضائله: أن الرسول ﷺ أعلن لأصحابه أنه لو كان مُتخذاً منهم خليلاً لاتخذ أبا بكر رضى الله عنه خليلاً.

فيروى أبو سعيد ـ رضى الله عنه ـ أنه سمع رسول الله ﷺ يخطب فيقول: **«إن أمنَّ الناس علىَّ فى صحبته وماله: أبو بكر، ولو كنت متخذاً خليلاً غير ربى لاتخذت أبا بكر، ولكن أخوة الإسلام ومودته، لا يبقين فى المسجد بابٌ إلا باب أبى بكر»**[1].

«أمنَّ الناس» أفعل تفضيل من المن، بمعنى العطاء والبذل، بمعنى أن أبذل الناس لنفسه وماله، لا من المنة التى تفسد الصنيعة، وليس لأحدٍ على النبى ﷺ منة، بل منته على كل الأمة الإسلامية.

وفى هذا الحديث النبوى: فضيلة ظاهرة لأبى بكر الصديق ـ رضى الله عنه ـ وأنه كان متأهلاً لأن يتخذه النبى ﷺ خليلاً، لولا المانع المتقدم ذكره.

ويؤخذ منه أن للخليل صفة خاصة تقتضى عدم المشاركة فيها[2].

لكن ما المراد بالخليل ههنا؟

الخلة: بضم الخاء هى الصداقة، والمحبة التى تخللت القلب، فصارت خلاله، أى فى باطنه، **والخليل:** الصديق، فعيل بمعنى فاعل، وقد يكون بمعنى مفعول.

وإنما قال النبى ﷺ ذلك على هذا المعنى لأن خلته كانت مقصورة على حب الله تعالى، فليس فيها لغيره متسع، ولا شركة من محاب الدنيا، وهذه خصلة شريفة لا ينالها أحدٌ بكسبٍ واجتهاد، فإن الطباع غالبة.

وإنما الله تعالى يختص بها من يشاء من عباده، مثل سيد المرسلين ﷺ،

---

(١) حديثٌ صحيحٌ. أخرجه البخارى(٣٦٥٤)، ومسلم(٢٣٨٢)، وأحمد (٣/ ١٨)، والترمذى (٣٦٦٠) وغيرهم، وقد رُوى من حديث ابن عباس وابن مسعود رضى الله عنهما.

(٢) انظر: الفتح (٧/ ١٥).

والخَلة بنصب الخاء هى الحاجة والفقر والخليل على هذا النحو: الفقير، كأنه لم يجعل فقره وحاجته ﷺ إلا إلى الله تعالى[1].

فأراد ﷺ: إنى أبرأ من الاعتماد والافتقار إلى أحدٍ غير الله تعالى.

فالخليل: هو الذى يوافقك فى خلالك ويسايرك فى طريقك، أو الذى يسد خللك، وتسد خلله، أو يداخلك خلال منزلك.

وقيل: أصل الخلة انقطاع الخليل إلى خليله، وقيل: أصل الخلة: الاستصفاء.

وقيل: مَنْ لا يسع قلبه غيرك، وقيل: هو المختص بالمودة[2].

---

(١) انظر: النهاية فى غريب الحديث (٢/ ٧٢) لابن الأثير، وشرح السنة (١٤/ ٧٨) للبغوى.
(٢) انظر: فتح البارى (٧/ ٢٣).

٢ ـ الأمر بسد الأبواب إلا باب أبى بكر

ومن قوله ﷺ: «لا يبقين فى المسجد بابٌ إلا سُدَّ، إلا باب أبى بكر».

قال الخطابى وابن بطال وغيرهما: فى هذا اختصاص ظاهر لأبى بكر. وفيه إشارة قوية إلى استحقاقه للخلافة، ولا سيما وقد ثبت أن ذلك كان فى آخر حياة النبى ﷺ فى الوقت الذى أمرهم فيه أن لا يؤمهم إلا أبو بكر[١].

فقد أفرده ﷺ فى ذلك بأمرٍ لا يُشارك فيه، وأولى ما يُصرف إليه التأويل فيه الخلافة[٢].

ولعلَّ مما يقوى مسألة استخلاف أبى بكر ـ رضى الله عنه ـ ويُعد له منقبة من ناحيةٍ أخرى، ما رواه جبير بن مطعم ـ رضى الله عنه ـ أن امرأة أتت النبى ﷺ فكلَّمته فى شىءٍ، فأمرها أن ترجع إليه، قالت: يا رسول الله، أرأيت إن جئتُ، ولم أجدك؟

كأنها تعنى الموت، فقال ﷺ: «إن لم تجدينى فأتى أبا بكر»[٣].

ففى هذا الحديث: إشارة إلى فضل أبى بكر الصديق ـ رضى الله عنه.

وفيه إشارة أيضاً إلى أنه هو الخليفة من بعده[٤].

---

(١) انظر: فتح البارى (٧/ ٢٤).

(٢) انظر: أعلام الحديث (١/ ٤٠٤) للخطابى.

(٣) حديثٌ صحيحٌ. أخرجه البخارى (٣٦٥٩)، ومسلم (٢٣٨٦)، والترمذى (٣٧٥٨)، وأحمد (٤/ ٨٢)، وابن أبى عاصم (٢/ ٥٤٧) فى السنة، والبغوى (٣٨٦٨) فى شرح السنة، وأبو نعيم (٥٦) فى تثبيت الإمامة، والطبرانى (١٥٥٧) فى الكبير، والبيهقى (٨/ ١٥٣) فى سننه الكبرى.

(٤) انظر: تحفة الأحوذى (١٠/ ١٦٢) للمباركفورى.



اقرأ فى الصفحات التالية

تابع المناقب والفضائل

الفصل الثالث:

[٣] حرص الرسول ﷺ على ذكره بالفضل.

[٤] الملقب بالصديق فى الأمة الإسلامية.

[٥]صلاة الصديق إماماً فى العهد النبوى.

[٦] الصديق صاحب صنيعة عظيمة.

[٧] الصديق أحب الناس إلى النبى ﷺ.

[٨] تزكية الرسول ﷺ للصديق.

[٩] دعوة الأمة الإسلامية للاقتداء به.

[١٠] ثقة الرسول ﷺ بالصديق لإيمانه ويقينه.



٣ ـ حرص الرسول ﷺ على ذكره بالفضل

ومن فضائله: أن الرسول ﷺ كان يحرص أن يُعلّم أصحابه معرفة منزلة أبى بكر، وتوقيره، .وعدم الاستهانة بشأنه، أو التقليل من منزلته.

وفى هذا المعنى يروى لنا أبو الدرداء رضى الله عنه فيقول:

كنت جالساً عند النبى ﷺ إذ أقبل أبو بكر آخذاً بطرف ثوبه، حتى أبدى عن ركبته، فقال النبى ﷺ: **«أما صاحبكم فقد غامر»**.

فسلم وقال: يا رسول الله، إنى كان بينى وبين ابن الخطاب شىءٌ، فأسرعتُ إليه، ثم ندمتُ، فسألته أن يغفر لى فأبى علىَّ، فأقبلتُ إليك.

فقال ﷺ: **«يغفر الله لك يا أبا بكر»** ثلاثاً.

ثم إن عمر ندم فأتى منزل أبى بكر فسأل: أثَمَّ أبو بكر؟ فقالوا: لا. فأتى إلى النبى ﷺ، فجعل وجه النبى ﷺ يتمعر، حتى أشفق أبو بكر فجثا على ركبتيه، فقال: يا رسول الله، والله أنا كنت أظلم مرتين.

فقال النبى ﷺ: **«إن الله بعثنى إليكم، فقلتم: كذبتَ، وقال أبو بكر: صدق، وواسانى بنفسه وماله، فهل أنتم تاركون لى صاحبى؟ فهل أنتم تاركون لى صاحبى»**[1] فما أوذى بعدها.

فهذا الموقف يُعد فى فضائل الصديق، ولنتأمل فيه:

يتمعر: أى تذهب نضارته من الغضب، ويحمر.

«وواسانى» هو من المواساة، والمراد به أن صاحب المال يجعل يده ويد صاحبه فى ماله سواء.

فما أوذى بعدها: أى لما أظهره النبى ﷺ لهم من تعظيمه.

وفى الحديث من الفوائد: بيان فضل أبى بكر على جميع الصحابة، وأن

---

(١) حديثٌ صحيحٌ. أخرجه البخارى (٣٦٦١)، (٤٦٤٠)، وابن أبى عاصم (١٢٢٣) فى السنة، وأبو نعيم (٩/ ٣٠٤) فى الحلية، والبيهقى (١٠/ ٢٣٦) فى سننه الكبرى.

الفاضل لا ينبغى له أن يغاضب من هو أفضل منه.

وفيه جواز مدح المرء فى وجهه، ومحله إذا أمن عليه الافتتان والاغترار.

وفيه: ما طبع عليه الإنسان من البشرية حتى يحمله الغضب على ارتكاب خلاف الأولى، لكن الفاضل فى الدين يسرع الرجوع إلى الأولى.

وفيه: أن غير النبى ﷺ ولو بلغ من الفضل الغاية ليس بمعصوم.

وفيه: استحباب سؤال الاستغفار، والتحلل من المظلوم[1].

وقد تعلم الصحب الكرام من هذا الموقف وغيره عدم إغضاب أبى بكر رضى الله عنه، ومحاولة ترك الانتصار منه لقدره، ومقامه فى الإسلام.

وفى الموقف التالى توضيح، وبيان لهذا الكلام:

يروى ربيعة الأسلمى رضى الله عنه فيقول: كنت أخدم رسول الله ﷺ، فأعطانى أرضاً وأعطى أبا بكر أرضاً، وجاءت الدنيا فاختلفنا فى عذق نخلة، فقال أبو بكر رضى الله عنه:

هى فى حد أرضى، وقلت أنا: هى فى حدى، وكان بينى وبين أبى بكر كلام، فقال لى أبو بكر كلمة كرهتها، وندم، فقال لى:

يا ربيعة، رُدَّ علىَّ مثلها حتى يكون قصاصاً، قلت: لا أفعل، فقال أبو بكر: لتقولن، أو لأستعدين عليك رسول الله ﷺ، قلت: ما أنا بفاعل.

قال: ورفض الأرض، فانطلق أبو بكر - رضى الله عنه - إلى النبى ﷺ، وانطلقت أتلوه، فجاء أناسٌ من أسلم، فقالوا لى: رحم الله أبا بكر، فى أى شىء يستعدى عليك رسول الله ﷺ، وهو الذى قال لك ما قال؟!

فقلت: أتدرون من هذا؟! هذا أبو بكر الصديق، وهو ثانى اثنين، وهو ذو شيبة المسلمين، فإياكم، يلتفت فيراكم تنصرونى عليه، فيغضب، فيأتى رسول الله ﷺ فيغضب لغضبه، فيغضب الله لغضبهما، فيهلك ربيعة.

قالوا: فما تأمرنا؟ قال: ارجعوا، فانطلق أبو بكر - رضى الله عنه - إلى

---

(١) انظر: الفتح (٧/ ٢٦).

رسول الله ﷺ، وتبعته وحدى، وجعلت أتلو، حتى أتى النبى ﷺ فحدثه الحديث كما كان، فرفع إلىَّ رسول الله ﷺ رأسه فقال: يا ربيعة مالك وللصديق؟!» قلت: يا رسول الله، كان كذا وكذا، فقال لى كلمة كرهتها، فقال لى: قل لى كما قلت، حتى يكون قصاصاً، فأبيت.

فقال رسول الله ﷺ: «**أجَلْ، فلا ترد عليه، ولكن قل: غفر الله لك يا أبا بكر، غفر الله لك يا أبا بكر**»(١).

قال ربيعة: فقلتُ: غفر الله لك يا أبا بكر.

فولى أبو بكر - رضى الله عنه - وهو يبكى.

فما أروع هؤلاء الصحب الكرام فى أفعالهم!!

وما أجلّ تلك المعاملة الأخوية!!

حقاً إنهم إخوةٌ بعضهم من بعضٍ.

الصغير يوقر الكبير، والكبير يحنو ويعطف على الصغير.

فما أحوجنا إلى تلك المعانى النبيلة، وما أحوجنا إلى تلك الأخلاق الرشيدة.

إن أمة تحيا على تلك المشاعر الرقيقة، وتلك الصفات الحميدة لجديرة بأن تقود الدنيا بأسرها.

وهذا ما حدث بالفعل، عزّ أهل الإسلام، وقادوا المشرق والمغرب لمّا اتصفوا بأخلاق أهل القرآن، عباد الرحمن.

---

(١) إسناده حسن. أخرجه الطيالسى (١١٧٤)، وأحمد (٤/ ٥٨ - ٥٩)، والحاكم (٢/ ١٧٣ - ١٧٤)، وصححه على شرط مسلم، وأقره الذهبى، ولكن تعقبه بأن مسلماً لم يحتج بمبارك.

وأخرجه الطبرانى (٤٥٧٧) فى الكبير، وقال الهيثمى فى المجمع (٩/ ٥٨ - ٥٩): فيه مبارك وحديثه حسن، وبقية رجاله ثقات.

٤ ـ الملقب بالصديق فى الأمة الإسلامية

ومن مناقب أبى بكر الصديق ـ رضى الله عنه ـ أنه لُقب بالصديق، ونال مرتبة الصديقية.

فقد روى أنس بن مالك ـ رضى الله عنه ـ أن النبى ﷺ صعد جبل أُحد، وأبو بكر، وعمر، وعثمان، فرجف بهم، فقال ﷺ:

«اثبت أُحد، فإن عليك نبىٌّ، وصدِّيقٌ، وشهيدان»[(١)].

وهذه الخصلة الرفيعة، وتلك الدرجة السنية لم يصل إليها غيره رضى الله عنه.

ولذا كان الصحابة الكرام ينادونه بهذا اللقب مع كنيته، وإذا جاء ذكره، أتبعوه بهذا اللقب.

فهذا عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما يقول:

«أبو بكر سمّيتموه الصديق، وأصبتم اسمه»[(٢)]..

ويقول الشعبى رحمه الله:

خص الله تبارك وتعالى أبا بكر الصديق بأربع خصالٍ لم يخص بها أحداً من الناس:

سمّاه الصديق، ولم يسم أحداً الصديق غيره، وهو صاحب الغار مع رسول الله ﷺ، ورفيقه فى الهجرة، وأمره رسول الله ﷺ بالصلاة والمسلمون شهود[(٣)].

فرضى الله عن أبى بكر الصديق، السابق إلى التصديق، والملقب بالعتيق، والمؤيد من الله تعالى بالسداد والتوفيق.

---

(١) حديثٌ صحيحٌ. أخرجه البخارى (٣٦٧٥)، (٣٦٨٦)، وأبو داود (٤٦٥١)، والترمذى (٣٦٩٧) وأحمد (٣/ ١١٢)، والنسائى (٨١٣٥) فى الكبرى، وابن أبى عاصم (١٤٣٩) فى السنة.

(٢) إسناده حسنٌ. أخرجه ابن سعد(٣/ ١٧٠)فى طبقاته، فيه عقبة بن أوس، وهو صدوقٌ.

(٣) أخرجه ابن عساكر فى تاريخه.

٥ ـ صلاة الصديق إماماً فى العهد النبوى

ومن مناقب أبى بكر الصديق ـ رضى الله عنه ـ:

أن رسول الله ﷺ قدَّمه فى حياته فى الصلاة، وأقامه مقام نفسه.

وفى هذا تروى عائشة ـ رضى الله عنها ـ وتقول: لَمَّا ثَقُلَ[1] رسول الله ﷺ جاء بلالٌ يُؤذنه بالصلاة، فقال: «**مُرُوا أبا بكر أن يُصلِّى بالناس**».

فقلت يا رسول الله، إن أبا بكر رجلٌ أسيفٌ[2]، وإنه متى يقوم مقامك لا يُسمع الناس، فلو أمرت عُمر، فقال: «**مروا أبا بكر أن يصلى بالناس**»

فقلت لحفصة: قولى له: إن أبا بكر رجلٌ أسيفٌ، وإنه متى ما يقوم مقامك لا يُسمع الناس، فلو أمرت عُمر، قال: «**إنكن لأنتن صواحب يوسف**[3]، **مروا أبا بكر أن يصلى بالناس**» فقالت حفصة لعائشة: ما كنتُ لأصيب منك خيراً.

تقول عائشة: لقد راجعته، وما حملنى على كثرة مراجعته إلا أنه لم يقع فى قلبى أن يحب الناس بعده رجلاً قام مقامه أبداً.

فأرسل النبى ﷺ إلى أبى بكر بأن يُصلى بالناس، فأتاه الرسولُ فقال: إن رسول الله ﷺ يأمرك أن تُصلِّى بالناس.

---

(١) **ثقل**: مرض، واشتد به مرضه، يقال: ثقل فى مرضه إذا ركدت أعضاؤه عن خفة الحركة.

(٢) **أسيف**: أى سريع الحزن والبكاء.

(٣) **صواحب**: جمع صاحبة، والمراد أنهن مثل صواحب يوسف فى التظاهر على ما يردن، وكثرة إلحاحهن فى طلب ما يردنه ويملن إليه، وإظهار خلاف ما فى الباطن.

ووجه المشابهة بينهما فى ذلك أن امرأة العزيز استدعت النسوة، وأظهرت لهن الإكرام بالضيافة، ومرادها زيادة على ذلك وهو أن ينظرن إلى حسن يوسف، ويعذرنها فى محبته، وأن عائشة أظهرت أن سبب إرادتها صرف الإمامة عن أبيها كونه لا يسمع المأمومين القراءة لبكائه، ومرادها زيادة على ذلك، وهو أن لا يتشاءم الناس به، وهو قولها فى رواية مسلم: «والله ما بى إلا كراهيةُ أن يتشاءم الناس بأول من يقوم فى مقام رسول الله ﷺ» وانظر: فتح البارى (٢/ ١٥٣).

فقال أبو بكر ـ وكان رجلاً رقيقاً ـ يا عُمر صلِّ بالناس، فقال له عمرُ: أنت أحقُّ بذلك، فصلى أبو بكر تلك الأيام، ثم إن النبى ﷺ وجد فى نفسه خفة، فخرج يهادى بين رجلين[1] ـ أحدهما العباس، والآخر عليٌّ ـ ورجلاه يخُطَّان[2] فى الأرض، حتى دخل المسجد، فلما سمع أبو بكر حِسَّهُ، ذهب أبو بكر يتأخر فأومأ إليه النبى ﷺ بأن لا يتأخر.

قال رسول الله ﷺ: «**أجلسانى إلى جنبه، فأجلساه إلى جنب أبى بكر**».

فجلس عن يسار أبى بكر، فكان أبو بكر يصلى قائماً، وكان رسول الله ﷺ يصلى قاعداً، يقتدى أبو بكر بصلاة رسول الله ﷺ، والناس يقتدون بصلاة أبى بكر[3].

قال ابن حبان رحمه الله:

خبرٌ فيه دليلٌ على أن الخليفة بعد رسول الله ﷺ كان أبو بكر ـ رضى الله عنه دون غيره من أصحابه[4].

وقد حوى هذا الموقف الكثير من الفوائد والأحكام[5]:

ففيه: فضل أبى بكر على جميع الصحابة، واستدل به جمعٌ من الشراح، ومن الفقهاء كالرويانى على أن أبا بكر كان عند الصحابة أفضلهم، لكونهم اختاروه دون غيره.

وفيه: أن الإقامة واستدعاء الإمام من وظيفة المؤذن، وأنه لا يقيم إلا بإذن

---

(١) **تعنى:** أنه كان يعتمد على الرجلين من ضعفه وتمايله، وكلُّ مَنْ فعل ذلك بأحدٍ فهو يُهاديه.

(٢) **يخطان فى الأرض:** أى لا يستطيع أن يرفعهما ويضعهما، ويعتمد عليهما.

(٣) **حديثٌ صحيحٌ.** أخرجه البخارى(٦٦٤)، (٦٦٥)، (٦٨٤)، ومسلم (٤١٨)، والترمذى (٣٧٥٤)، والنسائى (٢/ ٩٩)، وابن ماجه (١٢٣٢)، (١٢٣٣)، وأحمد (٦/ ٣٤، ٩٦، ٢٢٩)، والدارمى (١/ ٣٩) فى سننه، وابن حبان (٣/ ٢٨٠)، (٨/ ٢٠٣)، وابن خزيمة (١٦١٦).

(٤) انظر: الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان (٩/ ١٣).

(٥) نقلاً عن الفتح (٢/ ١٦٩).

الإمام.

وفيه: جواز شق الصفوف والمشى بين المصلين لقصد الوصول إلى الصف الأول لكنه مقصور على من يليق ذلك به كالإمام أو من كان بصدد أن يحتاج الإمام إلى استخلافه، أو من أراد سد فرجة فى الصف الأول، أو ما يليه مع ترك من يليه سدها، ولا يكون ذلك معدوداً من الأذى.

وفيه: جواز العمل القليل فى الصلاة لتأخر أبى بكر عن مقامه إلى الصف الذى يليه، وأن من احتاج إلى مثل ذلك يرجع القهقرى، ولا يستدبر القبلة، ولا ينحرف عنها.

ومن مناقب أبى بكر الصديق رضى الله عنه:

إعلام الرسول ﷺ أن المسلمين يأبون عقد الخلافة لغيره.

فتروى عائشة ـ رضى الله عنها ـ أن رسول الله ﷺ قال فى مرضه:

«ادعى لى أبا بكر أباك وأخاك[1] حتى أكتب كتاباً، فإنى أخاف أن يتمنى مُتمنٍّ، ويقول قائل: أنا أولى، ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر»[2].

قال أبو نُعيم رحمه الله:

وأما الخصلة التى اختص بها الصديق أبو بكر ـ رضى الله عنه ـ ما يشاركه فيها أحد فمن ذلك قوله ﷺ: **«يأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر»** رضى الله عنه وأرضاه.

وهذا الحديث النبوى يعلمنا الكثير:

ففى هذا الحديث: دلالة ظاهرة لفضل أبى بكر الصديق رضى الله عنه.

وفيه: إخبارٌ منه ﷺ بما سيقع فى المستقبل بعد وفاته، وأن المسلمين، يأبون عقد الخلافة لغيره.

---

(١) طلبه ﷺ لأخيها مع أبى بكر فالمراد أنه يكتب الكتاب.

(٢) **حديثٌ صحيحٌ**. أخرجه مسلم (٢٣٨٧)، وابن سعد (٣/ ١٨٠) فى طبقاته، وابن حبان (٨/ ٢٠٢)، والبيهقى (٨/ ١٥٣) فى سننه الكبرى.

وفيه: إشارة إلى أنه سيقع نزاع، ووقع كل ذلك[1].

ولهذا الحديث أكثر من رواية، فمنها:

«لقد هممتُ ـ أو أردتُ ـ أن أرسل إلى أبى بكر وابنه فأعهد، أن يقول القائلون، أو يتمنى المتمنُّون، يأبى الله ويدفع المؤمنون، أو يدفع الله ويأبى المؤمنون»[2].

«فأعهد» أى: أعين القائم بالأمر بعدى، وهذا هو الذى فهمه الإمام البخارى فترجم له بعنوان «الاستخلاف».

«أن يقول القائلون» أى: لئلا يقول، أو كراهة أن يقول.

وفى رواية أخرى: **«ادعى لى عبد الرحمن بن أبى بكر حتى أكتب كتاباً، لا يختلف عليه أحدٌ بعدى»**.

ثم قال: **«دعيه معاذ الله أن يختلف المؤمنون فى أبى بكر»**[3].

وقد يتساءل المرء لِمَ لم يكن التصريح فى مسألة الخلافة؟

يقول ابن عبد البر رحمه الله: استخلفه رسول الله ﷺ على أمته من بعده بما أظهر من الدلائل البينة على محبته فى ذلك، وبالتعريض الذى يقوم مقام التصريح، ولم يصرِّح بذلك لأنه لم يؤمر فيه بشىءٍ، وكان لا يصنع شيئاً فى دين الله إلا بوحى، والخلافة ركنٌ من أركان الدين[4].

---

(١) انظر: شرح النووى على مسلم (١٥/ ١٥٥).

(٢) حديثٌ صحيحٌ. أخرجه البخارى (٥٦٦٦)، (٧٢١٧)، والبيهقى (٣/ ٣٧٨) فى سننه الكبرى.

(٣) حديثٌ صحيحٌ لغيره. أخرجه ابن سعد (٣/ ١٨٠) فى طبقاته، والطيالسى (١٥٠٨)، وابن أبى عاصم (١١٦٣) فى السنة، وأبو نعيم (٥١) فى تثبيت الإمامة.

(٤) انظر: الاستيعاب (٣/ ٩٦٩).

٦ ـ الصديق صاحب صنيعة عظيمة

ومن مناقب أبي بكر الصديق ـ رضى الله عنه ـ:

اعتراف الرسول ﷺ له بحسن الصنيعة.

وفى هذا المعنى يروى أبو هريرة ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال:

«ما لأحد عندنا يدٌ إلا وقد كافأناه ما خلا أبا بكر، فإن له عندنا يداً يُكافئه الله بها يوم القيامة، وما نفعنى مالُ أحدٍ قطُ ما نفعنى مالُ أبى بكر»[1].

قال: فبكى أبو بكر، وقال: يا رسول الله، هل أنا ومالى إلا لك يا رسول الله، وهل نفعنى الله إلا بك، وهل نفعنى الله إلا بك، وهل نفعنى الله إلا بك؟!

فهذا الكلام النبوى يبين لنا قدر ما كان يُكنه النبى ﷺ من الحب لأبى بكر، والشكر للجميل، ويظهر لنا كذلك مدى حب أبى بكر لنبيه ﷺ وإكرامه له، والتواضع فى مجلسه:

«ما لأحد عندنا يد» أى: عطاء وإنعام.

«كافأناه» أى جازيناه مثلاً بمثلٍ أو أكثر.

«ما خلا أبا بكر» أى: ما عداه، أو إلا إياه.

«فإن له عندنا يداً» قيل: أراد باليد النعمة، والصنيعة، وقد بذلها كلها من المال، والنفس والأهل والولد.

«ما نفعنى مال أبى بكر» أى: مثل ما نفعنى ماله.

فلغيره مشاركة ما فى الإنفاق إلا أنه مقدم عليه، فقوله «ما خلا أبا بكر» فإن ذلك يدل على ثبوت يد لغيره، إلا أن لأبى بكر رجحاناً فى ذلك.

وسيأتى فى بيان فضيلة إنفاقه فى سبيل نصرة الإسلام المزيد من القول، ومن الله تعالى التوفيق والسداد[2].

---

(١) حديثٌ صحيحٌ. أخرجه الترمذى (٣٧٤١)، وابن ماجه (٩٤)، وأحمد (٢/ ٢٥٣، ٣٦٦)، وابن حبان (٦٨١٩)، وابن أبى شيبة (٧/ ٤٧١) فى مصنفه، وابن أبى عاصم (١٢٢٩) فى السنة، والطحاوى (٤/ ١٥٨) فى «المعانى».

(٢) انظر: الفتح (٧/ ١٣).

٧ ـ الصديق أحب الناس إلى النبى ﷺ

ومن مناقب أبى بكر الصديق رضى الله عنه: أنه كان من أحبّ الناس إلى النبى ﷺ.

وعن هذه المنقبة العظيمة، والفضيلة الجليلة يروى عمرو بن العاص ـ رضى الله عنه ـ فيقول:

بعثنى رسول الله ﷺ على جيش ذات السلاسل[١]، فأتيته فقلت: يا رسول الله، أىُّ الناس أحبُّ إليك؟ قال ﷺ: «**عائشة**».

قلتُ: مِنَ الرجال؟ قال ﷺ: «**أبوها**».

قلتُ: ثمَّ مَنْ؟ قال ﷺ: «**عمر**»[٢] فعد رجالاً، فسكت مخافة أن يجعلنى فى آخرهم.

ومن هذا الحديث النبوى يتبين لنا:

مزية أبى بكر رضى الله عنه على الرجال، وابنته عائشة رضى الله عنها على النساء.

وفيه بيان فضيلة لعمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ فإن منزلته تلى منزلة

---

(١) **ذات السلاسل**: غزوة من الغزوات، سُمِّيت بذلك لأنها يوجد فى تلك المنطقة ماء لبنى جذام يقال لها: السلسل، وقيل: لأنه كان به رمل بعضه على بعضٍ كالسلسلة، وهى تقع وراء وادى القرى، وبينها وبين المدينة عشرة أيام، وعُقد فيها اللواء لعمرو بن العاص، فخرج فى ثلاثمائة من المهاجرين والأنصار.

ولمعرفة تلك الغزوة يمكن الرجوع إلى: السيرة النبوية (٤/ ٣٢٠) لابن هشام، وتاريخ الطبرى (٣/ ٣٢)، دلائل النبوة (٤/ ٣٩٩) للبيهقى، «الطبقات الكبرى (٢/ ١٣١) لابن سعد، والبداية والنهاية (٤/ ٢٧٣) لابن كثير.

(٢) **حديثٌ صحيحٌ**. أخرجه البخارى (٣٦٦٢)، (٤٣٥٨)، ومسلم (٢٣٨٤)، وأحمد (٤/ ٢٠٣)، والترمذى (٣٩٧٢)، وابن ماجه (١٠١) من حديث أنس، وابن أبى عاصم (١٢٣٣)، (١٢٣٥) فى السنة، وابن حبان (٦٨٤٦)، (٧٠٦٢)، والبيهقى (٤/ ٤٠١) فى دلائل النبوة.

الصديق رضى الله عنه.

ولكن يبقى لنا التصريح والدلالة على تقديم أبى بكر على كل الأمة، وتلك هى عقيدة أهل السنة والجماعة.

وأى منزلة تلك التى يصل فيها المرء أن يكون من أحب الناس إلى النبى الكريم ﷺ!!

فمع تلك المنزلة السامية تتضاءل كل منازل الدنيا، فإن مَنْ أحبه النبى ﷺ، أحبه الله تعالى، ومَنْ أحبه الله تعالى فقد فاز بالدنيا والآخرة، وذلك هو الفوز المبين.

يقول حسان بن ثابت رضى الله عنه:

وكان حِبُّ رسول الله قد علموا ... من البرية لم يعدل به رجلا [١]

(١) ديوان حسان (ص/ ٢٤٠)

٨ ـ تزكية الرسول ﷺ للصديق

ومن فضائل أبى بكر رضى الله عنه: تزكية النبى ﷺ له بأنه يُدعى من كل أبواب الجنة.

وفى هذا المعنى يروى أبو هريرة ـ رضى الله عنه ـ أنه سمع النبى ﷺ يقول:

«من أنفق زوجين[١] من شيءٍ من الأشياء فى سبيل الله، نُودى من أبواب الجنة: يا عبد الله، هذا خيرٌ».

«فمن كان من باب الصلاة، دُعى من باب الصلاة، ومن كان من أهل الجهاد دُعى من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصدقة، دُعى من باب الصدقة، ومن كان من أهل الصيام دُعى من باب الريان».

وفى رواية: **«دعاه خزنة الجنة، كل خزنة باب: أى فلُ[٢]، هَلُمَّ[٣]»**[٤].

فقال أبو بكر: يا رسول الله، ما على هذا الذى يدعى من تلك الأبواب من ضرورة.

فهل يُدعى أحدٌ من تلك الأبواب كلها؟.

قال رسول الله ﷺ: **«نعم، وأرجو أن تكون منهم يا أبا بكر».**

---

(١) يريد من أنفق شيئين من ماله، كفرسين، أو عبدين، أو بعيرين، أو درهمين، وهكذا. والأصل فى الزوج: الصنف، والنوع من كل شيءٍ، ومن كل شيئين مقترنين، شكلين كانا أو نقيضين، فهما زوجان، وكل واحد منهما زوج. أفاده ابن الأثير.

(٢) معناه: أى فلان، فرخّم.

(٣) هلم: أسرع.

(٤) **حديثٌ صحيحٌ.** أخرجه مالك(١٠٣٦) فى الموطأ، والبخارى(٣٦٦٦)، ومسلم (١٠٢٧)، وأحمد (٢/٢٦٨، ٣٦٦)، والترمذى (٣٦٧٥)، والنسائى (٥/٩، ١٠)، وابن أبى عاصم (١/٢٨٣) مختصراً، وابن خزيمة (٢٤٨٠)، وابن حبان (٥/١٧٧)، والبغوى (١٦٣٥) فى شرح السنة، وابن عبد البر (٧/١٨٣، ١٨٤) فى التمهيد، والبيهقى (٩/١٧١) فى سننه الكبرى.

وفى الباب عن أبى ذر الغفارى رضى الله عنه.

فهذا الحديث النبوى يُعدّ فى فضائل أبى بكر رضى الله عنه، فالرجاء من الله تعالى، ومن نبيه ﷺ واقع لا شك فيه، ولذلك أورد ابن حبان هذا الحديث وترجم له.

ذكر البيان بأن أبا بكر ـ رضى الله عنه ـ يدعى يوم القيامة من جميع أبواب الجنة إلى الجنة، لأخذه الحظ الوافر من كل طاعة فى الدنيا.

وقال ابن عبد البر رحمه الله: فى حديثنا هذا دليل على فضل أبى بكر رضى الله عنه، وأنه من أهل الجنة، وأنه ممن جمع له الأعمال الصالحة، وأنه ينادى يوم القيامة من جميع أبواب الجنة، لتقدمه فى أعمال البر، ورجاء رسول الله ﷺ يقين إن شاء الله[1].

ولنتأمل معانى هذا الحديث الشريف:

«**نودى من أبواب الجنة، يا عبد الله هذا خير**» أى أن كل مناد من خزنة الجنة يعتقد أن الباب الذى هو عليه أفضل من غيره، فيقول: يا عبد الله لك هنا خير وثواب وغبطة هذا الباب خيرٌ لك من غيره من الأبواب لكثرة ثوابه ونعيمه، فتعال فادخل منه.

«**فمن كان من أهل الصلاة**» أى: مَنْ كان الغالب عليه فى عمله وطاعته الصلاة والتعبد.

«**الريان**» سمى باب الريان تنبيهاً على أن العطشان بالصوم فى الهواجر سيروى، وعاقبته إليه، وهو مشتق من الرىّ.

وقال إبراهيم الحربى رحمه الله: إن كان الريان علماً للباب فلا كلام، وإن كان صفة فهو الذى يروى، والمعنى: أن الصائم لتعطيشه نفسه فى الدنيا، يدخل من باب الريان ليأمن من العطش ثواباً له على ذلك، وفى التعبير بالريان إيماء إلى زيادة أمر الصوم، ومبادرة القبول له[2].

فقال أبو بكر: ما على هذا الذى يُدعى من تلك الأبواب من ضرورة.

---

(١) انظر: التمهيد (٧/ ١٩٢).

(٢) شرح الزرقانى على الموطأ (٣/ ٦٧).

أى: ليس ضرورة على مَنْ دعى منها إذ لو دعى من واحدٍ لحصل مراده، وهو دخول الجنة، مع أنه لا ضرورة عليه أن يُدعى من جميعها، بل هو تكريمٌ وإعزازٌ.

فمن لم يكن إلا من أهل صفة واحدة، أو خصلة واحدة من هذه الخصال، ودُعى من بابها لا ضرر عليه، لأن الغاية المطلوبة دخول الجنة.

فلما سمع أبو بكر الصديق رضى الله عنه بهذا الشرف، وذلك التكريم، سأل قائلاً:

فهل يدعى أحدٌ من هذه الأبواب كلها؟ فأجابه النبى ﷺ قائلاً: «**نعم**» وفى هذا الحديث النبوى عدة فوائد:

منها: أن مَنْ أكثر من شىءٍ عُرف به.

ومنها: أن أعمال البر قل أن تجتمع جميعها لشخصٍ واحدٍ على السواء.

ومنها: أن الملائكة يحبون صالحى بنى آدم، ويفرحون بهم.

ومنها: أن الإنفاق كلما كان أكثر كان أفضل.

ومنها: أن تمنى الخير فى الدنيا والآخرة مطلوب(١).

وفى الحديث إشعارٌ بقلة من يُدعى من تلك الأبواب كلها، وإشارة إلى أن المراد ما يتطوع به من الأعمال المذكورة لا واجباتها لكثرة من يجتمع له العمل بالواجبات، بخلاف التطوعات، فقلّ من يجتمع له العمل بجميع أنواعها.

ثم الإنفاق فى الصدقة والجهاد والعلم والحج ظاهر، أما فى غيرها فمشكل، فيمكن أن يقال: إن المراد بالإنفاق فى الصلاة فيما يتعلق بوسائلها من تحصيل آلاتها من طهارةٍ وتطهير ثوب، وبدن، ومكان، وفى الصيام بما يقويه على فعله، وخلوص القصد فيه، والإنفاق فى العفو عن الناس، بترك ما يجب له من حقٍ، وفى التوكل ما ينفقه على نفسه فى مرضه، المانع له من التصرف فى طلب المعاش، مع الصبر على المصيبة.

---

(١) انظر: الفتح (٧/ ٢٩).

أو ينفق على مَنْ أصابه مثل ذلك طلباً للثواب، والإنفاق فى الذكر على نحو ذلك.

وقيل: المراد بالإنفاق فى الصلاة والصيام بذل النفس والبدن فيهما، فالعرب تسمى ما يبذله المرء من نفسه صدقة كما يقال: أنفقت فى طلب العلم عمرى، وبذلتُ فيه نفسى[1].

ولكن يطرأ تساؤل: أبواب الجنة ثمانية، والحديث لم يذكر إلا أربعة، فما هى الأربعة الباقية؟

قال ابن حجر العسقلانى: وقع فى الحديث ذكر أربعة أبواب من أبواب الجنة، وتقدم فى أوائل الجهاد: **«وإن أبواب الجنة ثمانية»**.

وبقى من الأركان الحج، فله باب بلا شك، وأما الثلاثة الأخرى: فمنها: باب الكاظمين الغيظ، والعافين عن الناس.

ومنها: باب المتوكلين الذى يدخل منه مَنْ لا حساب عليه، ولا عذاب.

وأما الثالث: فلعله باب الذكر، فإن عند الترمذى ما يومئ إليه، ويحتمل أن يكون باب العلم، والله أعلم[2].

وقال القاضى عياض: ذكر مسلمٌ فى هذا الحديث من أبواب الجنة أربعة، وزاد غيره بقية الثمانية، فذكر منها: باب التوبة، وباب الكاظمين الغيظ، وباب الراضين، والباب الأيمن الذى يدخل منه مَنْ لا حساب عليه[3].

وأخيراً...

وفى هذا الحديث من الفقه بيان أن أعمال البر لا تفتح فى الأغلب للإنسان الواحد فى جميعها، وأن من فُتح له فى شىء منها حُرم غيرها فى الأغلب، وأنه قد تفتح فى جميعها للقليل من الناس، وأن أبا بكر الصديق ـ رضى الله عنه ـ من ذلك القليل.

---

(١) انظر: شرح الزرقانى (٣/ ٦٨)، والفتح (٧/ ٢٩).

(٢) الفتح (٧/ ٢٨).

(٣) التذكرة (٢/ ٢٧١) للقرطبى.

كتب عبد الله بن عبد العزيز العمرى إلى مالك يحضه على الانفراد، والتعبد، فكتب إليه مالك: إن الله عز وجل قسم الأعمال كما قسم الأرزاق، فرب رجلٍ فُتح له فى الصلاة، ولم يفتح له فى الصوم، وآخر فتح له فى الصدقة، ولم يفتح له فى الصيام، وآخر فتح له فى الجهاد، ولم يفتح له فى الصلاة، ونشر العلم وتعليمه من أفضل أعمال البر.

وقد رضيت بما فتح الله لى فيه من ذلك، وما أظن ما أنا فيه بدون ما أنت فيه، وأرجو أن يكون كلانا على خيرٍ، ويجب على كل واحدٍ منا أن يرضى بما قسم له، والسلام[1].

وهكذا نرى أن أبا بكر رضى الله عنه ممن اجتمع فيه صفات الخير، وخصال الفلاح، فهنيئاً له رضى الله عنه الجنة.

ونكمل المسير مع مناقب وفضائل أبى بكر الصديق.

---

(١) انظر: التمهيد (٧/ ١٨٥).

٩ ـ دعوة الأمة الإسلامية للاقتداء به

ومن فضائل أبى بكر رضى الله عنه: أن النبى ﷺ دعا الأمة إلى الاقتداء به، وإن شاركه فى ذلك عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ فقد ذُكر أبو بكر أولاً لفضله وقدره.

وفى هذا المعنى يروى حذيفة بن اليمان ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال:

«اقتدوا باللذين من بعدى أبى بكر وعمر»(١).

وفى رواية أخرى: **«إنى لا أدرى كم قدر بقائى فيكم، فاقتدوا باللذين من بعدى، وأشار إلى أبى بكر وعمر»**(٢).

«اقتدوا باللذين» أى: الخليفتين اللذين يقومان **«من بعدى»** فأمره رسول الله ﷺ بالاقتداء بهما يتضمن الثناء عليهما، لكونهما أهلاً لأن يقتدى بهما، ويطاعا فيما يأمران به، وينهيان عنه.

وفى ذلك بيان بحسن سيرتهما، وصدق سريرتهما، وإشارة لكونهما الخليفتين من بعده.

وقد ترجم ابن حبان لهذا الحديث النبوى بالترجمة التالية:

ذكر أمر المصطفى ﷺ المسلمين بالاقتداء بأبى بكر وعمر بعده.

قال العلامة المناوى فى الفيض:

سبب الحث على الاقتداء بالسابقين الأولين، ما فطروا عليه من الأخلاق

---

(١)، (٢) حديثٌ صحيحٌ. أخرجه الترمذى (٣٧٤٢)، (٣٧٤٣)، (٣٧٤٤)، وابن ماجه (٩٧)، وأحمد(٥/ ٣٨٢، ٣٨٥، ٤٠٢، ٤٠٤)، وابن حبان (٦٨٦٣)، والحاكم (٣/ ٧٥) وصححه، وأقره الذهبى، وابن أبى عاصم (١١٤٨)، (١١٤٩) فى السنة، والبغوى (٣٨٩٤)، (٣٨٩٥) فى شرح السنة من طُرق عن حذيفة رضى الله عنه.

ويروى من حديث ابن مسعود، أخرجه الترمذى (٣٨٠٧)، والحاكم (٣/ ٧٥ ـ ٧٦).

وقال الذهبى: سنده واه، ولتمام الفائدة يُراجع السلسلة الصحيحة (١٢٣٣) للألبانى حفظه الله.

المرضية، فلذلك كانوا أفضل الناس بعد الأنبياء، وصاروا أفضل الخلق بعدهم من اتبعهم بإحسانٍ إلى يوم الصراط والميزان.

وهذا كما يحتمل الخلافة يحتمل الاقتداء بهم فى الرأى والمشورة، والصلاة وغير ذلك[1].

وقد دعا النبى ﷺ الأمة إلى طاعتهما، والعمل بمشورتهما، فإن توفيق الله تعالى حليفهما، والصواب طريقهما.

ففى حديث أبى قتادة الأنصارى ـ رضى الله عنه ـ قال رسول الله ﷺ:

«إن يطع الناس أبا بكر وعمر يرشدوا»[2] قالها ثلاثاً.

فالرسول ﷺ أمر بطاعتهما لما علم من صدقهما، وصحة إيمانهما، وخالص نصرهما للإسلام، ووفور عقلهما، ونبالة رأيهما رضى الله عنهما.

---

(١) فيض القدير (٢/ ٥٦).

(٢) حديثٌ صحيحٌ. أخرجه مسلم (٦٨١)، وأحمد (٥/ ٢٨٩، ٣٠٢)، والبغوى (٣٧١٦) فى شرح السنة، وابن حبان (٦٨٦٢)، وأبو نعيم (١٤٥) فى الدلائل، والبيهقى (٤/ ٢٨٤) فى الدلائل.

١٠ ـ ثقة الرسول ﷺ بالصديق لإيمانه ويقينه

ومن فضائل أبى بكر رضى الله عنه: ثقة الرسول ﷺ به لعلمه بصدق إيمانه، وقوة يقينه، وكمال معرفته لعظيم سلطان الله، وكمال قدرته.

وفى الحديث التالى الشاهد لذلك، يقول أبو هريرة ـ رضى الله عنه ـ: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**بينما راعٍ فى غنمه عدا عليه الذئبُ، فأخذ منها شاة، فطلبه الراعى حتى استنقذها منه، فالتفت إليه الذئب، فقال له: من لها يوم السُبع**[(١)]**، يوم ليس لها راعٍ غيرى؟!**».

فقال الناسُ: سبحان الله. فقال رسول الله ﷺ:

«**فإنى أؤمن بذلك، وأبو بكر، وعمر**».

«**وبينما رجلٌ يسوق بقرةً له، قد حمل عليها، التفتت إليه البقرةُ، فقالت: إنى لم أُخلق لهذا، ولكنى إنما خُلقت للحرث**».

فقال الناس: سبحان الله ـ تعجباً وفزعاً ـ أبقرةٌ تتكلم؟!!

فقال رسول الله ﷺ: «**فإنى أؤمن به أنا، وأبو بكر، وعمر، وما هُما ثَمَّ**[(٢)]»[(٣)].

وفى روايةٍ: «**آمنت به أنا وأبو بكر، وعمر**» قال أبو سلمة: وما هما يومئذ فى القوم.

فالنبى ﷺ جعل أبا بكر وعمر معه فى الإيمان بما ذكر للناس، مع أنهما لم يحضرا ذلك المجلس.

---

(١) يوم السُبع: يعنى يوم الفزع، يوم القيامة، وقيل: أى عند الفتن حين يتركها الناس هملاً لا راعى لها نهبة للسباع.

(٢) أى: وما هما يومئذ فى هذا المجلس، وهى مدرجة من الراوى.

(٣) حديثٌ صحيحٌ. أخرجه البخارى (٣/ ١٧٤، ٢١٢)، (٥/ ٦، ١٥)، ومسلم (٢٣٨٨)، والترمذى (٣٦٧٧)، وأحمد (٢/ ٢٤٥، ٣٨٢)، وعبد الرزاق (٢٠٤٠٣) فى مصنفه، والحميدى (١٠٥٤)، (١٠٥٥)، والبغوى (١٤/ ٩٧) فى شرح السنة.

وذلك لما اطلع عليه من غلبة صدق إيمانهما، وقوة يقينهما، وهذا أليق بدخوله فى مناقبهما.[1]

وفى الحديث جواز التعجب من خوارق العادات، وتفاوت الناس فى المعارف.

ويلاحظ البدء بأبى بكر رضى الله عنه كسائر الأحاديث التى يُذكر فيها ترتيب الصحابة بحسب الفضل، وإن تساوى فى الفضيلة التى ذُكر ضمنها مع الفاروق عمر بن الخطاب رضى الله عنه.

---

(١) الفتح (٧/ ٢٧).

اقرأ فى الصفحات التالية

تابع المناقب والفضائل

[١١] الصـــديق بمنزلة السمع والبصر للأمة الإسلامية.

[١٢] الصديق أعلم الصحابة بحال النبى ﷺ.

[١٣] أول العشرة الذين يدخلون الجنة من الأمة.

١٤ ـ سيد كهول أهل الجنة.

الفصل الرابع:

(٧) الرفيق فى الهجرة.

(٨) ثبات الصديق عند وفاة النبى ﷺ.



١١ ـ الصديق بمنزلة السمع والبصر للأمة الإسلامية

ومن فضائل أبى بكر رضى الله عنه، والتى يشاركه فيها عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنهما ـ أنهما من الدين بمنزلة السمع والبصر، لا غنى للمؤمنين عن الانتفاع بأفعالهما وأقوالهما، كما لا غنى للمرء عن السمع والبصر.

وفى هذا المعنى يروى لنا الصحابى الجليل جابر بن عبد الله رضى الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول:

«أبو بكر وعمر من هذا الدين، كمنزلة السمع والبصر من الرأس»(١).

أى: هما منى فى العزة كذلك، أو هما من المسلمين بمنزلة السمع والبصر من البدن، أو منزلتهما فى الدين بمنزلتهما فى البدن، ويرجح هذا المعنى الأخير الرواية المذكورة.

وقال القاضى عياض رحمه الله:

إنما وصفهما بذلك لشدة حرصهما على استماع الحق، واتباعهما، وشدة حرصهما على النظر فى الآيات فى الأنفس والآفاق، والتأمل فيها، والاعتبار بها.

وذلك منه إشارة إلى وجه حكمة تخصيص السمع والبصر دون غيرهما من الحواس والجوارح، وقد عمل أبو بكر فى الردة ما لم يلحقه فيه أحدٌ، فبعلمه رد الله الإسلام إلى الأمة، فيالها من فعلة توازى عمل الأمة.

أما علمت أن من سنَّ سنة حسنة فله أجرها، وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة؟!

ثم لم يجد مهلة حتى يمهد للإسلام، ويجلى غريبه، ويوضح المعالم، ويمصر الأمصار، ففعل ذلك عمر بن الخطاب، فأوسع منهل الدين، وذلك ليس لأحدٍ إلى مثله من سبيل(٢).

وبذلك تنضم تلكم الفضيلة إلى فضائل أبى بكر رضى الله عنه الكثيرة.

---

(١) حديثٌ حسنٌ. أخرجه الخطيب(٨/ ٤٥٩ـ٤٦٠)فى تاريخه وفى الباب عن ابن عمر، وابن عباس، وحذيفة، وعمرو بن العاص رضى الله عنهم أجمعين، انظر: مجمع الزوائد(٩/ ٥٢ـ ٥٣) للهيثمى، وأخرجه الحاكم (٣/ ٦٩) من حديث عبد الله بن حنطب، وصححه وأقره الذهبى وقال: حسن.

(٢) انظر: فيض القدير (١/ ٨٩) للمناوى.

١٢ ـ الصديق أعلم الصحابة بحال النبى ﷺ

ومن فضائل أبى بكر رضى الله عنه: أنه كان من أعلم الصحابة بالنبى ﷺ وأحواله.

يروى أبو سعيد الخدرى ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ جلس على المنبر، فخطب الناس فقال: «**إن عبداً خيَّره الله بين أن يؤتيه زهرة الدنيا**[١]**، وبين ما عنده، فاختار ذلك العبد ما عند الله**»[٢].

قال: فبكى أبو بكر، وبكى[٣]، وقال: فديناك يا رسول الله بآبائنا وأمهاتنا.

قال: فعجبنا لبكائه[٤] أن يُخبر رسول الله ﷺ عن عبدٍ خُيِّر، وهو يقول: فديناك بآبائنا وأمهاتنا.

فكان رسول الله ﷺ «**هو المُخَيَّرُ، وكان أبو بكر أعلمنا به**»[٥].

---

(١) **زهرة الدنيا**: نعيمها وأعراضها، وشبهها بزهرة الروضة.

(٢) **حديثٌ صحيحٌ**. أخرجه البخارى (٣٦٥٤)، ومسلم (٢٣٨٢)، والترمذى (٣٧٤٠).

(٣) معناه: بكى كثيراً، ثم بكى.

(٤) كان أبو بكر رضى الله عنه علم من كلام النبى ﷺ العبد المخير، وكان هو الرسول ﷺ فبكى حُزناً على فراقه، وانقطاع الوحى وغيره من الخير دائماً، وإنما قال النبى ﷺ عبداً وأبهمه، لينظر فهم أهل المعرفة. أفاده النووى.

(٥) وفيه فضيلة لأبى بكر ـ رضى الله عنه ـ لبذله أهله فداء لنبيه ﷺ.

١٣ ـ أول العشرة الذين يدخلون الجنة من الأمة

ومن فضائل أبى بكر الصديق رضى الله عنه: أنه أول العشرة المبشرين بالجنة.

روى عبد الرحمن بن عوف ـ رضى الله عنه ـ أنه سمع النبى ﷺ يقول:

«أبو بكر فى الجنة، وعمر بن الخطاب فى الجنة، وعثمان بن عفان فى الجنة، وعلى بن أبى طالب فى الجنة، وطلحة فى الجنة، والزبير فى الجنة، وعبد الرحمن ابن عوف فى الجنة، وسعد بن أبى وقاص فى الجنة، وسعيد بن زيد فى الجنة، وأبو عبيدة بن الجراح فى الجنة»(١).

وقد بُشر الصديق بالجنة وما زاده ذلك إلا تواضعاً لله تعالى، واجتهاداً فى عبادته.

وفى ذلك أسوة لكل مجتهدٍ فى عبادة الرحمن، وفى ذلك قدوة لكل مسلمٍ يسعى جاهداً فى نصرة الإسلام.

فرضى الله عن أبى بكر الصديق، وجزاه أفضل الجزاء عما قدمه لدينه، ولأمته.

وقد بُشّر الصديق أكثر من مرة بالجنة، وعن موقفٍ من هذه المواقف يخبر الصحابى أبو موسى الأشعرى ـ رضى الله عنه ـ أنه توضأ فى بيته، ثم خرج، فقال:

لألزمن رسول الله ﷺ، ولأكونن معه يومى هذا، فجئت المسجد، فسألت عن النبى ﷺ فقالوا: خرج، وَجَّه ههنا(٢).

قال: فخرجتُ على إثره أسأل عنه، حتى دخل بئر أريس، فإذا هو قد جلس

(١) حديثٌ صحيحٌ. أخرجه أحمد (١/ ١٩٣)، والترمذى (٣٧٤٨)، والبغوى (٣٩٢٥) فى شرح السنة، وفى الباب عن سعيد بن زيد، أخرجه أحمد (١/ ١٨٨، ١٨٩)، وأبو داود (٤٦٤٩)، (٤٦٥٠)، والترمذى (٣٧٥٨)، وابن ماجه (١٣٤)، والحاكم (٣/ ٤٥٠).

(٢) يعنى: قصد هذه الجهة.

على بئر أريس[١]، وتوسط قفها[٢]، وكشف عن ساقيه، ودلاهُمَا فى البئر.

قال: فسلمتُ عليه، ثم انصرفتُ فجلست عند الباب، فقلت لأكونن بواب رسول الله ﷺ اليوم[٣]، فجاء أبو بكر فاستأذن ودفع الباب، فقلتُ: مَنْ هذا؟ فقال: أبو بكر.

قال: فقلتُ على رسلك[٤]، ثم ذهبتُ فقلتُ يارسول الله، هذا أبو بكر يستأذن؟

فقال: «**ائذن له وبشره بالجنة**».

قال: فأقبلت حتى قُلت لأبى بكر: ادخل، ورسول الله ﷺ يُبشرك بالجنة.

قال: فدخل أبو بكر، فجلس عن يمين رسول الله ﷺ معه فى القف، ودلى رجليه فى البئر كما صنع رسول الله ﷺ[٥].

ويلحظ المرء موافقة أبى بكر للنبى ﷺ فى فعله، ليكون أبلغ فى بقائه ﷺ على حالته، وراحته.

---

(١) بستان بالمدينة، وهو بالقرب من قباء، وفى بئرها سقط خاتم الرسول ﷺ.

(٢) **القف**: حافة البئر، وأصله ماغلظ من الأرض وارتفع.

(٣) ظاهره أنه اختار ذلك وفعله من تلقاء نفسه.

(٤) أى على مهلك.

(٥) **حديثٌ صحيحٌ**: أخرجه البخارى (٣٦٧٤)، ومسلم (٢٤٠٢)، وأحمد (٣/٤٠٨)، وأبو داود (٥١٨٨)، والترمذى (٣٧٩٤)، وابن أبى عاصم (١١٤٧) فى السنة.

١٤ ـ سيد كهول أهل الجنة

ومن فضائل أبى بكر الصديق ـ رضى الله عنه ـ أنه مع عمر ـ رضى الله عنه ـ سيدا كهول أهل الجنة.

وفى هذا المعنى يروى أنس بن مالك ـ رضى الله عنه ـ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**أبو بكر وعمر سيِّدا كهول أهل الجنة، إلا النبيين، والمرسلين**»[١].

الكهل: من الرجال الذى جاوز الثلاثين، وظهر به الشيب.

وقيل: أراد بالكهل ههنا الحليم العاقل، أى: أن الله يدخل أهل الجنةِ الجنةَ حُلماءَ عقلاء.

وقيل: سيدا من مات كهلاً من المسلمين، فدخل الجنة، لأنه ليس فيها كهل بل من يدخلها ابن ثلاث وثلاثين، وإذا كانا سيدى الكهول، فمن أولى أن يكونا سيدى شباب أهلها[٢].

وقد جاء فى لفظٍ «**هذان سيدا كهول أهل الجنة وشبابها بعد النبيين والمرسلين**»[٣].

وقال العلامة المناوى تعليقاً على هذا الحديث مبيناً تلك الفضيلة:

أبو بكر، عبد الله، أمير الشاكرين، أفضل من طلعت عليه الشمس بعد الأنبياء، أسلم وأبوه وابنه وحفدته، وإنما ذكره ﷺ بكنيته لأن اشتهاره بها أكثر.

وعمر الفارق، ذو المقام الثابت المأنوق، الذى أعز الله به دعوة الصادق

---

(١) **حديثٌ صحيحٌ لغيره.**
أخرجه الترمذى (٣٧٤٦)، وابن أبو
السنة، وفى الباب عن ابن عباس
رضى الله عنهم أجمعين، ويُراجع فى

(٢) انظر: لسان العرب (١١/ ٦٠٠) لابن منظور

(٣) **إسناده حسن.** والحديث صحيح. أخرجه عبد
زوائد المسند.

المصدوق «**سيدا كهول أهل الجنة**» يعنى الكهول عند الموت، لأنه ليس فى الجنة كهل، إذ هو من ناهز الأربعين وخطه الشيب، وأهل الجنة فى سن ثلاث وثلاثين فاعتبر ماكانا عليه عند فراق الدنيا ودخول الآخرة.

كذا قرره القرطبى وغيره وهو غير قويم إذ لو اعتبر ماكانا عليه عند الموت لما قال كهول، بل شيوخ لأنهما ماتا شيخين لاكهلين، فالأولى ما صار إليه بعضهم من أن المراد بالكهل هنا الحليم، الرئيس، العاقل، المعتمد عليه، يقال: فلان كهل بنى فلان، وكاهلهم أى: عمدتهم فى المهمات، وسيدهم فى الملمات.

على أن ما صار إليه أولئك من أن الكهل ناهز الأربعين غير متفقٍ عليه[1].

وبما أن أبا بكر - رضى الله عنه - هو خير الأمة بعد نبيها ﷺ، فهو سيد كهول أهل الجنة، وإن شاركه غيره فى هذا الفضل، فهو المقدم لعلو درجته.

وهكذا تتضح لنا المناقب والفضائل التى اختص بها الصديق، ونتوقف مع مواقفه العظام فى العهد النبوى.

---

(١) انظر: فيض القدير (١/ ٨٩) للمناوى.

٧ـ الرفيق فى الهجرة الشريفة

من المواقف التى سُطرت فى تاريخ الأمة الإسلامية والتى تعرب عن عِظَم شأنه، ورفعة قدره: موقف الهجرة النبوية من مكة إلى المدينة بما فيه من عظات وعبر.

وياله من شرفٍ عظيمٍ، وفضلٍ جليلٍ!!

إن الصديق هو الرفيق فى الهجرة، وأبناءه أعوان على تمامها.

تقص علينا أم المؤمنين عائشة ـ رضى الله عنها ـ ذلك الموقف فتقول:

«لم أعقل أبوى [١] قطُّ إلا وهما يدينان الدِّين[٢]، ولم يمر علينا يومٌ إلا يأتينا فيه رسول الله ﷺ طرفى النهار: بُكرة وعشية.

فقال النبى ﷺ: «**إنى أُريتُ دار هجرتكم ذات نخل**»بين لابتين، وهما الحرتان[٣] فهاجر من هاجر إلى المدينة، ورجع عامةُ من كانَ هاجر بأرض الحبشة إلى المدينة، وتجهز أبو بكر قِبَلَ المدينة، فقال له رسول الله ﷺ:

«**على رسلك**[٤]،**فإنى أرجو أن يُؤذن لى**»

فقال أبو بكر: وهل ترجو ذلك بأبى أنت؟ قال: «**نعم**».

فحبس أبو بكر نفسه [٥]على رسول الله ﷺ ليصحبه، وعلف راحلتين، كانتا عنده ورق السمر ـ وهو الخبط [٦] - أربعة أشهر .

---

(١) يعنى: أبا بكر، وأم رومان رضى الله عنهما.

(٢) أى: يدينان بدين الإسلام.

(٣) هذه العبارة مدرجة من الزهرى، أحد رواة الحديث للتوضيح، والحرة: أرض حجارتها سود.

(٤) أى: على مهلك، والرسل: السير الرفيق.

(٥) أى: منع نفسه من الهجرة .

(٦) زيادة مدرجة من الزهرى رحمه الله، والخبط: هو مايخبط بالعصا فيسقط من ورق الشجر.

فبينما نحن يوماً جلوسٌ فى بيت أبى بكر فى نحر الظهيرة[١]، قال قائل: لأبى بكر: هذا رسول الله ﷺ متقنعا[٢] ـ فى ساعةٍ لم يكن يأتينا فيها ـ فقال أبو بكر: فداءٌ له أبى وأمى، والله ما جاء به فى هذه الساعة إلا أمرٌ .

قالت عائشة: فجاء رسول الله ﷺ فاستأذن، فأذن له، فدخل .

فقال النبىُ ﷺ لأبى بكر: «**أخرج من عندك**» فقال أبو بكر: إنما هم أهلُك[٣]، بأبى أنت يارسول الله !!

قال: «**فإنى أذن لى فى الخروج**» فقال أبو بكر: الصحبة يارسول الله، بأبى أنت يارسول الله؟ قال: «نعم» .

قالت عائشة: فو الله ماشعرت قط قبل ذلك اليوم أن أحدًا يبكى منَ الفرح، حتى رأيت أبا بكر يبكى يومئذ .

وقال أبو بكر: فخُذ بأبى أنت يارسول الله إحدى راحلتى هاتين. فقال رسول الله ﷺ: «**بالثمن**» .

قالت عائشة: فجهزناهما أحثَّ الجهاز[٤]، وصنعنا لهما سُفرةً فى جرابٍ، فقطعت بنت أبى بكر قطعة من نطاقها[٥] فربطت به على فم الجراب، فبذلك سُمِّيت ذات النطاقين .

قالت: ثم لحق رسول الله ﷺ وأبو بكر بغارٍ فى جبل ثور، فكمنا[٦] فيه

---

(١) أى: أول الزوال، وهو أشد مايكون فى حرارة النهار، والغالب على الناس فيه القيلولة
(٢) يعنى: مغطياً رأسه .
(٣) أشار بذلك إلى عائشة وأسماء، ففى رواية: «إنما هما ابنتاى» .
(٤) **أحثَّ**: على وزن أفعل تفضيل من الحث، وهو الإسراع، والجَهاز: بفتح الجيم ، وهو مايحتاج إليه المسافر فى سفره .
(٥) **النطاق**: مايشد به الوسط، وقيل: هو ثوبٌ تلبسه المرأة، ثم تشد وسطها بحبلٍ، ثم ترسل الأعلى على الأسفل، فشقت نطاقها نصفين ـ شدت بأحدهما الزاد، واقتصرت على الآخر .
(٦) **كمنا**: اختفيا .

ثلاث ليال، ، يبيتُ عندهما عبد الله بن أبى بكر وهو غلامٌ شابٌ، ثَقِفٌ[1]، لَقِن[2] فيُدلِجُ[3] من عندهما بسَحَر، فيصبح مع قريشٍ بمكة كبائت[4]، فلا يسمع أمرًا يُكتادان[5] به إلا وعاه حتى يأتيهما بخبر ذلك حين يختلطُ الظلام، ويرعى عليهما عامر بن فُهيرة مولى أبى بكر منحة[6] من غنم فيريحها عليهما حين تذهبُ ساعةٌ من العشاء فيبيتان فى رِسلٍ - وهو لبن منحتهما ورضيفهما[7] - حتى ينعق[8] بها عامر بن فهيرة بغلسٍ[9]، يفعل ذلك فى كل ليلةٍ من تلك الليالى الثلاث .

واستأجر رسول الله ﷺ وأبو بكر رجلاً من بنى الدِّئل، وهو من بنى عبد بن عدى هاديًا خِرِّيتا - والخِرِّيت الماهرُ بالهداية[10] - قد غمس حلفًا[11] فى آل العاص بن وائل السهمى، وهو على دين كفار قريش، فأمناه، فدفعا إليه راحلتيهما، وواعداه غارَ ثورٍ بعد ثلاث ليالٍ براحلتيهما صُبح ثلاث[12]، وانطلق معهما عامر بن فُهيرة والدليل، فأخذ بهم طَريق السواحل[13] .

وهكذا من بداية الهجرة النبوية كان أبو بكر الرفيق فيها، وأبناؤه يعملون على

---

(١) **ثقف**: هو الحاذق، تقول: ثقفتُ الشىء إذا أقمت عوجه، وحذقته .

(٢) **اللقن**: هو سريع الفهم .

(٣) **يدلج**: أى يخرج .

(٤) **يعنى**: مثل البائت، يظنه من لايعرف حقيقة أمره لشدة رجوعه بظلامٍ .

(٥) **يكتادان**: أى يُطلب لهما فيه المكروه، وهو من الكيد .

(٦) **منحة**: تطلق على كل شاة .

(٧) **رضيفهما**: بفتح الراء، وكسر الضاد، أي اللبن المرضوف، وهو الذى وضعت فيه الحجارة المحماة بالشمس أو النار لينعقد، وتزول رخاوته .

(٨) **ينعق**: بكسر العين أى: يصيح بغنمه، والنعيق هو صوت الراعى إذا زجر الغنم .

(٩) **بغلس**: أى بظلامٍ .

(١٠) مدرج من كلام الزهرى، والمراد بالهداية: الإرشاد والدلالة فى الصحراء، ومعرفة طرق النجاة .

(١١) أى كان حليفًا، وكانوا إذا تحالفوا غمسوا أيمانهم فى دمٍ، أو طيبٍ .

(١٢) وفى رواية: «حتى إذا هدأت عنهما الأصوات جاء صاحبهما ببعيريهما، فانطلقا معهما بعامر بن فهيرة يخدمهما ويعينهما يردفه أبو بكر، ويعقبه ليس معهما غيره» .

(١٣) **حديثٌ صحيحٌ**: أخرجه البخارى (٣٩٠٥)، وأحمد (٦/ ١٩٨)، وابن سعد (٣/ ١٧٣) مختصرًا جدًا، وابن حبان (٦٢٤٤)، والحاكم (٣/ ٨)، والطبرى (٣/ ٣٧٧) فى تاريخه والبيهقى (٢/ ٤٧١، ٤٧٢) فى الدلائل .

نجاحها، وقد جعل أبو بكر كل ماله فى سبيل نجاح تلك الرحلة الطويلة .

تروى أسماء بنت أبى بكر ـ رضى الله عنها ـ فتقول:

لما خرج رسول الله ﷺ، وخرج أبو بكر معه، احتمل أبو بكر ماله كله معه، خمسة آلاف درهم أو ستة آلاف، فانطلق بها معه .

قالت: فدخل علينا جدى أبو قحافة، وقد ذهب بصره، فقال: والله إنى لأراه قد فجعكم بماله مع نفسه، قالت: قلت: كلا يا أبت، إنه قد ترك لنا خيرًا كثيرًا .

قالت: فأخذتُ أحجارًا فوضعتها فى كوة[1] فى البيت كان أبى يضع ماله فيها، ثم وضعت عليها ثوبًا، ثم أخذت بيده، فقلت: ياأبت، ضع يدك على هذا المال .

قالت: فوضع يده عليه، فقال: لا بأس، إذا كان ترك لكم هذا فقد أحسن، وفى هذا بلاغ لكم، ولا والله ماترك لنا شيئًا، ولكنى أردت أن أسكن الشيخ بذلك(٢) .

فما أروع تلك الأسرة المتفانية فى نصرة الإسلام!!

إنها أسرة تسعى جاهدة لإعلاء شأن راية: **لا إله إلا الله، محمد رسول الله ﷺ.**

إنها أسرةٌ يتعاون كل فردٍ من أفرادها على المساهمة بدورِ بناءٍ فى نجاح مسيرة الدعوة الإسلامية .

وفى ذلك عظة لكل من أراد العظة، وتذكرة لمن أراد التذكرة .

---

(١) كوة: **الكوة:** الخرق فى الجدار دخل منها الهواء، والضوء، فإذا كانت مصمتة غير نافذة سُمّيت المشكاة .

(٢) **خبرٌ صحيحٌ:** أخرجه ابن إسحاق (٥١٥) كما فى السيرة، وعن طريقه أحمد (٦/ ٣٥٠)، والطبرانى (٢٤/ ٨٨) فى الكبير .

٨ ـ ثبات الصديق عند وفاة النبى ﷺ :

من المواقف الجديرة بالعناية من سيرة أبى بكر الصديق رضى الله عنه: موقفه الجليل عند وفاة الرسول ﷺ، ذلك الخبر الذى كان له وقع كالصاعقة على الصحب الكرام .

يقول أبو هريرة رضى الله عنه: لما تُوفى رسول الله ﷺ قام عمر بن الخطاب فقال: إن رجالاً من المنافقين يزعمون أن رسول الله ﷺ قد تُوفى، وإن رسول الله ﷺ والله مامات، ولكنه ذهب إلى ربه، كما ذهب موسى بن عمران، فقد غاب عن قومه أربعين ليلة ثم رجع إليهم بعد أن قيل: قد مات، والله ليرجعن رسول الله كما رجع موسى، فليقطعن أيدى رجالٍ وأرجلهم، زعموا أن رسول الله ﷺ مات !!

قال: وأقبل أبو بكر حتى نزل على باب المسجد ـ حين بلغه الخبر ـ وعمر يكلم الناس، فلم يلتفت إلى شيءٍ حتى دخل على رسول الله ﷺ في بيت عائشة ـ رضى الله عنها ـ ورسول الله ﷺ مسجى فى ناحية البيت، عليه برد حبرة، فأقبل حتى كشف عن وجه رسول الله ﷺ، ثم أقبل عليه فقبله، ثم قال :

بأبى أنت وأمى، أما الموتة التى كتب الله عليك فقد ذقتها، ثم لن تصيبك بعدها موتة أبدًا .

قال: ثم رد البرد على وجه رسول الله ﷺ، ثم خرج وعمر يكلم الناس، فقال: على رسلك ياعمر، أنصت، فأبى إلا أن يتكلم، فلما رآه أبو بكر لاينصت، أقبل على الناس، فلما سمع الناس كلامه أقبلوا عليه، وتركوا عمر، فحمد الله ، وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس، إنه من كان يعبد محمدًا، فإن محمدًا قد مات، ومن كان يعبد الله، فإن الله حى لايموت، قال: ثم تلا هذه الآية :

﴿وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل، أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئًا، وسيجزى الله الشاكرين﴾[1] .

---

(١) سورة آل عمران: ١٤٤ .

قال: فو الله لكأن الناس لم يعلموا أن هذه الآية نزلت، حتى تلاها أبو بكر يومئذ قال: وأخذها الناس عن أبى بكر فإنما هى فى أفواههم، قال عمر: فو الله ما هو إلا أن سمعت أبا بكر تلاها فعُقِرت[1] حتى وقعت إلى الأرض ماتحملنى رجلاى، وعرفت أن رسول الله ﷺ قد مات[2].

وفى رواية عائشة قالت: فكشف عن وجهه، ثم أكب عليه فقبَّله، ثم بكى فقال: بأبى أنت وأمى يانبى الله، لايجمع الله عليك موتتين: أما الموتة التى كتبت عليك فقد مُتَّها[3].

ومما أشكل فى هذا الخبر: «**لايجمع الله عليك موتتين**».

فقيل: هو على حقيقته، وأشار بذلك إلى الرد على عمر الذى زعم أنه سيحيا فيقطع أيدى رجال، لأنه لو صح ذلك للزم أن يموت مرة أخرى.

فأخبر أنه أكرم على الله من أن يجمع عليه موتتين كما جمعهما على غيره، كالذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف، وكالذى مَرَّ على قرية.

وهذا أوضح الأجوبة وأسلمها.

وقيل: أراد لايموت موتة أخرى فى القبر كغيره، إذ يحيا ليُسأل، ثم لايموت، وهذا جواب الداودى.

وقيل: لايجمع الله موت نفسك وموت شريعتك، وهذا غريبٌ !!

قال هذا القائل: ويؤيده قول أبى بكر بعد ذلك فى خطبته:

«**من كان يعبد محمدًا، فإن محمدًا قد مات، ومن كان يعبد الله، فإن الله حيٌّ لايموت**» ويرجح بين هذه الأقوال ابن حجر العسقلانى فيقول:

المراد نفى الموت اللازم من الذى أثبته عمر ـ رضى الله عنه ـ بقوله: «وليبعثه

---

(1) عقرت: أى ذُهلتُ ودهشت وتحيرت.

(2) حديثٌ صحيحٌ: أخرجه ابن إسحاق (٢٠٩٥) كما فى السيرة، وأحمد (١/ ٢٣٤)، والطبرى (٣/ ٢٠٠) فى تاريخه، وعند أحمد متابعة من ابن أخى ابن شهاب لابن إسحاق.

(3) حديثٌ صحيحٌ: أخرجه البخارى (١٢٤١)، (١٢٤٢)، وأحمد (٦/ ٢٢٠)، والنسائى (٤/ ١١) وابن سعد (٢/ ٢٦٥)، والبيهقى (٧/ ٢١٤) فى الدلائل.

الله فى الدنيا . ، ليقطع أيدى القائلين بموته» .

وأحسن من هذا الجواب أن يقال: إن حياته ﷺ فى القبر لايعقبها موت، بل يستمر حيًا، والأنبياء أحياء فى قبورهم، ولعل هذا هو الحكمة فى تعريف الموتتين أى المعروفتين المشهورتين الواقعتين لكل أحدٍ غير الأنبياء .

وأما وقوع الحلف من عمر على ماذكره، فبناه على ظنه الذى أداه إليه اجتهاده .

وفيه بيان رجحان علم أبى بكر على عمر فَمَنْ دونه، وكذلك رجحانه عليهم لثباته فى مثل ذلك الأمر العظيم(١) .

ومن هذا الموقف يتعلم المؤمن الثبات فى المحن، وأحداث البلاء .

وما أروع موقف عمر بن الخطاب بعد ذهاب دهشته، وعودة رباطة الجأش إليه، عندما جاء من الغد، وأعلن أنه تسارع بالأمس فيما قال من مقالة .

يقول أنس بن مالك رضى الله عنه : لما توفى رسول الله ﷺ قام عمر بن الخطاب فى الناس خطيبًا فقال :

ألا لا أسمعن أحدًا يقول إن محمدًا قد مات، إن محمدًا لم يمت، ولكن أرسل إليه ربه كما أرسل إلى موسى بن عمران، فلبث عن قومه أربعين ليلة .

فيخبر أنس: أنه سمع عمر بن الخطاب من الغد، حين بويع أبو بكر فى مسجد رسول الله ﷺ، واستوى أبو بكر على منبر رسول الله ﷺ، قام عمر فتشهد قبل أبى بكر، ثم قال :

أما بعد فإنى قد قلت لكم أمس مقالة لم تكن كما قلت، وإنى والله ماوجدتها فى كتابٍ أنزله الله، ولافى عهدٍ عهده إلىَّ رسول الله ﷺ، ولكنى أرجو أن يعيش رسول الله ﷺ حتى يدبرنا، يقول: حتى يكون آخرنا، فاختار الله لرسوله ﷺ الذى عنده على الذى عندكم، وهذا كتاب الله هدى الله به رسوله ﷺ، فخذوا به تهتدوا بما هدى الله به رسوله ﷺ(٢) .

(١) انظر: الفتح (٣/ ١١٤)، (٨/ ١٤٥) .

(٢) **إسناده صحيح**: أخرجه ابن إسحاق (٢١٠٠) كما فى السيرة، وابن سعد (٢/ ٢٧٠) فى الطبقات الكبرى، وابن حبان (٨/ ٢١٣ ـ ٢١٤)، والطبرى (٣/ ٢١) فى تاريخه، وقال ابن كثير (٥/ ٢٤٨)، (٦/ ٣٠١) فى البداية: **إسناده صحيح** .

فعمر رضى الله عنه رجاعٌ إلى الحق، وأواب إلى الصواب، ولكن غلبته لأول وهلة شدة المفاجأة، وهول المصيبة .

ولكن بمجرد زوال تلك الغاشية، وتذكير الصديق له، ولِمَنْ كانوا معه بآيات القرآن الكريم، عاد سريعًا إلى الحق المبين .

فياليتنا نتصف بما أتصف به أصحاب نبينا ﷺ، وياليتنا نتخلق بما تخلق به أصحاب رسولنا ﷺ من الأخلاق الحميدة .

وعن هذه الآية الكريمة: ﴿**وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل**﴾[1]

يقول القرطبى المفسر: «هذه الآية أدلّ دليلٍ على شجاعة الصديق، وجراءته، فإن الشجاعة والجراءة حدهما ثبوت القلب عند حلول المصائب، ولا مصيبة أعظم من موت النبى ﷺ، فظهرت عنده شجاعته وعلمه .

قال الناس: لم يمت رسول الله ﷺ، منهم عمر، واضطرب الأمر، فكشفه الصديق بهذه الآية حين قدومه من مسكنه: ﴿**وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل**﴾ قال عمر: فكأنى لم أقرأها إلا يومئذ، ورجع عن مقالته التى قالها.

وكان قال ذلك لعظيم ما ورد عليه، وخشى الفتنة، وظهور المنافقين، فلما شاهد قوّة يقين الصديق الأكبر أبى بكر، وتفوهه بالآية، تَنَبّه وتثبت، وقال: كأنى لم أسمع بالآية إلا من أبى بكر، وخرج الناس يتلونها فى سكك المدينة، كأنها لم تنزل قط إلا ذلك اليوم»[2].

وتقص أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها ما شاهدته فى هذا اليوم العصيب، وما كان من موقف أبى بكر السديد، فتقول:

بينما رأسه ﷺ ذات يوم على منكبى إذ مال رأسه نحو رأسى، فظننت أنه يريد من رأسى حاجة، فخرجت من فيه ﷺ نطفة باردة، فوقعت على نحرى، فاقشعر لها جلدى، فظننت أنه غشى عليه، فسجيته ثوباً، فجاء عمر والمغيرة بن شعبة فاستأذنا، فأذنت لهما، وجذبتُ إلىَّ الحجاب، فنظر عمر إليه ﷺ، فقال:

---

(١) سورة آل عمران: ١٤٤ .

(٢) تفسير الجامع (٤/ ١٤٤) للقرطبى.

واغشياه، ما أشد غشى رسول الله ﷺ، ثم قاما، فلما دنوا من الباب قال المغيرة: يا عمر، مات رسول الله ﷺ!!

فقال عمر: كذبت، بل أنت رجل تحوسك[1] فتنةٌ، ولن يموت رسول الله ﷺ حتى يفنى المنافقين.

ثم جاء أبو بكر فرفعت الحجاب، فنظر إليه فقال: **إنا لله وإنا إليه راجعون، مات رسول الله ﷺ، ثم أتاه من قِبَل رأسه فحدر[2] فاه وقبّل جبهته، ثم قال**: وانبياه، **ثم رفع رأسه، ثم حدر فاه وقبل جبهته، ثم قال: واصفياه، ثم رفع رأسه، وحدر فاه وقبّل جبهته وقال: واخليلاه، مات رسول الله ﷺ.**

فخرج إلى المسجد وعمر يخطب الناس، ويتكلم، ويقول: إن رسول الله ﷺ لا يموت حتى يفنى المنافقين، فقال له أبو بكر: اسكت!

فسكت عمر، فصعد أبو بكر المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

إن الله عز وجل يقول: ﴿**إنك ميت وإنهم ميتون**﴾[3] حتى فرغ من الآية.

ثم قرأ: ﴿**وما محمد إلا رسولٌ قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قُتل أنقلبتم على أعقابكم**﴾[4] حتى فرغ من الآية، ثم قال:

من كان يعبد محمداً، فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حيٌّ لا يموت.

فقال عمر: وإنها لفى كتاب الله؟! ما شعرت أنها فى كتاب الله!!

هذا فى كتاب الله؟!! قال: نعم.

فقال عمر: يا أيها الناس، هذا أبو بكر، وهو ذو شيبة المسلمين، فبايعوه، فبايعه الناس[5].

---

(١) **تحوسك**: تخالط قلبك، وتحثك وتحركك.

(٢) **حدر**: أى أنزل.

(٣) سورة الزمر: ٣٠.

(٤) سورة آل عمران: ١٤٤.

(٥) إسناده حسن. وأخرجه ابن سعد (٢/٢٦٧)، وأحمد (١/٢١٩ ـ ٢٢٠)، وأورده الذهبى فى تاريخ الإسلام (٢/٥٦٣) وفى سنده ابن بابنوس لا بأس به، وقد توبع عليه.

وهكذا نتعلم من أبى بكر رضى الله عنه، الثبات فى مواطن الفتن والبلاء، والروية والتأنى عند نزول الشدائد والمصائب، وجواز تقبيل الميت.

ولعل موقفه فى الهجرة، وموقفه عند وفاة النبى ﷺ من المواقف العظيمة، التى يتجلى منها روح أبى بكر المنافحة عن الإسلام.

ولكن ماذا حدث بعد وفاة الرسول ﷺ؟

هذا السؤال بدوره يقودنا إلى الحديث عن استخلاف أبى بكر، وما واكب ذلك من أحداث لها شأن جليل فى حياة المسلمين.

اقرأ فى الصفحات التالية:

الفصل الخامس



استخلاف أبى بكر الصديق
فى السقيفة

لَمَّا ذكر أبو بكر - رضى الله عنه - قوله تعالى: ﴿**وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل**﴾ إلا وأخذ الناس يبكون، وعمر بن الخطاب فى دهشة مما سمع، حتى انجلى الأمر عنهم جميعاً، فأخذوا يشرعون فى تغسيل النبى ﷺ فى ثيابه، وتكفينه، ودفنه.

فماذا حدث بعد ذلك؟

تقص علينا أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها، فتقول: اجتمعت الأنصار إلى سعد بن عُبادة فى سقيفة بنى ساعدة[1]، فقالوا:

منا أميرٌ، ومنكم أمير، فذهب إليهم أبو بكر، وعمر، وأبو عبيدة، فذهب عمر يتكلم، فأسكته أبو بكر، وكان عمر يقول: والله ما أردتُ بذلك إلا أنى هيأتُ كلاماً قد أعجبنى خشيت أن لا يُبلِغَه أبو بكر، ثم تكلم أبو بكر فتكلم أبْلَغَ الناس[2]، فقال فى كلامه:

نحن الأمراء، وأنتم الوزراء.

فقال الحُبابُ بن المنذر[3]: لا والله لا نفعل، منا أميرٌ، ومنكم أمير[4].

---

(١) **السقيفة**: هو موضع مظلل له سقفٌ يُجتمع فيه، وكانت تلك السقيفة بجوار دار سعد بن عبادة كبير الأنصار.

(٢) بنصب أبلغ على الحال، ويجوز الرفع على الفاعلية، وقال السهيلى: النصب أوجه ليكون تأكيداً لمدحه، وصرف الوهم عن أن يكون أحد موصوفاً بذلك غيره.

(٣) صحابى جليل، وكان يقال له: ذو الرأى، مات فى خلافة عمر رضى الله عنهما. انظر ترجمته: الاستيعاب (١/ ٣١٦)، أسد الغابة (١/ ٤٣٦)، الإصابة (٢/ ٣١٦).

(٤) قول الحباب بن المنذر: منا أمير ومنكم أمير، يقول الخطابى:
إنما قالوا ذلك على عادة العرب الجارية بينهم أن لا يسود القبيلة إلا رجل منها، ولم يعلموا إذ ذاك أن حكم الإسلام بخلافه، فلما ثبت عندهم أن النبى ﷺ قال: «**الخلافة فى قريش**» أذعنوا له وبايعوا.
=

فقال أبو بكر: لا، ولكنا الأمراء، وأنتم الوزراء، قريشٌ هم أوسط العرب داراً[1]، وأكرمهم أحساباً[2]، فبايعوا عمر بن الخطاب أو أبا عبيدة[3].

فقال عمر: بل نُبايعك أنت، فأنت سيِّدنا، وخيرنا، وأحبُّنا إلى رسول الله ﷺ، فأخذ عمر بيده فبايعه، وبايعه الناس.

فقال قائلٌ: قتلتم سعد بن عبادة، فقال عمر: قتله الله[4].

قول عمر رضي الله عنه: سيدنا أى نسباً وحسباً، وخيرنا أى أفضلنا.

وأما قولهم: قتلتم سعد بن عبادة أى كدتم تقتلونه، وقيل: هو كناية عن الإعراض، والخذلان، والصواب المعنى الأول.

أما قول عمر رضي الله عنه: قتله الله أى اجعلوه كمن قُتل، واحسبوه فى عداد مَنْ مات وهلك، ولا تعتدوا بمشهده، ولا تُعرِّجوا على قوله.

فعمر ـ رضى الله عنه ـ لم يرد الأمر بقتله حقيقة، فهو دعاءٌ عليه، أو دعوة

= انظر: أعلام الحديث (٣/ ١٦٢٨) للخطابى.

وكذا قال ابن التين كما فى الفتح (٧/ ٣٢) ونقل عن القرطبى فى «المفهم» قوله: لوكان عند أحد من المهاجرين أو الأنصار نص من النبى ﷺ على تعيين أحدٍ بعينه للخلافة لما اختلفوا فى ذلك، ولا تفاوضوا فيه، وهذا قول جمهور أهل السنة.

واستند من قال إنه نص على خلافة أبى بكر بأصول كلية وقرائن حالية تقتضى أنه أحق بالإمامة، وأولى بالخلافة.

(١) **المراد بالدار**: مكة.

(٢) **أحساباً**: الحسب الفعال الحسان، مأخوذ من الحساب إذا عدوا مناقبهم، فمن كان أكثر كان أعظم حسباً، ويقال: **النسب** للآباء، **والحسب** للأفعال.

(٣) استشكل قول أبى بكر هذا مع معرفته بأنه الأحق بالخلافة بقرينة تقديمه فى الصلاة، وغير ذلك.

قال ابن حجر العسقلانى: والجواب أنه استحيى أن يزكى نفسه، فيقول مثلاً: رضيت لكم نفسى، وانضم إلى ذلك أنه علم أن كلا منهما لا يقبل ذلك، وقد أفصح عمر بذلك فى القصة، وأبو عبيدة بطريق الأولى لأنه دُون عمر فى الفضل باتفاق أهل السنة.

ويكفى أبا بكر كونه جعل الاختيار فى ذلك لنفسه، فلم ينكر ذلك عليه أحد، ففيه إيماءٌ إلى أنه الأحق، فظهر أنه ليس فى كلامه تصريحٌ بتخليه من الأمر.

(٤) **إسناده صحيحٌ**. أخرجه البخارى (٣٦٦٨)، وابن سعد (٢/ ٢٦٨، ٢٦٩) فى طبقاته، والطبرى (٣/ ٢٠٢، ٢٠٣) فى تاريخه، وأخرجه الترمذى (٣٧٣٦) مختصراً جداً.

لترك الاهتمام به[1].

ويروى ابن عباس رضى الله عنهما: موقف السقيفة حكاية عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه قال: كان من خبرنا حين توفى اللهُ نبيه ﷺ أن الأنصار خالفونا[2]، واجتمعوا بأسرهم فى سقيفة بنى ساعدة، وخالف منا علىٌّ، والزبير، ومَنْ معهما[3]، واجتمع المهاجرون إلى أبى بكر، فقلتُ لأبى بكر:

يا أبا بكر، انطلق بنا إلى إخواننا هؤلاء من الأنصار، فانطلقنا نريدهم، فلما دنونا منهم لقينا منهم رجلان صالحان[4]، فذكرا ما تمالأ[5] عليه القوم، فقالا:

أين تريدون يا معشر المهاجرين؟ فقلنا: نريد إخواننا هؤلاء من الأنصار.

فقال: لا عليكم أن لا تقربوهم، اقضوا أمركم.

فقلت: والله لنأتينهم، فانطلقنا حتى أتيناهم فى سقيفة بنى ساعدة، فإذا رجلُ مزمَّلٌ بين ظهرانيهم[6]، فقلت: من هذا؟ فقالوا: هذا سعد بن عبادة. فقلت: ماله؟ قالوا: يُوعك[7].

فلما جلسنا قليلاً تشهد خطيبهم، فأثنى على الله بما هو أهله، ثم قال:

أما بعد، فنحن الأنصار، وكتيبة[8] الإسلام، وأنتم معشر المهاجرين رهط[9]، وقد دَفَّت دافة[10] من قومكم، فإذا هم يريدون أن يختزلونا[11] من أصلنا، وأن

---

(١) انظر: لسان العرب (١١/ ٥٤٩)، فتح البارى (٧/ ٣٢).

(٢) أى لم يجتمعوا معنا فى منزل الرسول ﷺ للتشاور فيما آل إليه الأمر.

(٣) وفى رواية صحيحة أخرى: وأن علياً والزبير ومن كان معهما تخلفوا فى بيت فاطمة بنت رسول الله ﷺ.

(٤) زاد فى رواية: شهدا بدراً.

(٥) يعنى من اتفاقهم على أن يبايعوا سعداً.

(٦) أى: فى وسطهم، وأما مزمل يعنى ملفّف.

(٧) أى: يحصل له الوعك، وهو الحمى بنافض.

(٨) الكتيبة: جمعها كتائب، وهى الجيش المجتمع، وأطلق عليهم ذلك للمبالغة، كأنه قال لهم أنتم مجتمع الإسلام.

(٩) رهط: أى قليل.

(١٠) أى: عدد قليل، وأصله من الدف، وهو السير البطىء فى جماعة، أى أنتم قليل وتريدون أن تستأثروا علينا.

(١١) أى: يقتطعونا عن الأمر، وينفردوا به دوننا.

يحضنونا[١] من الأمر.

فلما سكت أردتُ أن أتكلم، وكنت قد زَوَّرت[٢] مقالة أعجبتنى، أريد أن أقدمها بين يديْ أبى بكر، وكنت أُدارى منه بعض الحد، فلما أردت أن أتكلم، قال أبو بكر: على رِسلك[٣].

فكرهت أنْ أغضبه، فتكلم أبو بكر، فكان هو أحلم منى وأوقر، والله ما ترك من كلمةٍ أعجبتنى فى تزويرى إلا قال فى بديهته مثلها أو أفضل منها حتى سكت.

فقال أبو بكر: ما ذكرتم فيكم من خيرٍ فأنتم له أهلٌ، ولن يُعرف هذا الأمر إلا لهذا الحى من قريشٍ، هم أوسط العرب نسباً وداراً، وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين[٤]، فبايعوا أيهما شئتم، فأخذ بيدى وبيد أبى عبيدة بن الجراح، وهو جالسٌ بيننا، فلم أكره مما قال غيرها، كان والله أن أقدم فتضرب عنقى لا يقربنى ذلك من إثمٍ أحبَّ إلىَّ من أن أتأمر على قومٍ فيهم أبو بكر، اللهم إلا أن تسوّل لى نفسى عند الموت شيئاً، لا أجده الآن.

فقال قائلٌ من الأنصار: أنا جُذيلها، المحكَّكَ[٥]، وعُذيقُها المرجَّبَ[٦]، منا

---

(١) أى: يخرجونا، يقال: حضنه واحتضنه عن الأمر، أخرجه فى ناحيةٍ عنه، واستبد به، أو حبسه عنه.

(٢) أى: هيأت وحسّنت.

(٣) يعنى: على مَهلك.

(٤) وهذا الفعل من أبى بكر رضى الله عنه يُرد إلى عدة أمور.

الأول: أن ذلك كان تواضعاً منه.

الثانى: لتجويزه إمامة المفضول مع وجود الفاضل، وإن كان من الحق له، فله أن يتبرع لغيره.

الثالث: أنه علم أن كلا منهما لا يرضى أن يتقدمه بقرينة الحال، فأراد بذلك الإشارة إلى أنه لو قُدّر أنه لا يدخل فى ذلك لكان الأمر منحصراً فيهما.

ومن ثم لما حضره الموت استخلف عمر لكون أبى عبيدة كان إذ ذاك غائباً فى جهاد الشام، متشاغلاً بفتحها. أفاده ابن حجر.

(٥) **الجذيل:** تصغير الجذل، وهو عودٌ يُنصب للإبل الجرباء لتحتك فيه، والمحكك أراد أنه يستشفى برأيه.

(٦) **العذيق:** تصغير عذق، وهو النخلة، المرجب أى يدعم النخلة إذا كثر حملها.

أميرٌ، ومنكم أمير يا معشر قريش.

فكثر اللغط[1]، وارتفعت الأصوات، حتى فَرِقتُ[2] من الاختلاف، فقلتُ: ابسط يدك يا أبا بكر، فبسط يده فبايعته، وبايعه المهاجرون، ثم بايعته الأنصار، ونزونا[3] على سعد بن عبادة، فقال قائلٌ منهم:

قتلتم سعد بن عبادة. فقلتُ: قتل الله سعد بن عبادة.

قال عمر: وإنا والله ما وجدنا فيما حضرنا من أمرٍ أقوى من مبايعة أبى بكر، خشينا إن فارقنا القوم، ولم تكن بيعة أن يبايعوا رجلاً منهم بعدنا، فإما بايعناهم على ما لا نرضى، وإما نخالفهم فيكون فساداً، فمن بايع رجلاً على غير مشورةٍ من المسلمين، فلا يتابع هو ولا الذى بايعه، تِغرَّةً أن يُقتلا[4] (أى: حذرا من القتل، والمعنى أن من فعل ذلك فقد غرر بنفسه وبصاحبه وعرضهما للقتل).

ومن هذا الموقف الذى بين أيدينا نستطيع أن نقول:

إن خطيب الأنصار الذى تحدث نيابة عنهم أخبر أن طائفة من المهاجرين أرادوا أن يمنعوا الأنصار من أمرٍ تعتقد الأنصار أنهم يستحقونه، وإنما عرَّض بذلك بأبى بكر وعمر، ومَنْ حضر معهما[5].

ولكن عندما سمعت الأنصار مقالة أبى بكر أيقنوا على الفور أن الخلافة لا تكون إلا فى قريش.

ولذا يقول العلامة أبو نُعيم الأصبهانى رحمه الله:

فإن اعترض المخالف بما قاله بعض فتيان الأنصار وأحداثهم وقولهم:

«منا أمير، ومنكم أمير».

---

(١) **اللغط**: كثرة الأصوات واختلاطها.

(٢) **فرقت**: أى خفتُ.

(٣) **نزونا**: أى وثبنا.

(٤) **إسناده صحيحٌ**. أخرجه البخارى (٦٨٣٠)، وابن إسحاق (٢٠٩٧) كما فى السيرة، وأحمد (١/ ٥٥، ٥٦)، والطبرى (٣/ ٢٠٤ ـ ٢٠٦) فى تاريخه.

(٥) انظر: الفتح (١٢/ ١٣٥).

قيل له: هذه مقالة من لا علم له منهم من شبابهم، وأحداثهم، إذ لا خلاف بين المسلمين أن الخلافة فى قريشٍ، والأئمة منهم.

ألا ترى كيف أذعنوا وانقادوا لما ذكر لهم الصديق أن العرب لا تعرف هذا الأمر إلا لهذا الحى من قريشٍ، الذين هم أوسط العرب نسباً وداراً، فأسرعوا إلى البيعة، وكفوا عما اجتمعوا له وولوا الأمر أهله، وعادوا إلى ما كانوا عليه من الوزارة، والنصرة فى حياته ﷺ متابعين مطيعين له مقرين بفضله وتقديمه.

فعن معاوية رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«إن هذا الأمر فى قريشٍ، لا يعاديهم أحدٌ إلا أكبه الله على وجهه ما أقاموا الدين»(1).

وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«الناس تبع لقريشٍ فى الخير والشر»(2).

وعن ابن عمر رضى الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ:

«لا يزال هذا الأمر فى قريشٍ ما بقى فى الناس اثنان»(3).

ولو كانت الإمامة فى غير قريش جائزة مع ما أخبر به النبى ﷺ أنه لا يتقدمهم أحدٌ من غيرهم لكان قول الحباب بن المنذر حين قال: منا أميرٌ، ومنكم أمير، محمولاً على النصرة، أو الوزارة لأن أهل الإسلام طراً قد أجمعوا على أنه لا يجوز كون خليفتين فى عهدٍ واحدٍ، ولا على قومٍ.

وكان ذلك مما أنكره غير المسلمين، لأن فيما سلف من الأمم من العرب والعجم، لم يكن قط أميران ولا خليفتان فى عهدٍ واحد، وكيف يلجأ إليه

---

(1) حديثٌ صحيحٌ. أخرجه البخارى (٣٥٠٠)، (٧١٣٩)، وأحمد (٤/ ٩٤، ٣٩٦)، وابن أبى عاصم (٢/ ٥٢٨) فى السنة.

(2) حديثٌ صحيحٌ. أخرجه مسلم(١٨١٩)، وأحمد (٣/ ٣٨١)، وابن أبى عاصم (٢/ ٦٣٥) فى السنة، وابن أبى شيبة(١٢/ ١٧٣) فى مصنفه، والبيهقى (٨/ ١٤١) فى سننه الكبرى.

(3) حديثٌ صحيحٌ. أخرجه البخارى (٤/ ٢١٨)،(٩/ ٧٨)، ومسلم (١٨٢٠)، وأحمد (٢/ ٢٩، ٩٣)، وابن أبى عاصم(٢/ ٥٣٢) فى السنة، والبيهقى(٨/ ١٤١)فى سننه الكبرى.

المهاجرون والأنصار لقوله: أنا جذيلها المحكك، وهو ما تلجأ إليه الإبل إذا ذهبت بالقطران تحتك لحاجتها إليه، إذ لا غنى لها عنه.

وإن كانت الأخبار لهم فضل وسيادة، فلا يكون قول عاقل منهم حجة، ألا ترى كيف عدلوا عن قول الحباب بن المنذر، وتركوه دبر آذانهم، وعقدوا فى مشهدهم ذلك بيعة الصديق - رضى الله عنه - عن رضى منهم واختيار[1].

وقد ذكر ابن عباس - رضى الله عنهما - فى حديثه والذى سبق ذكره - أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال للأنصار فيما قال من كلام:

«ليس فيكم من تقطع إليه الأعناق مثل أبى بكر».

وقال: لأن أقدم فيضرب عنقى فى غير ما يقربنى ذلك إلى إثم، أحبّ إلىّ من أن أتأمر على قوم فيهم أبو بكر.

ولأن عمر رضى الله عنه أعلم الناس بفضل أبى بكر، وأعرفهم بقدره، فقد كان أول مَنْ بايعه، وكان ذلك فى سقيفة بنى ساعدة، ثم كانت البيعةَ العامة، والتى سنتحدث عنها بعد قليل.

فالأنصار - رضى الله عنهم - يدركون أن النبى ﷺ لم يُوصِ إلى أحد بعينه، لذا فتشاوروا فى المسألة، وأما عمر رضى الله عنه - فيدرك أن النبى ﷺ نَبَّه على خلافة أبى بكر رضى الله عنه بأمر الصلاة.

ولذا يروى ابن عمر - رضى الله عنهما - فيقول: حضرتُ أبى حين أصيب، فأثنوا عليه وقالوا: جزاك الله خيراً، فقال: راغب وراهب.

قالوا: ألا تستخلف؟ فقال أتحملكم حياً وميتاً، لوددت أن حظى منكم الكفاف لا علىّ ولا لى، وإن أستخلف فقد استخلف من هو خيرٌ منى أبو بكر، وإن أترككم فقد ترككم من هو خيرٌ منى رسول الله ﷺ[2].

قال ابن عمر: فعلمتُ أنه غير مستخلف حين ذكر رسول الله ﷺ.

---

(١) **انظر:** تثبيت الإمامة (ص/ ٩٥ - ٩٦) لأبى نعيم.

(٢) **إسناده صحيحٌ.** أخرجه البخارى (٧١٢٨)، ومسلم (١٨٢٣)، وأبو داود (٢٩٣٩)، والترمذى (٢٣٢٧)، وأحمد (١/ ١٣، ٤٣، ٤٦، ٤٧).

قوله: «راغب وراهب» يحتمل أمرين:

أحدهما: أن الذين أثنوا عليه إما راغب فى حسن رأيى فيه، وتقربى له، وإما راهب من إظهار ما يضمره من كراهته، أو المعنى: راغب فيما عندى، وراهب منى.

أو المراد الناس راغب فى الخلافة، وراهب منها، فإن وليت الراغب فيها خشيت أن لا يُعان عليها، وإن وليت الراهب منها خشيت أن لا يقوم بها.

الثانى: أنهما وصفان لعمر أى راغب فيما عند الله، راهب من عقابه، فلا أعول على ثنائكم، وذلك يشغلنى عن العناية بالاستخلاف عليكم[1].

وقد أجمع أهل السنة على انعقاد الخلافة بالاستخلاف، وعلى انعقادها بعقد أهل الحل والعقد لإنسان حيث لا يكون هناك استخلاف غيره.

وعلى جواز جعل الخليفة الأمر شورى بين عدد محصور، أو غيره، وأجمعوا على أنه يجب نصب خليفة، وأن وجوبه بالشرع لا بالعقل[2].

لذا يقول النووى فى شرح مسلم:

إن المسلمين أجمعوا على أن الخليفة إذا حضره مقدمات الموت، وقبل ذلك يجوز له الاستخلاف، ويجوز له تركه.

فإن تركه فقد اقتدى بالنبى ﷺ فى هذا، وإلا فقد اقتدى بأبى بكر رضى الله عنه.

ولعلَّ ما رواه ابن مسعود ـ رضى الله عنه ـ يُبين لنا بجلاء أن الأنصار لم يقصدوا التقليل من قدر أبى بكر الصديق ـ رضى الله عنه ـ وإنما التبس عليهم الأمر، فلمَّا ذُكروا بفضل الصديق، وأن الإمارة يُشترط فيها القرشية أذعنوا لذلك، وبايعوا فى الحال.

فماذا روى ابن مسعود؟ يقول:

لما قُبِضَ رسول الله ﷺ قالت الأنصار: منا أمير ومنكم أمير، فأتاهم عمر،

---

(١) نقلاً عن الفتح (١٣/ ٢٠٧).

(٢) انظر: تحفة الأحوذى (٦/ ٤٧٩).

فقال يا معشر الأنصار، ألستم تعلمون أن أبا بكر قد أمره النبى ﷺ أن يَؤُمَّ الناس؟

قالوا: بلى. قال: فأيكم تطيب نفسُه أن يتقدم أبا بكر؟!

فقالت الأنصار: نعوذ بالله أن نتقدم أبا بكر[1].

ونفس هذا الخبر يروى بلفظٍ آخر كالتالى:

كان رجوع الأنصار يوم سقيفة بنى ساعدة بكلامٍ قاله عمر، قال:

أنشدكم بالله، أُمر أبو بكر أن يصلى بالناس؟ قالوا: اللهم نعم.

قال: فأيكم تطيب نفسه أن يُزيله عن مُقامه الذى أقامه فيه رسول الله ﷺ؟!!

قالوا: كلنا لا تطيب أنفسنا، نستغفر الله[2].

ويقص علينا صحابىٌّ جليلٌ من أهل الصفَّة موقف سقيفة بنى ساعدة من بدايته، فيقول رضى الله عنه: إن النبى ﷺ لما اشتد مرضه أُغمى عليه، فلما أفاق، قال: «**حضرت الصلاة؟**».

فقلت: نعم، فقال: «**مروا بلالاً فليؤذن، ومروا أبا بكر فليصل بالناس**».

فقالت عائشة رضى الله عنها: إن أبى رجلٌ أسيفٌ، فلو أمرت غيزه فليصلى بالناس

ثم أغمى عليه، فلما أفاق قال: «**أقيمت الصلاة؟**».

قلت: نعم، قال: «**مروا بلالاً فليؤذن، ومروا أبا بكر فليصل بالناس**».

فقالت عائشة: إن أبى رجلٌ أسيفٌ، فلو أمرت غيره فيصلى بالناس، ثم

---

(١) خبرٌ صحيحٌ. وإسناده حسنٌ. أخرجه أحمد (١/ ٣٩٦)، وابن سعد (٣/ ١٧٩) فى طبقاته، وابن أبى شيبة (٨/ ٥٧٢) فى مصنفه، والنسائى (١/ ١٢٦)، وابن أبى عاصم (١١٥٩) فى السنة، والحاكم (٣/ ٦٧) وصححه، وأقره الذهبى، وأورده فى تاريخ الإسلام (٣/ ٩) وفى سنده عاصم الأحول، وهو صدوقٌ، وقد توبع عليه من ابن أبى خالد، فى الرواية الأخرى.

(٢) خبرٌ صحيحٌ. أخرجه ابن الأثير فى أسد الغابة (٣/ ٣٣٢).

أغمى عليه، فأفاق، وقال: «**أقيمت الصلاة؟**».

قلت: نعم. قال: «**اءتونى بإنسان أعتمد عليه**» فجاء بريدة، وإنسان آخر فاعتمد عليهما، فأتى المسجد، فدخل وأبو بكر - رضى الله عنه - قائم يصلى بالناس، فذهب أبو بكر يتنحى، فمنعه رسول الله ﷺ، فأُجلس إلى جنب أبى بكر - رضى الله عنه - حتى فرغ من صلاته.

فلما قبض رسول الله ﷺ، وكانوا قوماً أميين لم يكن فيهم نبى قبله، فقال عمر رضى الله عنه: لا أسمع رجلاً يقول: مات رسول الله ﷺ إلا ضربته بسيفى هذا.

قال: فقالوا له: اذهب إلى صاحب رسول الله ﷺ فادعه، يعنى أبا بكر.

قال: فذهبت، فوجدتُه فى المسجد، فأجهشتُ أبكى. قال: لعل نبى الله توفى؟!

قلت: إن عمر قال: لا يتكلم أحدٌ بموته إلا ضربته بسيفى هذا!!

قال: فأخذ بذراعى فاعتمد عليه، وقام يمشى حتى جئنا، قال: أوسعوا، فأوسعوا له، حتى دخل، فأكب على رسول الله ﷺ حتى كاد وجهه يمس وجه رسول الله ﷺ، فنظر نفسه حتى استبان له أنه توفى، فقال: ﴿**إنك ميتٌ وإنهم ميتون**﴾[1].

قالوا: يا صاحب رسول الله ﷺ مات رسول الله؟ قال: نعم. فعلموا أنه كما قال. قالوا: يا صاحب رسول الله، أنصل على رسول الله ﷺ؟ قال: نعم. قالوا: كيف نصلى عليه؟ قال: يدخل نفرٌ منكم، فيكبرون، ويدعون، ويصلون ثم ينصرفون ويجىء آخرون حتى يفرغ الناس، فعلموا أنه كما قال.

قالوا: يا صاحب رسول الله، أيدفن رسول الله ﷺ؟ قال: نعم. قالوا: وأين يدفن؟ قال: حيث قبض الله روحه، فإن الله تعالى لم يقبضه إلا فى بقعة طيبة، فعلموا أنه كما قال، ثم قال: عندكم صاحبكم، فأمرهم يغسلونه.

---

(١) سورة الزمر: ٣٠.

ثم خرج فاجتمع إليه المهاجرون، أو اجتمع إليه منهم، يتشاورون، فقال: انطلقوا إلى إخواننا من الأنصار فإن لهم فى هذا الأمر نصيبًا. قال: فقال رجل من الأنصار: منا أمير، ومنكم أمير، فقام عمر، وأخذ بيد أبى بكر ـ رضى الله عنهما ـ فقال: «سيفان فى غمد إذن لا يصطحبان».

ثم قال: أخبرونى من له هذه الثلاثة:

﴿ثانى اثنين إذ هما فى الغار﴾ من هما؟

﴿إذ يقول لصاحبه لا تحزن﴾ من صاحبه؟

﴿إن الله معنا﴾(1) مع من؟

فأخذ عمر بيدى أبى بكر فبسطها، وضرب عليها، ثم قال للناس: بايعوه. فبايع الناس بيعة حسنة جميلة(2).

وهذه بيعة سقيفة بنى ساعدة، وتُسمّى بالبيعة الخاصة، فما البيعة العامة؟

هذا ما نتعرف عليه فى الصفحات التالية، ولكن بعد معرفتنا لسبب تأخر علىّ والزبير عن تلك البيعة الخاصة.

---

(1) سورة التوبة: ٤٠.

(2) **إسناده صحيحٌ**. أخرجه ابن ماجه(١٢٣٤)، وأبو نعيم(١/ ٣٧١)فى حلية الأولياء،كلاهما مختصراً على بعض أطرافه.

وأخرجه كاملاً: الطبرانى (٦٣٦٧) فى الكبير، وابن الأثير (٣/ ٣٣٠ ـ ٣٣٢) فى أسد الغابة، وقال الهيثمى فى مجمع الزوائد (٥/ ١٨٣):

رواه الطبرانى، ورجاله ثقات.

وقال البوصيرى فى الزوائد: إسناده صحيح، ورجاله ثقات.

ومن طريق آخر، أخرجه ابن الأثير (٢/ ٣١٠) فى أسد الغابة مختصراً.

مبايعة على بن أبى طالب للصديق

وردت أخبارٌ كثيرة فى شأن تأخر علىّ عن مبايعة الصديق ـ رضى الله عنهما ـ وكذا تأخر الزبير بن العوام وجُلّ هذه الأخبار ليس بصحيحٍ إلا ما رواه ابن عباس رضى الله عنهما عندما قال:

إن علياً والزبير، ومن كان معهما تخلفوا فى بيت فاطمة بنت رسول الله ﷺ[1].

فقد كان انشغال جماعة من المهاجرين، وعلى رأسهم على بن أبى طالب بأمر جهاز رسول الله ﷺ من تغسيل، وتكفين.

ويبدو ذلك واضحاً فيما رواه الصحابى سالم بن عبيد ـ رضى الله عنه ـ من أن أبا بكر قال لأهل بيت النبى، وعلى رأسهم على:

عندكم صاحبكم، فأمرهم يغسلونه[2].

فتأخر علىٌّ عن الذهاب إلى سقيفة بنى ساعدة لأمر وجيه، وليس كما يدعى بعض الرواة لخلافه واعتراضه على استخلاف غيره، فعلىٌّ أَجَلّ من أن يوصف بالحرص على الإمارة.

بل وصل الحال أن استنتج البعض من بعض الروايات أن علياً ظل لمدة ستة أشهر لم يبايع الصديق فيها!!!

ولعلّ أصدق ردّ أن نستمع إلى أبى سعيد الخدرى ـ رضى الله عنه ـ وهو يروى لنا ما حفظه عن حادثة السقيفة، يقول: لما تُوفى رسول الله ﷺ قام خُطباء الأنصار، فجعل منهم مَنْ يقول:

يامعشر المهاجرين إن رسول الله ﷺ كان إذا استعمل رجلاً منكم قرن معه رجلاً منا، فنرى أن يلى هذا الأمر رجلان منا ومنكم.

(١) حديثٌ صحيحٌ. سبق تخريجه.

(٢) حديثٌ صحيحٌ. سبق تخريجه. وانظر: مسند أحمد (١/٨)، وتاريخ الطبرى (٣/٢١١، ٢١٢) فقد ذكر على بن أبى طالب فيمن قاموا بتغسيل النبى ﷺ.

قال: وتتابعت خطباء الأنصار على ذلك، فقام زيد بن ثابت فقال: إن رسول الله ﷺ كان من المهاجرين، ونحن أنصاره، كما كنا أنصار رسول الله ﷺ، فقام أبو بكر فقال:

جزاكم الله خيرًا من حيٍّ يامعشر الأنصار، وثبت قائلكم، أما والله لو فعلتم غير ذلك لما صالحناكم، ثم أخذ عمر[1] بيد أبى بكر فقال: هذا صاحبكم فبايعوه.

فبايعه عمر، وبايعه المهاجرون، والأنصار، قال: فصعد أبو بكر المنبر، فنظر فى وجوه القوم، فلم ير علياً، فدعا بعلى بن أبى طالب، فقام ناسٌ من الأنصار، فأتوا به.

فقال أبو بكر: ابن عم رسول الله، وختنه[2]، أردت أن تشُقَّ عصا المسلمين؟ فقال علىٌّ: لاتثريب [3] ياخليفة رسول الله، فبايعه.

ثم لم ير الزبير بن العوام، فسأل عنه حتى جاءوا به، فقال أبو بكر:

ابن عمة رسول الله، وحواريّه، أردت أن تشق عصا المسلمين؟ فقال الزبير: لاتثريب ياخليفة رسول الله، فبايعه[4].

هذا الخبر العظيم المعنى، الصحيح السند، جعل أهل العلم يحرصون على سماعه، وعلى رأسهم الإمام مسلم.

فيقول الحافظ ابن خزيمة: جاءنى مسلم بن الحجاج فسألنى عن هذا الحديث فكتبته له فى رقعة، وقرأت عليه، فقال: هذا حديث يسوى بدنة.

---

(١) فى بعض طرق هذه الرواية ذكر زيد موضع عمر بن الخطاب، والأصح ما ذكرناه، وهى رواية بندار بن بشار، وأبى هشام المخزومى عن وهيب.

(٢)أى زوج ابنته.

(٣) التثريب: كالتأنيب والتعيير، ولاتثريب أى لا إفساد، وكأن على بن أبى طالب ينفى أنه يقصد بتأخره شق عصا المسلمين، فهو لايريد فسادًا بحال.

(٤) **إسناده صحيح:** أخرجه أحمد (٥/ ١٨٥، ١٨٦)، وابن أبى شيبة (٨/ ٥٦٩) فى مصنفه، والحاكم (٣/ ٧٦) وصححه، والبيهقى (٨/ ١٤٣) فى سننه الكبرى، وذكر الكلام المنقول عن مسلم بسنده إليه.
وصححه ابن كثير فى البداية(٥/ ٢٤٩).

فقلت: يسوى بدنة[١] ؟! بل يسوى بدرة[٢].

ويعلق على هذا الحديث ابن كثير ـ رحمه الله ـ فيقول:

هذا إسنادٌ صحيحٌ محفوظٌ، وفيه فائدة جليلة، وهى مبايعة على بن أبى طالب إما فى أول يوم، أو فى اليوم الثانى من الوفاة، وهذا حقٌّ، فإن على بن أبى طالب لم يفارق الصديق فى وقتٍ من الأوقات، ولم ينقطع فى صلاةٍ من الصلوات خلفه.

وهنا نزيد القارئ المسلم بيانا فنقول: إن علياً ـ رضى الله عنه ـ بايع أبا بكر فى السقيفة كما مرَّ بنا، ثم لما حدث، وجدّد علىٌّ البيعة بعد وفاة فاطمة رضى الله عنها، ظن البعض أنه تأخر عن البيعة من بدايتها.

تروى عائشة ـ رضى الله عنها ـ فتقول: إن فاطمة بنت رسول الله ﷺ أرسلت إلى أبى بكرٍ تسأله ميراثها من رسول الله ﷺ مما أفاء الله عليه بالمدينة وفدك[٣]، وما بقى من خُمس خيبر، فقال أبو بكر: إن رسول الله ﷺ قال: **«لانورث ماتركناه صدقة»** [٤] إنما يأكل آل محمد ﷺ من هذا المال.

وإنى والله لا أُغير شيئاً من صدقة رسول الله ﷺ عن حالها التى كانت عليه فى عهد رسول الله ﷺ، ولأعملن فيها بما عمل به رسول الله ﷺ.

فأبى أبو بكر أن يدفع إلى فاطمة منها شيئاً، فوجدت فاطمة على أبى بكر فى ذلك فهجرته، فلم تُكلمه حتى تُوُفِّيت، وعاشت بعد النبى ﷺ ستة أشهر.

فلما تُوفيت دفنها زوجها علىٌّ ليلاً، ولم يؤذن بها أبا بكر، وصلى عليها[٥]،

(١) البدنة: ناقةٌ أو بقرةٌ تُنحر بمكة، وسُمّيت بذلك لأنهم كانوا يُسمنونها، فلعظمها وضخامتها سُمّيت البدنة.

(٢) البدرة: كيسٌ فيه ألف أو عشرة آلاف دينار، والمعنى: أنه كنزٌ ثمينٌ.

(٣) فدك: بفتح الفاء والدال، بلد بينها وبين المدينة ثلاث مراحل.

(٤) أى الذى تركناه فهو صدقة، والحكمة فى أن أنبياء الله لا يورثون: أنه لايؤمن فى الورثة من يتمنى موته فيهلك، ولئلا يظن بهم الرغبة فى الدنيا لوارثهم فيهلك الظان، وينفر الناس عنهم.

(٥) كان ذلك بوصية منها لإرادة الزيادة فى التستر، ولعله لم يعلم أبا بكر بموتها لأنه ظن أن ذلك لا يخفى عنه، وليس فى الخبر مايدل على أن أبا بكر لم يعلم بموتها. انظر: الفتح (٧/ ٤٩٤).

وكان لعليّ من الناس وجهٌ حياة فاطمة، فلما توفيت استنكر عليٌّ وجوه الناس[1]، فالتمس مصالحة أبي بكر ومبايعته[2]، ولم يكن يبايع تلك الأشهر[3]. فأرسل إلى أبي بكر: أن ائتنا، ولايأتي معك أحدٌ، كراهة لمحضر عمر[4].

(١) أى كان الناس يزيدون فى احترامه إكراماً لفاطمة ـ رضى الله عنها ـ فلما ماتت، واستمر على عدم الحضور عند أبى بكر قصر الناس عن ذلك الاحترام لإرادة دخوله فيما دخل فيه الناس، ولذلك قالت عائشة فى آخر الحديث: «لما جاء وبايع كان الناس قريباً إليه، حين راجع الأمر بالمعروف».
وكأنهم كانوا يعذرونه فى التخلف عن أبى بكر فى مدة حياة فاطمة لشغله بها وتمريضها، وتسليتها عما هى فيه من الحزن على أبيها ﷺ، ولأنها لما غضبت من رد أبى بكر عليها فيما سألته من الميراث، رأى عليٌّ أن يوافقها فى الانقطاع عنه. أفاده ابن حجر فى المرجع السابق.

(٢) يعنى البيعة العامة، وإلا فالبيعة الخاصة مرت كما سبق فى حديث أبى سعيد الخدرى.

(٣) **قال المازرى**: العذر لعلى فى تخلفه مع ما اعتذر هو به أنه يكفى فى بيعة الإمام أن يقع من أهل الحل والعقد، ولايجب الاستيعاب، ولا يلزم كل أحد أن يحضر عنده، ويضع يده فى يده، بل يكفى طاعته والانقياد له بأن لا يخالفه، ولا يشق العصا عليه، وهذا كان حال على لم يقع منه إلا التأخر عن الحضور عند أبى بكر.
وقال النووى: أما تأخر على ـ رضى الله عنه ـ عن البيعة فقد ذكره فى الحديث، واعتذر أبو بكر ـ رضى الله عنه ـ ومع هذا فتأخره ليس بقادحٍ فى البيعة، ولافيه.
أما البيعة فقد اتفق العلماء على أنه لا يشترط لصحتها مبايعة كل الناس، ولا كل أهل الحل والعقد، وإنما يشترط مبايعة من تيسر إجماعهم من الرؤساء والعلماء، ووجوه الناس.
وأما عدم القدح فيه للعذر المذكور فى الحديث، ولم يكن انعقاد البيعة، وانبرامها متوقفاً على حضوره، فلم يجب عليه الحضور لذلك، ولالغيره، فلما لم يجب لم يحضر، وما نُقل عنه قدح فى البيعة، ولامخالفة، ولكن بقى فى نفسه عتب، فتأخر حضوره إلى أن زال العتب. انظر: الفتح (٧/ ٤٩٤)، شرح النووى على مسلم (١٢/ ٧٨).

(٤) السبب فى ذلك ما ألفوه من قوة عمر وصلابته فى القول والفعل، وكان أبو بكر رقيقاً ليناً، فكأنهم خشوا من حضور عمر كثرة المعاتبة التى قد تفضى إلى خلاف ماقصدوه من المصافاة.
وقال النووى: أما كراهيتهم لمحضر عمر، فلما علموا من شدته، وصدعه بما يظهر له، فخافوا أن ينتصر لأبى بكر رضى الله عنه فيتكلم بكلامٍ يوحش قلوبهم على أبى بكر، وكانت قلوبهم قد طابت عليه، وانشرحت له فخافوا أن يكون حضور عمر سبباً لتغيرها.
انظر: الفتح (٧/ ٤٩٤)، شرح النووى (١٢/ ٧٨).

فقال عمر لأبى بكر: لا والله، لا تدخل عليهم وحدك[1].

فقال أبو بكر: وما عساهم أن يفعلوا بى؟! والله لآتينهم، فدخل عليهم أبو بكر[2]، فتشهد علىٌّ، ثم قال:

إنا قد عرفنا يا أبا بكر فضلك، وما أعطاك الله، ولم ننفس [3] عليك خيراً ساقه الله إليك، ولكنك استبددت بالأمر[4]، وكنا نرى لقرابتنا من رسول الله ﷺ نصيبا[5]، حتى فاضت عينا أبى بكر[6].

فلما تكلم أبو بكر قال: والذى نفسى بيده لقرابة رسول الله ﷺ أحبُّ إلىَّ من أن أصل قرابتى، وأما الذى شجر [7] بينى وبينكم من هذه الأموال، فإنى لم آل فيها عن الحق، ولم أترك أمراً رأيتُ رسول الله ﷺ يصنعه فيها إلا صنعته.

---

(١) معناه: أن عمر ـ رضى الله عنه خاف أن يغلظوا على أبى بكر فى المعاتبة، ويحملهم على الإكثار من ذلك لين أبى بكر، وصبره عن الجواب عن نفسه، وربما رأى من كلامهم ما غير قلبه، فيترتب على ذلك مفسدة خاصة أو عامة، وإذا حضر عمر امتنعوا من ذلك.
فالمراد من قوله: لاتدخل عليهم، لئلا يتركوا من تعظيمك مايجب لك.

(٢) فيه دليلٌ على أن إبرار القسم إنما يؤمر به الإنسان إذا أمكن احتماله بلا مشقة، ولا تكون فيه مفسدة، وعلى هذا يحمل الأمر النبوى بإبرار القسم.

(٣) ننفس: بفتح الفاء، أى لم نحسدك.

(٤) أى لم تشاورنا فى الخلافة.

(٥) فسبب العتب من علىٍّ أنه مع وجاهته، وفضيلته فى نفسه، وقربه من النبى ﷺ، وغير ذلك لم يستشر فى مسألة الخلافة أولاً.
وكان عذر أبى بكر وعمر وسائر الصحابة واضحاً لأنهم رأوا المبادرة بالبيعة من أعظم مصالح المسلمين، وخافوا من تأخيرها حصول خلاف، ونزاع يترتب عليه مفاسد عظيمة، ولهذا أخروا دفن النبى ﷺ حتى عقدوا البيعة لكونها كانت أهم الأمور كيلا يقع نزاع فى مدفنه، أو كفنه، أو غسله، أو الصلاة عليه، أو غير ذلك، وليس لهم من يفصل الأمور، فرأوا تقدم البيعة أهم الأشياء.
فالعذر لأبى بكر ـ رضى الله عنه ـ أنه خشى من التأخر عن البيعة الاختلاف لما كان وقع من الأنصار كما تقدم فى خبر السقيفة، فلم ينتظروه، بل جىء به للمبايعة على الفور كما سبق بيانه فى حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه.

(٦) أى: لم يزل علىٌّ يذكر قرابته من رسول الله ﷺ حتى فاضت عينا أبى بكر من الرقة.

(٧) شجر: يعنى الاختلاف والمنازعة.

فقال علىٌّ لأبى بكر: موعدك العشية [1] للبيعة.

فلما صلَّى أبو بكر صلاة الظهر رقى [2] على المنبر فتشهد، وذكر شأن على وتخلفه عن البيعة وعذره بالذى اعتذر به إليه، ثم استغفر الله.

وتشهد علىٌّ فعظَّمَ حق أبى بكر وذكر فضيلته، وسابقته، وأنه لم يحمله على الذى صنع نفاسة على أبى بكر، ولا إنكاراً للذى فضَّلهُ الله به، ولكنا كنا نرى لنا فى هذا الأمر نصيباً، فاستبد علينا به، فوجدنا فى أنفسنا[3].

فسُرَّ بذلك المسلمون، وقالوا: أصبت، فكان المسلمون إلى علىٍّ قريباً [4] حين راجع الأمر بالمعروف[5].

يقول العلامة ابن كثير رحمه الله:

فهذه البيعة التى وقعت من على بن أبى طالب رضى الله عنه ـ بعد وفاة فاطمة ـ رضى الله عنها ـ بيعة مؤكدة للصلح الذى وقع بينهما، وهى ثانية للبيعة التى ذكرناها أولاً يوم السقيفة، كما رواه ابن خزيوة، وصححه مسلم بن الحجاج، ولم يكن مجانباً لأبى بكر هذه الستة الأشهر، بل كان يصلى وراءه، ويحضر عنده للمشورة.

وفى صحيح البخارى أن أبا بكر ـ رضى الله عنه ـ صلى العصر بعد وفاة رسول الله ﷺ بليال، ثم خرج من المسجد، فوجد الحسن بن على يلعب مع الغلمان، فاحتمله على كاهله، وجعل يقول: يا بأبى شبه النبى، ليس شبيهاً بعلى، وعلى يضحك[6].

---

(١) **العشية**: هى من زوال الشمس.

(٢) **رقى**: علا.

(٣) قال القرطبى: مَنْ تأمل مادار بين أبى بكر وعلى من المعاتبة، ومن الاعتذار، وماتضمن ذلك من الإنصاف عرف أن بعضهم كان يعترف بفضل الآخر، وأن قلوبهم، كانت متفقة على الاحترام والمحبة، وإن كان الطبع البشرى قد يغلب أحياناً، لكن الديانة ترد ذلك.

(٤) أى كان ودهم له قريباً عندما دخل فيما دخل فيه الناس.

(٥) **حديثٌ صحيحٌ**: أخرجه البخارى (٣٠٩٢)، (٤٢٤٠)،(٤٢٤١)، ومسلم (١٧٥٩)، وابن سعد(٨/ ٢٨) فى طبقاته، وأحمد(٦/ ١٤٥)، وأبو داود(٢٩٦٨)، (٢٩٦٩)، (٢٩٧٠).

(٦) **خبرٌ صحيحٌ**: أخرجه البخارى (٣٧٥٠).

ولكن لما وقعت هذه البيعة الثانية اعتقد بعض الرواة أن علياً لم يبايع قبلها، فنفى ذلك، والمثبت مقدم على النافي.

وأما غضب فاطمة ـ رضي الله عنها وأرضاها ـ على أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ فما أدرى ما وجهه، فإن كان لمنعه إياها ما سألته من الميراث فقد اعتذر إليها بعذرٍ يجب قبوله، وهو ما رواه عن أبيها رسول الله ﷺ أنه قال: «لانورث ما **تركناه صدقة**».

وهي ممن ينقاد لنص الشارع الذي خفى عليها قبل سؤالها الميراث، كما خفى على أزواج النبي ﷺ حتى أخبرتهن عائشة بذلك، ووافقنها عليه.

وليس يظن بفاطمة ـ رضي الله عنها ـ أنها اتهمت الصديق فيما أخبرها به، وحاشاه من ذلك، كيف وقد وافقه على رواية هذا الحديث: عمر، وعثمان، وعلي، والعباس، وعبد الرحمن بن عوف وطلحة، والزبير، وسعد بن أبي وقاص، وأبو هريرة، وعائشة رضي الله عنهم أجمعين.

ولو تفرد بروايته الصديق ـ رضي الله عنه ـ لوجب على جميع أهل الأرض قبول روايته، والانقياد له في ذلك.

وإن كان غضبها لأجل ما سألت الصديق إذ كانت هذه الأراضي صدقة لا ميراثاً أن يكون زوجها ينظر فيها، فقد اعتذر بما حاصله أنه لما كان خليفة رسول الله ﷺ فهو يرى أن فرضاً عليه أن يعمل بما كان يعمله رسول الله ﷺ ويلي ماكان يليه رسول الله ﷺ(1).

وهي امرأةٌ من بنات آدم تأسف كما يأسفن، وليست بواجبة العصمة مع وجود نص رسول الله ﷺ، ومخالفة أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وهو الصادق، البار، الراشد، التابع للحق، واحتاج عليٌّ أن يراعي خاطرها بعض الشيء، فلما ماتت ـ رضي الله عنها ـ رأى أن يُجدد البيعة(2).

وقد جاء التصريح بأسباب تأخر علي والزبير عن البيعة فيما رواه عبد الرحمن

---

(1) انظر : البداية(٥/ ٢٨٧) لابن كثير.
(2) المصدر السابق (٥/ ٢٨٩).

ابن عوف رضى الله عنه فى الخبر التالى، يقول:

قام أبو بكر فخطب الناس واعتذر إليهم، وقال: والله ماكنت حريصاً على الإمارة يوماً، ولا ليلة قط، ولا كنت فيها راغباً، ولا سألتها الله عز وجل فى سر ولا علانية، ولكنى أشفقتُ من الفتنة، ومالى فى الإمارة من راحة، ولكن قُلدت أمراً عظيماً، مالى به من طاقة ولايد إلا بتقوية الله عز وجل، ولوددت أن أقوى الناس عليها مكانى اليوم، فقبل المهاجرون منه ماقال، وما اعتذر به.

قال علىٌّ ـ رضى الله عنه ـ والزبير: ماغضبنا إلا لأنا قد أخرنا عن المشاورة، وإنا نرى أبا بكر أحق الناس بها بعد رسول الله ﷺ، إنه لصاحب الغار، وثانى اثنين، وإنا لنعلم بشرفه وكبره، ولقد أمره رسول الله ﷺ بالصلاة بالناس، وهو حىٌّ [٣].

(١) إسناده صحيحٌ: أخرجه الحاكم (٣/ ٦٦ـ٦٧) وصححه، وأقره الذهبى

البيعة العامة لأبى بكر الصديق
فى المسجد النبوى

هذه هى البيعة العامة التى انعقدت فى المسجد، وكانت جامعة ومؤكدة لخلافة أبى بكر الصديق رضى الله عنه.

وفى هذا يروى أنس ـ رضى الله عنه ـ فيقول: لما بويع أبو بكر فى السقيفة، وكان الغد جلس أبو بكر على المنبر، فقام عمر فتكلم قبل أبى بكر، فحمد الله، وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال:

أيها الناس، إنى قد كنت قلت لكم بالأمس مقالة ما كانت، وما وجدتها فى كتاب الله، ولا كانت عهداً عهده إلىَّ رسول الله ﷺ ولكنى قد كنت أرى أن رسول الله ﷺ سيدبر أمرنا، يقول: يكون آخرنا.

وإن الله أبقى فيكم كتابه الذى به هدى الله رسوله ﷺ، فإن اعتصمتم به هداكم الله لما كان هداه له، وإن الله قد جمع أمركم على خيركم صاحب رسول الله ﷺ، ثانى اثنين إذ هما فى الغار، فقوموا فبايعوا، فبايع الناس أبا بكر بيعته العامة بعد بيعة السقيفة، وكانت طائفة منهم قد بايعوه قبل ذلك فى سقيفة بنى ساعدة، وكانت بيعة العامة على المنبر.

ثم تكلم أبو بكر، فحمد الله وأثنى عليه بالذى هو أهله، ثم قال:

أما بعد.

أيها الناس، فإنى قد وليت عليكم، ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينونى، وإن أسأت فقومونى، والصدق أمانة، والكذب خيانة، والضعيف فيكم قوى عندى حتى أريح عليه حقه إن شاء الله، والقوى فيكم ضعيف عندى حتى آخذ الحق منه إن شاء الله، لايدع قوم الجهاد فى سبيل الله إلا ضربهم الله بالذل، ولاتشيع الفاحشة فى قوم قط إلا عمهم الله بالبلاء، أطيعونى ما أطعت الله ورسوله، فإذا عصيت الله ورسوله، فلا طاعة لى عليكم، قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله[1].

(١) خبر صحيح: أخرجه البخارى (٧٢١٩) مختصراً، وابن إسحاق (٢١٠٠) كما فى =

وقوله: «**وليت عليكم ولست بخيركم**» من باب الهضم والتواضع، فإنهم مجمعون على أنه أفضلهم، وخيرهم - رضى الله عنه .

وهكذا تم استخلاف الصديق على المسلمين، وعلى ديار الإسلام، فكان أول الخلفاء الراشدين، رضى الله عنهم أجمعين.

وكان أبو بكر من يومها يقول: أنا خليفة رسول الله ﷺ، وكذلك كان يُدعى: ياخليفة رسول الله، وكان عُمر يُدعى خليفة أبى بكر صدراً من خلافته حتى تسمَّى بأمير المؤمنين رضى الله عنهما[1].

=السيرة كاملاً، وعنه الطبرى (٣/ ٢١٠) فى تاريخه، وابن حبان (٦٥٨٦)، (٦٨٣٦).
(١) انظر :الاستيعاب (٣/ ٩٧١).

صفة بيعة الصحابة للصديق

وعن هيئة البيعة العامة التى تمت فى المسجد النبوى، يقص واحدٌ ممن حضروا هذا المشهد، فيقول ابن العفيف ـ رضى الله عنه ـ، وكان قد أدرك النبى ﷺ، لكنه لم يسمع منه لصغره.

رأيتُ أبا بكر، وهو يبايع الناس بعد رسول الله ﷺ، فيجتمع إليه العصابة، فيقول: تبايعونى على السمع، والطاعة لله، ولكتابه ثم للأمير؟

فيقولون: نعم، فيبايعهم.

فقمتُ عنده ساعة ـ وأنا يومئذ المحتلم أو فوقه ـ فتعلمتُ شرطه الذى شرط على الناس، ثم أتيته، فقلت وبدأته، قلت:

أنا أبايعك على السمع، والطاعة لله، ولكتابه، ثم للأمير.

فصعد فىّ البصر، ثم صوّبه، ورأيتُ أنى أعجبته رحمه الله[1].

---

(١) إسناده حسن: أخرجه البيهقى (٨/ ١٤٦، ١٤٧) فى سننه الكبرى، وأورده ابن الأثير (٦/ ٣٤٣) فى أسد الغابة، وعزاه لابن منده، وأبى نُعيم.

أول عمل فى خلافة الصديق

لعلَّ من الأعمال الجليلة التى قام بها أبو بكر الصديق، إنفاذه جيش أسامة بن زيد، وهذا العمل يُعدّ أول عمل من أعمال الصديق فى خلافته.

ولم يكن الصديق هو المشير بقيام هذا الجيش، وإعداده، إنما كان النبى ﷺ، وكان حريصاً على إنفاذه، ولكن وافته المنية.

فإن رسول الله ﷺ بعث أسامة بن زيد فى مرضه الذى تُوفىَ فيه، حتى طعن أقوامٌ فى إمارته لصغر سنه، فغضب النبى ﷺ لذلك.

يروى عبد الله بن عمر - رضى الله عنهما - أن رسول الله ﷺ بعث بعثاً، وأمَّرَ عليهم أسامة بن زيد، فطعن الناس فى إمارته، فقام رسول الله ﷺ فقال:

«إن تطعنوا فى إمارته، فقد كنتم تطعنون فى إمارة أبيه من قبل، وايم الله إن كان لخليقاً للإمارة، وإن كان لمن أحبِّ الناس إلىَّ، وإن هذا لمن أحب الناس إلىَّ بعده» «فاستوصوا به خيراً، فإنه من خياركم»[1].

وكانت سرية أسامة آخر سرية جهزها النبى ﷺ، وأول شيء جهزه أبو بكر رضى الله عنه، وقد كان رأيه إمضاء ما أمر الرسول ﷺ بإمضائه، وهذا يذكرنا بقول الصديق رضى الله عنه:

«لم أترك أمرًا رأيتُ رسول الله ﷺ يصنعه إلا صنعته»[2].

ويصف لنا مؤرخ الإسلام ابن كثير أهمية هذا الموقف، فيقول رحمه الله:

لما مات النبى ﷺ عَظُم الخطب، واشتد الحال، ونجم النفاق بالمدينة، وارتد مَنْ ارتد من أحياء العرب حول المدينة، وامتنع آخرون من أداء الزكاة إلى

---

(١) حديثٌ صحيحٌ: أخرجه البخارى (٤٤٦٩)، ومسلم (٢٤٢٦)، والترمذى (٣٨١٨)، والنسائى (٨١٨١)، (٨١٨٥)، (٨١٨٦) فى الكبرى، وأحمد (٢/ ٢٠، ٨٩، ١٠٦، ١١٠)، وابن حبان (٧٠٠٤)، والبغوى (٣٩٣٩) فى شرح السنة، وابن سعد (٤/ ٦٥) فى طبقاته.

(٢) سبق تخريجه.

الصديق.

ولما وقعت هذه الأمور، أشار كثيرٌ من الناس على الصديق أن لا ينفذ جيش أسامة لاحتياجه إليه فيما هو أهم، لأن ما جُهِّز بسببه فى حال السلامة.

وكان من جملة مَنْ أشار بذلك عمر بن الخطاب، فامتنع الصديق من ذلك، وأبى أشد الإباء، إلا أن ينفذ جيش أسامة، فكان خروجه فى ذلك الوقت من أكبر المصالح، والحالة تلك.

فساروا لا يمرون بحيّ من أحياء العرب إلا أرعبوا منهم، وقالوا:

ماخرج هؤلاء من قوم إلا وبهم منعة شديدة[1].

وهكذا استن أبو بكر بسُنة الرسول ﷺ، وأمر بإنفاذ أمره بسرية أسامة بن زيد، ورضى الله عن على بن أبى طالب الذى قال:

«قبض رسول الله ﷺ على خير ماقبض عليه نبى من الأنبياء، ثم استخلف أبو بكر، فعمل بعمل رسول الله ﷺ وبسنته»[2].

---

(١) انظر: البداية والنهاية (٦/ ٣٤٣، ٣٤٤)، تهذيب ابن عساكر (٢/ ٣٩٧)، سير أعلام النبلاء (٢/ ٤٩٧)، والإصابة (١/ ٢٩)، وتاريخ الطبرى (٣/ ٢٢٣، ٢٢٧) لكن جُلّ مروياته عن سيف الضبى، وهو ضعيف جدًا، ولذلك لم نورد شيئاً منها.

(٢) **إسناده حسن**: أخرجه ابن أبى شيبة (٨/ ٥٧٣)

قتال أبى بكر الصديق للمرتدين

لما أرتد من العرب مَنْ ارتد، واختلف الناس، قام الصديق بقتال أهل الردة، بعد إظهاره للحجة فى قتالهم.

فظهر من فضل رأيه فى ذلك، وشدته مع لينه مالم يكن بحسبان الكثير من المسلمين، فأظهر الله تعالى به دينه، وأبطل عمل المرتدين، حتى عادت العزة للإسلام والمسلمين.

ويوضح لنا شدة فتنة المرتدين ما ترويه أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها تقول: «توفى رسول الله ﷺ فنزل بأبى بكر ما لو نزل بالجبال لهاضها(١)، اشرأب(٢) النفاق بالمدينة، وارتدت العرب، فوالله ما اختلفوا فى نقطةٍ إلا طار أبى بحظها، وفنائها فى الإسلام»(٣).

فهذا الخبر يوضح لنا مدى الخطورة التى وصل إليها حال الدولة الإسلامية بسبب حركة الردة، والمرتدين.

ولكن ماذا كان رأى أبى بكر فيهم؟

لقد أعلن عليهم الجهاد، وجيّش الجيوش بعد أن أقنع عمر بن الخطاب وغيره بما لديه من حجج وبراهين.

يقول أبو هريرة ـ رضى الله عنه ـ: لما تُوفى رسول الله ﷺ، وكان أبو بكر، وكفر مَنْ كفر من العرب، قال عمر بن الخطاب لأبى بكر:

---

(١) **هاضها**: الهضُّ، والهضهض: كسرٌ دُونَ الهَدِّ، وفوق الرَّضِّ، وقيل: هو الكسر عامة، وقيل: الكسر للعظم.

(٢) **اشرأب النفاق**: أى ارتفع وعلا، يقال: اشرأب الرجل إلى الشيء اشرئباباً: إذا مدَّ عنقه إليه، وارتفع إليه وعلا

(٣) **إسناده صحيح**: أخرجه ابن أبى شيبة(٨/ ٥٧٤) فى مصنفه، وأخرجه أبو القاسم البغوى، وأبو بكر الشافعى فى فوائده، وابن عساكر كما فى تاريخ الخلفاء (ص/ ١٢٠) للسيوطى. وأخرجه الطبرانى فى الصغير والأوسط من طرقٍ، ورجال أحدهما ثقات كما فى المجمع (٩/ ٥٠).

كيف تقاتل الناس، وقد قال رسول الله ﷺ: **«أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فمَنْ قالها فقد عصم منى ماله، ونفسه إلا بحقه[1]، وحسابه على الله».**

فقال أبو بكر: والله لأقاتلن من فرّق [2] بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال، والله لو منعونى عناقاً [3] كانوا يُؤدونها إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعها.

وفى رواية أخرى: والله لو منعونى عقالاً [4] كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعه.

قال عمر: فوالله ماهو إلا أن قد شرح الله صدر أبى بكر، فعرفتُ أنه الحق[5].

وقد ورد هذا الحديث بلفظ آخر، وفيه يقول أبو هريرة رضى الله عنه:

لما كانت الردة، قال عمر لأبى بكر: أتقاتلهم، وقد سمعت رسول الله ﷺ يقول كذا وكذا؟!!

فقال أبو بكر: والله لا أفرق بين الصلاة والزكاة، ولأقاتلن من فرّق بينهما

---

(١) أى: بحق الإسلام.

(٢) المراد بقوله: فَرَّق: مَنْ أقرَّ بالصلاة، وأنكر الزكاة جاحداً أو مانعاً مع الاعتراف، وإنما أطلق فى أول القصة الكفر ليشمل الصنفين، فهو فى حق من جحد حقيقة، وفى حق الآخرين تغليباً، وإنما قاتلهم الصديق، ولم يعذرهم بالجهل لأنهم نصبوا القتال فجهز إليهم من دعاهم إلى الرجوع، فلما أصروا قاتلهم. أفاده ابن حجر (١٢/ ٢٧٧) فى الفتح.

(٣) **العناق:** الأنثى من ولد المعز، وقال ابن بُكير وعبد الله بن الليث: «عناقا» هو أصح يعنى من عقالاً.

(٤) **العقال:** هو الحبل الذى يعقل به البعير.

(٥) حديث صحيحٌ: أخرجه البخارى (٦٩٢٤)، (٦٩٢٥)، ومسلم (٢٠)، وأحمد (١/ ١٩. ٤٨)، (٢/ ٤٢٣)، وعبد الرزاق (١٨٧١٨) فى مصنفه، وأبو داود(١٥٥٦) والترمذى (٢٧٣٤)، والنسائى (٧/ ٧٦، ٧٨، ٧٩)، وابن حبان(٢١٧)، والبيهقى (٤/ ١٠٤) فى سننه الكبرى، وابن مندة (٢١٥)، (٢١٦) فى الإيمان.

قال عمر: فقاتلنا معه، فرأينا ذلك رشداً[1].

فاتفق أصحاب رسول الله ﷺ على قتال أقوام يصلون، ويصومون، إذا امتنعوا عن بعض ما أوجبه الله عليهم من زكاة أموالهم.

وهذا الاستنباط من صديق الأمة قد جاء مصرحاً به، ففى الصحيحين عن عبد الله بن عمر، ـ رضى الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ:

«أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام، وحسابهم على الله»[2].

فأخبر ﷺ أنه أُمر بقتالهم حتى يؤدوا هذه الواجبات[3].

قال البيهقى رحمه الله: صح عن النبى ﷺ من أوجهٍ كثيرة أنه أمر بالقتال على الشهادتين، وعلى إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة.

فأبو بكر الصديق ـ رضى الله عنه ـ إنما قاتل مانعى الزكاة بالنص مع ماذكر من الدلالة، وعمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ إنما سلم له حين قامت عليه الحجة بما روى فيه من النص، وذكر فيه من الدلالة لا أنه قلده فيه[4].

ولم يستدل أبو بكر فى قتال مانعى الزكاة بالقياس فقط، بل أخذه أيضاً من قوله عليه الصلاة والسلام فى الحديث: « **إلا بحق الإسلام**».

قال أبو بكر رضى الله عنه: والزكاة حق الإسلام.

وإذا تأملنا فى هذا الحديث النبوى نجد قوله ﷺ «أمرت»: أى أمرنى الله، لأنه لا آمر لرسول الله ﷺ إلا الله، وقياسه فى الصحابى إذا قال: أُمرت، فالمعنى:

---

(١) **إسناده صحيح**: أخرجه النسائى (٧/ ٧٧)، وأحمد (١/ ١١)، (٢/ ٤٢٣)، وابن أبى شيبة (٦/ ٥٧٨) فى مصنفه.

(٢) **حديث صحيح**: أخرجه البخارى (٢٥)، ومسلم (٢١)، وابن حبان (١٧٥)، (٢١٩)، والبغوى (٣٣)، والبيهقى (٨/ ١٧٧) فى سننه الكبرى.

(٣) انظر: الفتاوى (٢٨/ ٤٧٢) لابن تيمية.

(٤) انظر: السنن الكبرى (٨/ ١٧٧).

أمرني رسول الله ﷺ، ولايحتمل أن يريد أمرني صحابي آخر، لأنهم من حيث أنهم مجتهدون لا يحتجون بأمر مجتهدٍ آخر.

فإن قيل: لم نص على الصلاة والزكاة؟ فالجواب: أن ذلك لعظمهما، والاهتمام بأمرهما، لأنهما أصل العبادات البدنية، والمالية[1].

«**وحسابهم على الله**» معناه: فيما يستسرون به دون ما يُخلُّون به من الأحكام الواجبة عليهم في الظاهر، فإنهم إذا أخلوا بشيء مما يلزمهم في الظاهر يُطالبون بموجبه[2].

قوله «**فإن الزكاة حق المال**» يشير إلى دليل منع التفرقة التي ذكرها أن حق النفس الصلاة، وحق المال الزكاة، فإن صلى عصم نفسه، ومَنْ زكى عصم ماله، فإن لم يصل قوتل على ترك الصلاة، ومن لم يزك أُخذت الزكاة منه قهرًا، وإن نصب الحرب لذلك قوتل[3].

قال أبو سليمان الخطابي رحمه الله[4]:

هذا الحديثُ أصلٌ كبيرٌ في الدين، وفيه أنواعٌ من العلم، وأبوابٌ من الفقه، ومما يجب تقديمه أن يعلم أن أهل الردة بعد رسول الله ﷺ كانوا صنفين:

صنفٌ منهم ارتدوا عن الدين، وعادوا إلى الكفر، وهذه الفرقة طائفتان: طائفة منهم أصحابُ مسيلمة الكذاب من بني حنيفة وغيرهم، وأصحاب الأسود العنسي من أهل اليمن وغيرهم الذين صدقوهما على دعوى النبوة، وطائفة ارتدوا عن الدين، وأنكروا الشرائع، وعادوا إلى ما كانوا عليه من أمر الجاهلية، حتى لم يكن يسجد لله تعالى على وجه الأرض إلا في ثلاثة مساجد: مسجد مكة، ومسجد المدينة، ومسجد عبد القيس بالبحرين.

وعنى أبو هريرة بقوله: «**كفر من كفر من العرب**» هؤلاء الفرق، ولم يشك عمر رضي الله عنه في قتل هؤلاء، ولم يعترض على أبي بكر في أمرهم، بل

---

(١) انظر: الفتح (١/ ٧٦).

(٢) انظر: شرح السنة (١/ ٦٧) للبغوي.

(٣) انظر: الفتح (١٢/ ٢٧٨).

(٤) انظر: شرح السنة (٥/ ٤٨٩) للبغوي، والذي نقله عن معالم السنن (٢/ ٣-٧) للخطابي.

اتفقت الصحابة على قتالهم وقتلهم، ورأى أبو بكر سبى ذراريهم ونسائهم، وساعده على ذلك أكثر الصحابة، واستولد على بن أبى طالب جارية من سبى بنى حنيفة، فولدت له محمد بن على، الذى يدعى: ابن الحنفية، ثم لم ينقرض عصر الصحابة حتى أجمعوا على أن المرتد لا يسبى.

والصنف الآخر: قومٌ لم يرتدوا عن الدين، لكنهم فرقوا بين الصلاة والزكاة، فأقروا بالصلاة، وأنكروا فرض الزكاة، وزعموا أن الخطاب فى قوله تعالى: **﴿خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم﴾**[1] خاص للنبى ﷺ، وعرضت الشبهة لعمر فى قتال هؤلاء لتمسكهم بكلمة التوحيد، وهؤلاء فى الحقيقة أهل بغى، وإنما لم يُدعوا بهذا الاسم فى ذلك الزمان لدخولهم فى غمار أهل الردة، فأضيف الاسم فى الجملة إلى الردة، إذ كانت أعظم الأمرين، وأهمهما.

والردة: اسمٌ لغوىٌ يطلق على كل مَنْ كان مقبلاً على أمرٍ فارتد عنه، وقد وُجد من هؤلاء القوم الانصراف عن الطاعة، ومنعُ الحق، وكان الاعتراض من عمر تعلقاً بظاهر الكلام، فقال له أبو بكر: إن الزكاة حق المال، يريد أن القضية قد تضمنت عصمة الدم، والمال بإيفاء شرائطها، ثم قايسه بالصلاة، ورد الزكاة إليها، فكان فى ذلك من قوله دليلٌ على أن قتال الممتنع من الصلاة كان إجماعاً من رأى الصحابة، فرد المختلف فيه إلى المتفق عليه، فاجتمع فى هذه القضية: الاحتجاج من عمر بالعموم، ومن أبى بكر بالقياس، ثم تابعه عمر عليه، فدل ذلك على أن العموم يُخصُّ بالقياس.

وقول عمر: «**ماهو إلا أن قد شرح الله صدر أبى بكر، فعرفتُ أنه الحق**».

إشارة إلى أنه لم يكن فى تلك الموافقة مقلدًا، بل انشرح صدره بالحجة التى أدلى بها أبو بكر، والبرهان الذى أقامه نصاً ودلالة.

وفى هذه القضية دليلٌ على تصويب رأى على بن أبى طالب فى قتال أهل البغى فى زمانه، وأنه إجماعٌ من الصحابة رضى الله عنهم.

أما اليوم فى زماننا إذا أنكرت طائفة من المسلمين فرض الزكاة، وامتنعوا من أدائها كانوا كفارًا بإجماع المسلمين، والفرق بين هؤلاء وبين أولئك القوم حيث لم

(١) سورة التوبة: ١٠٥.

يقطع بكفرهم، وكان قتال المسلمين إياهم على استخراج الحق منهم دون القصد إلى دمائهم أنهم كانوا قريبى العهد بالزمان الذى كان يقع فيه تبديل الأحكام، ووقعت الفترة بموت النبى ﷺ وهم جُهالٌ بأمور الدين، لحدوث عهدهم بالإسلام، فداخلتهم الشبهة فعذروا.

وأما اليوم، فقد استفاض علم وجوب الزكاة حتى عرفه الخاص والعام، فلا يُعذر أحدٌ بتأويل يتأوله فى إنكارها، وكذلك الأمر فى كل مَنْ أنكر شيئاً مما اجتمعت عليه الأمة من أمور الدين إذا كان علمه منتشرًا، كالصلوات الخمس، وصيام شهر رمضان، والاغتسال من الجنابة، وتحريم الزنا والخمر، ونكاح ذوات المحارم، إلا أن يكون رجلٌ حديث عهدٍ بالإسلام، ولايعرف حدوده، فإذا أنكر شيئًا منها جهالة لم يكفر، وكان سبيله سبيل أولئك القوم.

فأما ما كان الإجماع فيه معلومًا من طريق علم الخاصة، كتحريم نكاح المرأة على عمتها، وخالتها، وأن قاتل العمد لايرث، وأن للجدة السدس، وما أشبه ذلك من الأحكام، فإن مَنْ أنكرها لا يكفر، بل يعذر فيها لعدم استفاضة علمها فى العامة.

وفى الحديث: دليلٌ على أن الخلاف إذا حدث فى عصرٍ، ثم لم ينقرض العصر حتى زال الخلاف كان إجماعاً، وما مضى من الخلاف كأن لم يكن.

وفى الحديث: دليلٌ على أن الردة لا تسقط الزكاة، ولا شيئاً مما كان يلزمه فى الإسلام.

وفيه: الاجتهاد فى النوازل، وردها إلى الأصول، والمناظرة على ذلك، والرجوع إلى الراجح، والأدب فى المناظرة بترك التصريح بالتخطئة، والعدول إلى التلطف[1].

وبعد..

---

(١) انظر: الفتح (١٢/ ٢٧٩).
ولقد ورد فى مقاتلة المرتدين فى عهد الصديق الكثير من التفاصيل أعرضنا عنها لعدم صحتها ويمكن الرجوع إليها فى تاريخ الطبرى (٣/ ٢٢٧)، والبداية والنهاية (٦/ ٣٥١) وأغلبها يرويها سيف بن عمر الضبى، وهو من المتروكين، ومنها المقاطيع والمراسيل.

ففى هذا الموقف الذى وقفه أبو بكر الصديق ـ رضى الله عنه ـ من المرتدين أدل دليل على شجاعته، وتقدمه فى العلم على غيره، فإنه ثبت للقتال فى هذا الموطن العظيم الذى هو أكبر نعمة أنعم الله بها على المسلمين بعد رسول الله ﷺ، واستنبط ـ رضى الله عنه ـ من العلم بدقيق نظره، ورصانة فكره مالم يشاركه فى الابتداء به غيره، فلهذا وغيره مما أكد الله تعالى به أجمع أهل الحق على أنه أفضل الأمة.

ومما يُبين لنا شدة موقف أبى بكر الصديق أمام المرتدين، أنه كان يختبر من تاب منهم، وعاد إلى دينه، ولايقبل الصلح إلا بعد إشعارهم بذلة ماكانوا عليه من الردة، وعزة الإسلام والمسلمين.

يروى طارق بن شهاب رضى الله عنه فيقول:

لما قدم وفد بُزاخة أسد، وغطفان على أبى بكر بعد رسول الله ﷺ يسألونه الصلح.

وفى رواية : جاء أهل الردة من أسد وغطفان إلى أبى بكر يسألونه الصلح.

خيَّرهم أبو بكر بين حرب مجلية [(١)] أوحطة مخزية[(٢)]، فقالوا: ياخليفة رسول الله أما الحرب فقد عرفناها، فما الحطة المخزية؟

قال: تؤخذ منكم الحلقة[(٣)]، والكراع[(٤)]، وتتركون أقواماً تتبعون أذناب الإبل[(٥)]، حتى يُرى الله خليفة نبيه ﷺ والمؤمنين أمراً يعذرونكم به.

وتؤدون ما أصبتم منا، ولانؤدى ما أصبنا منكم، وتشهدون أن قتلانا فى الجنة، وأن قتلاكم فى النار، وتدون قتلانا، ولاندى قتلاكم[(٦)].

---

(١) **حرب مجلية**: أى حربًا مُخرجة عن الدار والمال، **فالجلاء**: الخروج عن البلد.

(٢) **حطة مخزية**: الحطة: الوضع والإنزال، **والمخزية**: المُذلة، والمراد أو سلم يخزيكم، ويذلكم، ومن كلام العرب: اختاروا فإما حربٌ مُجلية وإما سلم مخزية.

(٣) **الحلقة**: اسم لجُملة السلاح والدروع، وغُلب هذا النوع من السلاح على الدروع.

(٤) **الكراع**: اسمٌ يجمع الخيل.

(٥) وفى رواية: البقر، وفيه إنزال الذالة بهم، فصاروا يمشون خلف أذناب البقر بعد أن كانوا يركبون الخيل.

(٦) يعنى: تدفعون إلينا دية قتلانا، ولا ندفع إليكم دية قتلاكم.

فقال عمر: أما قولك: «تدون قتلانا» فإن قتلانا قُتلوا على أمر الله، لاديات لهم.

فاتبع عمر، وقال عمر في الباقي: نعم ما رأيت.

وفي رواية: فقال عمر: ياخليفة رسول الله، القولُ كما قلت، غير أن قتلانا قتلوا في سبيل الله، لادية لهم[1].

فكل ذلك من الصديق - رضى الله عنه - ليعتبر بهم من يسمع بخبرهم من مرتدي العرب، يقول ابن كثير - رحمه الله - في حوادث سنة ثنتى عشرة من الهجرة النبوية:

استهلت هذه السنة، وجيوش الصديق وأمراؤه الذين بعثهم لقتال أهل الردة جوّالون في البلاد يميناً وشمالاً، لتمهيد قواعد الإسلام، وقتال الطغاة من الأنام، حتى رد شارد الدين بعد ذهابه، ورجع الحق إلى نصابه، وتمهدت جزيرة العرب، وصار البعيد الأقصى كالقريب الأدنى.

ونستطيع أن نلخص ماقام به أبو بكر الصديق في حروب الردة فيما قاله حنظلة بن علي الليثي رحمه الله، يقول:

إن أبا بكر بعث خالداً، وأمره أن يقاتل الناس على خمسٍ، مَنْ ترك واحدة منهن قاتله كما يقاتل مَنْ ترك الخمس جميعاً، على شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت[2].

وسار خالدٌ ومَنْ معه في جمادى الآخرة، فقاتل بني أسد وغطفان، فقتل مَنْ

---

(١) **إسناده صحيحٌ**: أخرجه الطبراني(١٩٧٤) في الأوسط، من طريق ابن عيينة عن أيوب بن عائذ عن قيس بن مسلم عن طارق به.
وأورده الذهبي في تاريخه (٣/ ٣٢)، وابن كثير في البداية(٦/ ٣٥٩) من طريق الثوري عن قيس، عن طارق، وقال ابن كثير: رواه البخاري من حديث الثوري بسنده مختصراً.
وأخرجه ابن أبي شيبة (٨/ ٥٧٤) في مصنفه من طريق آخر عن عبيد الله بن عتبة مرسلاً.

(٢) أخرجه الدارقطني كما في تاريخ الخلفاء (ص/ ١٢٣)، وأورده الذهبي(٣/ ٢٨) في تاريخه.

قتل، وأسر مَنْ أسر، ورجع الباقون إلى الإسلام.

واستشهد فى هذه الواقعة من الصحابة:

عكاشة بن محصن، وثابت بن أقرم رضى الله عنهما.

ثم سار خالد بجموعه إلى اليمامة لقتال مسيلمة الكذاب فى أواخر العام، والتقى الجمعان، ودام الحصار أياماً، ثم قُتل الكذاب لعنه الله، قتله وحشى قاتل حمزة رضى الله عنه، واستشهد فيها خلقٌ كثيرون من الصحابة الكرام.

وفى سنة اثنتى عشرة بعث الصديق العلاء بن الحضرمى إلى البحرين، وكانوا قد ارتدوا، فالتقوا بجؤاثى[1]، فنصر المسلمون.

وبعث عكرمة بن أبى جهل ـ رضى الله عنه ـ إلى عمان، وكانوا قد ارتدوا[2]

وبعث المهاجر بن أبى أمية رضى الله عنه إلى أهل النُّجَير[3]، وكانوا قد ارتدوا[4].

وبعث زياد بن لبيد الأنصارى إلى طائفة من المرتدين[5].

وهكذا كان عزم الصديق، ومبادرته إلى قتال المرتدين من أكبر العون على نصر الإسلام وأهله، وذلك أنه عز المسلمون فى كل قبيلة، وذل الكافرون فى كل قبيلة.

وكان أبو بكر فى المدينة مؤيداً منصوراً، سالماً غانما، فرضى الله عنه وأرضاه.

---

(١) **جؤاثى**: حصن بالبحرين لعبد القيس.

(٢) انظر: فتوح البلدان (١/ ٩٢، ٩٣) للبلاذُرِى.

(٣) **النجير**: باليمن قرب حضر موت.

(٤) انظر: تاريخ الإسلام (٣/ ٧٤) للذهبى.

(٥) انظر: تاريخ الخلفاء (ص/ ١٢٥)، وتاريخ الإسلام(٣/ ٧٤).

مبادرة الصديق إلى جمع القرآن

كما كان أبو بكر أول من أسلم من الرجال، كان أول مَنْ جمع القرآن الكريم بين دفتين بعد وفاة النبى ﷺ، واستشهاد قراء القرآن وحفظته فى ساحات الجهاد.

يروى زيد بن ثابت ـ رضى الله عنه ـ فيقول:

بعث إلىَّ أبو بكر لمقتل أهل اليمامة[1]، فإذا عمر بن الخطاب عنده، قال أبو بكر رضى الله عنه: إن عمر أتانى فقال: إن القتل قد استحر [2] يوم اليمامة بقراء القرآن، وإنى أخشى أن يستحر القتلُ بالقراء فى المواطن [3] كلها، فيذهب كثيرٌ من القرآن. وإنى أرى أن تأمر بجمع القرآن.

قلتُ لعمر: كيف أفعل شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ[4]؟!!

فقال عمر: هذا والله خير، هو والله خير، فلم يزل عمر يراجعنى حتى شرح الله صدرى للذى شرح له صدر عمر، ورأيتُ فى ذلك الذى رأى عُمر.

---

(١) يعنى واقعة يوم اليمامة ضد مسيلمة الكذاب وأعوانه.

(٢) **استحر**: أى كثر واشتد.

(٣) أى الأماكن التى يقع فيها القتال مع الكفار.

(٤) يحتمل أن يكون ﷺ إنما لم يجمع القرآن فى المصحف، لما كان يترقبه من ورود ناسخ لبعض أحكامه أو تلاوته، فلما انقضى نزوله بوفاته ﷺ ألهم الله الخلفاء الراشدين ذلك لوعد الله بضمان حفظه على هذه الأمة المحمدية زادها الله شرفًا، فكان ابتداء ذلك على يد الصديق ـ رضى الله عنه ـ بمشورة عمر.

ويؤيده ما أخرجه ابن أبى داود فى «المصاحف» بإسنادٍ حسنٍ عن عبد خير قال: سمعت علياً يقول: أعظم الناس فى المصاحف أجراً أبو بكر، رحمة الله على أبى بكر، هو أول من جمع كتاب الله، وفى رواية أبى يعلى: إن أبا بكر كان أوّل مَنْ جمع القرآن بين اللوحين.

وكان القرآن مكتوباً فى الصحف، لكن كانت مفرقة، فجمعها أبو بكر فى مكان واحد، ثم كانت بعده محفوظة إلى أن أمر عثمان بالنسخ منها، فنسخ منها عدة مصاحف، وأرسل بها إلى الأمصار.

انظر: الفتح (٩/ ١٢، ١٣)، تاريخ الخلفاء (ص/ ١٢٧).

قال زيد: قال أبو بكر: وإنك رجلٌ شابٌ عاقل، لانتهمك[1]، وقد كنتُ تكتب الوحى لرسول الله ﷺ، فتتبع القرآن فاجمعه[2].

قال زيدٌ: فوالله لو كلفونى نقل جبل من الجبال ماكان بأثقل علىَّ مما كلفنى به من جمع القرآن.

قلت: كيف تفعلان شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ؟!!

قال أبو بكر: هو والله خيرٌ، فلم يزل أبو بكر يُراجعنى حتى شرح الله صدرى للذى شرح له صدر أبى بكر وعمر رضى الله عنهما، ورأيت فى ذلك الذى رأيا.

فتتبعتُ القرآن من العسب[3]، واللخاف[4]، وصدور الرجال، والرقاع[5]، والأكتاف[6].

قال: حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبى خزيمة الأنصارى، لم أجدها مع أحدٍ غيره: **﴿لقد جاءكم رسولٌ من أنفسكم عزيز عليه ماعنتم﴾**[7] حتى خاتمة براءة.

---

(١) ذكر له أربع صفات مقتضية خصوصيته بذلك: كونه شاباً فيكون أنشط لما يطلب منه، وكونه عاقلاً فيكون أوعى له، وكونه لايتهم فتركن النفس إليه، وكونه كان يكتب الوحى، فيكون أكثر ممارسة له.

وهذه الصفات التى اجتمعت له قد توجد فى غيره لكن مفرقة. انظر: الفتح (٩/ ١٥).

قال المهلب رحمه الله: هذا يدل على أن العقل أصل الخصال المحمودة لأنه لم يصف زيداً بأكثر من العقل، وجعله سبباً لائتمانه، ورفع التهمة عنه.

(٢) أى: من الأشياء التى عندى، وعند غيرى.

(٣) **العسب:** هو جريد النخل، كانوا يكشطون الخوص، ويكتبون فى الطرف العريض.

وقيل: العسيب هو طرف الجريدة العريض الذى لم ينبت عليه الخوص، والذى ينبت الخوص عليه هو السعف.

(٤) **اللخاف:** جمع لخفة بفتح اللام وسكون الخاء، وهى صفائح الحجارة الرقاق، فيها عرضٌ ودقة.

(٥) **الرقاع:** جمع رقعة، وهى قطع الجلود.

(٦) **الأكتاف:** جمع الكتف، وهو العظم الذى للبعير أو الشاة، كانوا إذا جف كتبوا فيه.

(٧) سورة التوبة: ١٢٨.

وكانت الصحف عند أبى بكر حياته حتى توفاه الله، ثم عند عُمر حياته حتى توفاه الله، ثم عند حفصة بنت عمر [1] رضى الله عنهم [2].

يقول البغوى ـ رحمه الله ـ تعقيباً على هذا الحديث:

فيه البيان الواضح أن الصحابة ـ رضى الله عنهم ـ جمعوا بين الدفتين القرآن الذى أنزله الله سبحانه وتعالى على رسوله ﷺ من غير أن يزادوا فيه أو ينقصوا منه شيئاً والذى حملهم على جمعه ماجاء فى الحديث، وهو أنه كان مفرقاً فى العسب، واللخاف، وصدور الرجال، فخافوا ذهاب بعضه بذهاب حفظته، ففزعوا فيه إلى خليفة رسول الله ﷺ، ودعوه إلى جمعه، فرأى فى ذلك رأيهم، فأمر بجمعه فى موضعٍ واحدٍ باتفاق من جميعهم، فكتبوه كما سمعوا من رسول الله ﷺ من غير أن قدموا شيئاً أو أخروا، أو وضعوا له ترتيباً لم يأخذوه من رسول الله ﷺ، وكان رسول الله ﷺ يُلقن أصحابه، ويعلمهم ما ينزل عليه من القرآن على الترتيب الذى هو الآن فى مصاحفنا بتوقيف جبريل صلوات الله عليه، إياه على ذلك، وإعلامه عند نزول كل آية أن هذه الآية تُكتب عقيب آية كذا فى السور التى يُذكر فيها كذا [3].

وهكذا يتبين لنا أن من أوليات أبى بكر الصديق رضى الله عنه: أنه أول مَنْ جمع القرآن الكريم، يقول صعصعة بن صوحان رحمه الله:

«أول مَنْ جمع بين اللوحين، وورث الكلالة: أبو بكر» [4].

وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه:

«يرحم الله أبا بكر هو أول مَنْ جمع بين اللوحين» [5].

---

(1) اى: بعد عمر فى خلافة عثمان، إلى أن شرع عثمان فى كتابة المصحف، وإنما كان ذلك عند حفصة لأنها كانت وصية عمر، فاستمر ماكان عنده عندها حتى طلبه منها من له طلب ذلك.

(2) **إسناده صحيح**: أخرجه البخارى (٤٩٨٦)، والترمذى (٥١٠١)، وأحمد (٥/ ١٨٨، ١٨٩)، والنسائى (٧٩٩٥) فى الكبرى.
والبغوى (١٢٣٠) فى شرح السنة، والطبرانى (٤٩٠١)، (٤٩٠٢)، (٤٩٠٣) فى الكبير، والبيهقى (٢/ ٤٠، ٤١) فى سننه الكبرى.

(3) انظر: شرح السنة (٤/ ٥٢٢) للبغوى.

(4) **إسناده صحيح**: أخرجه ابن أبى شيبة (٧/ ١٩٦) فى مصنفه.

(5) **إسناده حسن**: أخرجه ابن أبى شيبة (٧/ ١٩٦).

ذكر أسماء عُمال الصديق

[١] استعمل أبو بكر على البحرين أنس بن مالك، وفى ذلك يقول ابنه مايلى:
قال موسى بن أنس بن مالك رحمه الله:
إن أبا بكر استعمل أباه أنساً على البحرين[١].

[٢] واستعمل أبو بكر على الطائف عثمان بن أبى العاص رضى الله عنه، وعلى مكة: عتابَ بن أسيد[٢].

[٣] واستعمل على صنعاء: المهاجر بن أبى أمية رضى الله عنه[٣].

[٤] واستعمل على حضرموت: زياد بن لبيد رضى الله عنه[٤].

[٥] واستعمل على خولان: يعلى بن أمية رضى الله عنه[٥].

[٦] واستعمل على زَبيد، ورِمعَ: أبا موسى الأشعرى رضى الله عنه[٦].

[٧] واستعمل على الجند باليمن: معاذ بن جبل رضى الله عنه[٧].

[٨] واستعمل على الشام: أبا عبيدة، وشُرحبيل بن حسنة، ويزيد بن أبى سفيان، وعمرو بن العاص، كل رجلٍ منهم على جندٍ، وعليهم خالد بن الوليد رضى الله عنهم أجمعين[٨].

---

(١) انظر: تاريخ خليفة (١٢٣)، وتاريخ الإسلام (٣/ ١٢١).
(٢) انظر: تاريخ الطبرى (٣/ ٤٢٧)، وتاريخ الإسلام (٣/ ١٢١).
(٣) انظر: تاريخ الطبرى (٣/ ٤٢٧)، أسد الغابة (٥/ ٢٧٧) لابن الأثير، تاريخ الإسلام (٣/ ١٢١).
(٤) انظر: تاريخ الطبرى (٣/ ٤٢٧)، تاريخ الإسلام (٣/ ١٢١)، أسد الغابة (٣/ ٥٥٧).
(٥) انظر: تاريخ الطبرى (٣/ ٤٢٧)، والاستيعاب (٤/ ١٥٨٦) وقد تحرف فيه خولان إلى حُلوان !!
(٦)انظر: تاريخ الطبرى (٣/ ٤٢٧)، وأسد الغابة (٤/ ٣٦٨)، والاستيعاب (٣/ ١٤٠٣).
(٧) انظر تاريخ الطبرى ((٣/ ٤٢٧)، الاستيعاب (٣/ ١٤٠٣).
(٨) انظر: تاريخ الطبرى (٣/ ٤٢٧)، (٣/ ٣٨٧)، والكامل (٢/ ٤٠٢) لابن الأثير، وتاريخ الإسلام (٣/ ٨١).

والجند: المدينة، ويقال الشام خمسة أجناد: دمشق، وحمص، وقِنَّسرين، والأردن، وفلسطين، يقال لكل مدينة منها: جند.

ولما خرج عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ إلى الشام، خرج إليه أمراء الأجناد، وهى هذه الخمسة أماكن[1].

[٩] وبعث إلى جُرش بعبد الله بن ثور، وبعث جرير بن عبد الله إلى نجران، وعياض بن غَنْم الفهرى إلى دومة الجندل[2].

[١٠] وأرسل هشام بن العاص رسولاً إلى ملك الروم[3]،واستعمل عكرمة بن أبى جهل على عُمان حين ارتدوا[4]، وكان مؤذنه سعدُ القرظ مولى عمار بن ياسر[5].

كل هؤلاء من الصحب الكرام وغيرهم تعاونوا مع الخليفة الراشد أبى بكر فى إدارة ديار الإسلام، والقيام بشئون المسلمين.

وممن ذكر ضمن عماله:

أن كاتبه كان عثمان بن عفان، وحاجبه شديد مولاه، ويقال: كتب له زيد بن ثابت، وكان وزيره عمر بن الخطاب، وكان أيضاً على قضائه.

واستعمل أبا عبيدة بن الجراح على بيت المال، رضى الله عنهم أجمعين[6].

---

(١) انظر: لسان العرب (٣/ ١٣٢) مادة «جند».
(٢) انظر: تاريخ الطبرى (٣/ ٤٢٧).
(٣) انظر: تاريخ الإسلام (٣/ ١٠٤).
(٤) انظر: فتوح البلدان (١/ ٩٢)، تاريخ خليفة (١٢٣)، تاريخ الإسلام (٣/ ٧٤)، (٣/ ٩٩).
(٥) انظر: الاستيعاب (٢/ ٥٩٤)، أسد الغابة (٢/ ٣٥٤)، تاريخ الإسلام (٣/ ١٢١)، الإصابة (٣/ ٨٠).
(٦)انظر: تاريخ الطبرى (٣/ ٤٢٦)، أخبار القضاة (١/ ١٠٤) لوكيع، تاريخ الإسلام (٣/ ١٢١).

فى ذكر مدة خلافة أبى بكر الصديق

اختلف العلماء فى تحديد مدة خلافة أبى بكر ـ رضى الله عنه ـ على وجه الدقة، لكن الذى لم يختلفوا عليه أنها وصلت إلى سنتين، وإنما الاختلاف فيمازاد على ذلك.

فقال مالك بن أنس رحمه الله: ولى أبو بكر سنتين[١].

وقال الوليد بن مسلم: حدثنى الأموى: أن أبا بكر ولى سنتين وأربعة أشهر[٢].

وقال أبو معشر: سنتين وأربعة أشهرٍ إلا أربع ليال[٣].

وقال على بن محمد: كانت ولاية أبى بكر سنتين وثلاثة أشهرٍ وعشرين يومًا[٤].

وقال ابن سعد: وكانت خلافته سنتين وثلاثة أشهر، وعشر ليالٍ[٥].

وهذا ما رجحه الذهبى رحمه الله، فقال: كانت خلافته سنتين ومائة يومٍ[٦].

---

(١) انظر: تاريخ أبى زُرعة الدمشقى (١/ ١٧٠) برقم (٤٨).

(٢) انظر: السابق برقم (٤٩).

(٣) انظر: طبقات ابن سعد(٣/ ٢٠٢)، تاريخ الطبرى (٣/ ٤٢٠)، تاريخ الإسلام (٣/ ١١٥).

(٤) انظر: تاريخ الطبرى (٣/ ٤٢٠).

(٥) انظر: الطبقات الكبرى (٣/ ٢٠٢)، تاريخ الإسلام (٣/ ١١٥).

(٦) انظر: تاريخ الإسلام (٣/ ١١٥).



اقرأ فى الصفحات التالية

الفصل السادس

شمائل الصديق وصفاته



شمائل الصديق وصفاته

اتصف الصديق ـ رضى الله عنه ـ بالشمائل المرضية، واتصف بالصفات الطيبة الندية، حتى صار فى الخير قدوة، وفى مكارم الأخلاق أسوة.

ومن تلك الصفات التى اتصف بها الصديق:

(١) المسابقة إلى الخيرات

أيقن أبو بكر ـ رضى الله عنه ـ أن ما يمكن أن يقوم به المرء اليوم، قد يكون غير ممكن فى الغد.

فالفرصة إذا لم يغتنمها صاحبها، ولم يسارع إلى الخيرات، انقلبت إلى الحسرة، فاليوم عمل ولاحساب، وغداً حساب ولاعمل.

لذا كان أبو بكر الصديق يتسابق إلى فعل الخيرات ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، ولعل الحديث النبوى التالى يبين لنا شيئاً من ذلك.

يقول أبو هريرة رضى الله عنه: قال رسول الله ﷺ:

«**مَن أصبح منكم اليوم صائما؟**» قال أبو بكر: أنا.

قال: «**فمن تبع منكم اليوم جنازة؟**» قال أبو بكر: أنا.

قال: «**فمن أطعم منكم اليوم مسكيناً؟**» قال أبو بكر: أنا

قال: «**فمن عادمنكم اليوم مريضاً؟**» قال أبو بكر: أنا.

فقال رسول الله ﷺ: «**ما اجتمعن فى امرئ إلا دخل الجنة**»[١].

أى دخل الجنة بلا محاسبة، ولامجازاة على قبيح الأعمال، وإلا فمجرد الإيمان يقتضى دخول الجنة بفضل الله تعالى[٢].

فأينا يجتمع له فى اليوم الواحد: الصوم، واتباع الجنازة، وإطعام المسكين، وعيادة المريض؟!

إن تلك الطاعات اجتمعت فى أبى بكر الصديق ـ رضى الله عنه ـ مع أنه هو

---

(١) **حديثٌ صحيحٌ**: أخرجه مسلم (٧/١١٧ نووى)، (١٥/١٥٦)، والبيهقى (٤/١٨٩) فى سننه الكبرى.

(٢) انظر: شرح النووى (١٥/١٥٦).

صديق الأمة، والمُبشر بالجنة، فما الذى ينبغى أن يكون عليه حال صاحب الخطايا والذنوب؟

ياصاحب الخطايا أين الدموع الجارية؟!

يا أسير المعاصى ابك من الذنوب الماضية.

يامبارزًا بالقبائح، أتصبر على الهاوية؟!

ياناسياً ذنوبه، والصحف للمُنسى حاوية.

أسفًا لك إذا جاءك الموت وما أنبت، واحسرة لك إذا دُعيت إلى التوبة فما أجبت.

كيف تصنع إذا نودى بالرحيل، وما تأهبت؟!

ألست الذى بارزت بالقبائح، وما راقبت؟!

ويروى لنا عبد الرحمن بن أبى بكر - رضى الله عنه - فيقول:

صلى رسول الله ﷺ صلاة الصبح، ثم أقبل على أصحابه بوجهه، فقال: «**هل فيكم أحدٌ أصبح اليوم صائماً؟**».

فقال عمر بن الخطاب: يارسول الله، لم أُحدث نفسى بالصوم، فأصبحت مُفطراً.

فقال أبو بكر: لكنى يارسول الله، حدثت نفسى بالصوم البارحة، فأصبحت صائماً.

فقال رسول الله ﷺ: «**هل أحدُ منكم عاد اليوم مريضاً**»؟

فقال عمر: يارسول الله، صلينا، ثم لم نبرح!! فكيف نعود المرضى؟!

فقال أبو بكر: بلغنى أن أخى عبد الرحمن بن عوف شاكى، فجعلت طريقى عليه حين خرجت إلى المسجد.

فقال رسول الله ﷺ: «**هل تصدق أحدٌ منكم اليوم بصدقة؟**»

فقال عمر: يارسول الله، صلينا، ثم لم نبرح!!

فقال أبو بكر: دخلتُ المسجد، فإذا أنا بسائل يسأل، فوجدت كسرة خبز

شعيرٍ في يد عبد الرحمن، فأخذتها، فدفعتها إليه.

فقال رسول الله ﷺ: «**أنت فأبشر بالجنة**».

فتنفس عمر، وقال: أوه أوه أوه للجنة. وفي رواية: واهاً للجنة.

فقال رسول الله ﷺ كلمة رَضًّى بها عمر، زعم أنه لم يرد خيراً قط إلا سبقه إليه أبو بكر.

وفي روايةٍ أخرى: «**رحم الله عمر، رحم الله عمر، لم يرد خيراً قط إلا سبقه أبو بكر إليه**»[1].

لقد كان أبو بكر يتسابق في الخيرات، ويحرص عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - على مسابقته في ذلك، ويتمنى أن لو سبق أبا بكر يوماً في الخير.

يقول عمر رضي الله عنه:

أمرنا رسول الله ﷺ يومًا أن نتصدق، فوافق ذلك مالاً عندي[2]، فقلت: اليوم أسبق[3] أبا بكر، إن سبقته يوماً[4]، فجئتُ بنصف مالي.

فقال رسول الله ﷺ:

«**ما أبقيت لأهلك؟**» فقلتُ: مثله[5].

قال: وأتى أبو بكر بكل ماعنده، فقال له رسول الله ﷺ:

---

(١) **حديث صحيح، وإسناده حسن**: أخرجه ابن أبي عاصم(١٢٤٣) في السنة، والطبراني في الكبير كما في المجمع(٣/ ١٦٤) وقال الهيثمي: فيه مبارك بن فضالة وهو ثقة فيه كلام.
قلت: صدوق لكنه يدلس، وقد رواه ههنا بالعنعنة، لكنه صرح بالتحديث كما في رواية الديلمي(٣٥٦٦٧) كما في الكنز.
لكن له شاهد من حديث أبي أمامة أخرجه الطبراني(٧٨٢٦) في الكبير وفيه ابن زحر، وابن يزيد وكلاهما من الضعفاء. وفي الباب عن أبي هريرة وقد مر، وابن عباس وعائشة. انظر المجمع(٣/ ١٦٣).

(٢) أي: صادف أمره بالتصدق حصول مال عندي، فعندي حال من المال، والجملة حال مما قبله، يعني: والحال أنه كان لي مال كثير في ذلك الزمان.

(٣) أي: بالمبارزة، أو بالمبالغة.

(٤) أي من الأيام، وإن شرطية دل على جوابها ماقبلها، أو التقدير: إن سبقته يوماً فهذا يومه. وقيل: إن نافية أي: ماسبقته قبل ذلك، فهو استئناف تعليل.

(٥) فقلت: مثله: أي أبقيت مثله يعني نصف ماله.

«يا أبا بكر، ما أبقيت لأهلك؟»

قال: أبقيت لهم الله ورسوله[1].

قال عمر: لا أسابقك إلى شيء أبداً[2].

وفى رواية أخرى: لا أسبقُه إلى شيء أبدًا[3].

(٢) الصبر على الأذى والبلاء فى دينه

تحمّل الصديق الكثير من الأذى والبلاء فى سبيل دينه، حتى كاد أن يهاجر من مكة من شدة ماعانى من البلاء.

تقول عائشة رضى الله عنها:

لم أعقل أبوىّ[4] قط إلا وهما يدينان الدِّين[5]، ولم يمر علينا يومٌ إلا يأتينا فيه رسول الله ﷺ طرفى النهار: بُكرة وعشية.

فلما ابتلى المسلمون[6]، وضاقت عليه مكة، وأصابه فيها الأذى، ورأى من تظاهر قريش على رسول الله ﷺ وأصحابه ما رأى، استأذن رسول الله ﷺ فى الهجرة، فأذن له، فخرج أبو بكر مهاجراً نحو أرض الحبشة[7].

حتى إذا سار من مكة يوماً أو يومين، بلغ برك الغماد[8]، لقيه ابن الدغنة ـ

---

(١) أى: أبقيت لهم رضا الله ورسوله.

(٢) أى: لا أسابقك إلى شيء من الفضائل أبداً، لأنه إذا لم يقدر على مغالبته حين كثرة ماله وقلة مال أبى بكر ففى غير هذا الحال أولى أن لا يسبقه.

(٣) حديثٌ صحيحٌ وإسناده حسنٌ: أخرجه أبو داود (١٦٧٨)، والترمذى (٣٧٥٧) وقال: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ، وابن أبى عاصم (١٢٤٠) فى السنة، والحاكم (١/ ٤١٤)، والبيهقى (٤/ ١٨١) فى سننه الكبرى، وأبو نعيم (١/ ٣٢) فى الحلية، وأخرجه ابن عساكر كما فى الكنز (٣٥٦٦٦) وفى سنده هشام بن سعد، وهو صدوقٌ له أوهامٌ.
ولكن قال أبو نُعيم: ورواه عبد الله بن عمر العمرى عن نافع عن ابن عمر عن عمر نحوه.

(٤) يعنى أبا بكر، وأم رومان.

(٥) أى يدينان بدين الإسلام.

(٦) أى بأذى المشركين من التعذيب للضعفاء والعبيد، والحصار للأقوياء والأحرار.

(٧) أى: ليلحق بمن سبقه إليها من المسلمين.

(٨) اسم موضع.

وهو سيّد القارة[١] ـ فقال ابن الدغنة: أين تريد يا أبا بكر؟

فقال أبو بكر: أخرجنى قومى[٢]، وآذونى، وضيّقوا علىّ، فأُريد أن أسيح فى الأرض[٣]، وأعبُدَ ربى.

قال ابن الدغنة: ولِم؟! فإن مثلك يا أبا بكر، لا يَخرُج، ولا يُخرج، فوالله إنك لتزين العشيرة، وتُعين على نوائب الحق، وتكسب المعدوم، وتَصِل الرحمَ، وتَحمِلُ الكَلَّ، وتقرى الضيف، وتفعل المعروف.

ارجع، وأنت فى جوارى، واعبد ربك ببلدك، فرجع معه، حتى إذا دخل مكة، طاف ابن الدغنة عشيةً فى أشراف قريشٍ، فقال لهم:

يا معشر قريش، إنى قد أجرت ابن أبى قحافة، فلا يعرضن له أحدٌ إلا بخيرٍ. إن أبا بكر لا يَخرج مثله[٤]، ولا يُخرج، أتخرجون رجلاً يكسب المعدوم، ويصل الرحم، ويحمل الكلَّ، ويقرى الضيف، ويُعين على نوائب الحق؟!

فلم تكذب قريش[٥] بجوار ابن الدغنة، فكفوا عنه، وقالوا لابن الدغنة: مُرْ أبا بكر فليعبد ربه فى داره، فليُصَلِّ فيها، وليقرأ ما شاء، ولا يؤذينا بذلك، ولا يستعلن به، فإنا نخشى أن يفتن نساءنا، وأبناءنا.

فقال ذلك ابن الدغنة لأبى بكر، فلبث أبو بكر لذلك يعبد ربه فى داره، ولا يستعلن بصلاته[٦]، ولا يقرأ فى غير داره.

---

(١) القارة: قبيلة مشهورة من بنى الهُون، وكانوا يضرب بهم المثل فى قوة الرمى.

(٢) يعنى: تسببوا فى إخراجى.

(٣) حقيقة السياحة أن لا يقصد موضعاً بعينه يستقر فيه، وأراد أبو بكر أن يطوى عن ابن الدغنة تعيين الجهة التى يقصدها لكونه كان كافراً، وإلا فقد تقدم أنه قصد التوجه إلى أرض الحبشة، ومن المعلوم أنه لا يصل إليها من الطريق التى قصدها حتى يسير فى الأرض وحده زماناً، فيصدق أنه سائحٌ. انظر: الفتح (٧/ ٢٣٣).

(٤) أى من وطنه باختياره على نية الإقامة فى غيره مع ما فيه من النفع المتعدى لأهل بلده.

(٥) أى لم ترد عليه قوله فى أمان أبى بكر، وكل مَنْ كذبك فقد رد قولك، فأطلق التكذيب وأراد لازمه.

(٦) أى لا يُظهرها، كأن يُصلى فى البيت الحرام جهاراً نهاراً.

ثم بدا لأبى بكر فابتنى مسجداً بفناء داره[1]، وكان يُصلى فيه، ويقرأ القرآن، فيتقصف أو فيتقذف عليه[2] نساء المشركين وأبناؤهم، وهم يعجبون منه، وينظرون إليه.

وكان أبو بكر رجلاً رقيقاً، بكاءً [3]إذا قرأ القرآن استبكى، ولا يملك عينيه[4]، فيقف عليه الصبيان، والعبيد، والنساء، يعجبون لما يرون من هيئته، فأفزع ذلك [5]أشراف قريش من المشركين، فأرسلوا إلى ابن الدغنة، فقدم عليهم، فقالوا: يا ابن الدغنة، إنا كنا أجرنا أبا بكر بجوارك على أن يعبُدَ ربه فى داره، فقد جاوز ذلك فابتنى مسجداً بفناء داره، فأعلن بالصلاة والقراءة فيه، وإنا قد خشينا أن يفتن نساءنا وأبناءنا، فانْهَهُ، فإن أحب أن يقتصر على أن يعبد ربه فى داره فعل، وإن أبى إلا أن يُعلن بذلك فَسَلْهُ أن يردُّ إليك ذمتك[6]، فإنا قد كرهنا أن نُخفِرَك[7]، ولسنا بمقرِّين لأبى بكر الاستعلان.

يا ابن الدغنة، إنك لم تجر هذا الرجل ليؤذينا!!

قالت عائشة: فأتى ابن الدغنة إلى أبى بكر، فقال:

قد علمتَ الذى عاقدتُ لك عليه، فإما أن تقتصر على ذلك، وإما أن ترجع إلىَّ ذمتى، فإنى لا أحبُّ أن تسمع العربُ أنى أُخفرتُ فى رجلٍ عقدتُ له.

فقال أبو بكر: فإنى أردُّ إليك جوارك، وأرضى بجوار الله عز وجل[8]، والنبى ﷺ يومئذ بمكة[9].

---

(١) أى أمامها.

(٢) أى يزدحمون عليه حتى يسقط بعضهم على بعضٍ فيكاد ينكسر، وأما يتقذف فلا معنى له إلا أن يكون من القذف، أى يتدافعون بعضهم بعضاً فيتساقطون عليه، فيرجع إلى معنى الأول.

(٣) أى: كثير البكاء. (٤) أى لا يستطيع إمساك نفسه عن البكاء من رقة قلبه.

(٥) أى أخاف الكفار لما يعلمونه من رقة قلوب النساء والشباب أن يميلوا إلى دين الإسلام.

(٦) أى أمانك له. (٧) أى نغدر بك، يقال: خفره إذا حفظه، وأخفره إذا غدر به.

(٨) أى أمانه وحمايته.

(٩) **إسناده صحيحٌ**. أخرجه البخارى(٣٩٠٥)، وابن إسحاق (٣٦٣)، (٣٦٤) كما فى السيرة النبوية، وأحمد (٦/١٩٨، ٢١٢)، والبغوى (٣٧٦٣) فى شرح السنة، وأبو نعيم (ص/ ١١٢) فى دلائل النبوة، و(١/ ٢٩)فى حلية الأولياء، والبيهقى(٢/ ٤٧١)فى الدلائل.

(٣) دفاعه عن نبى الإسلام ﷺ

كان أبو بكر - رضى الله عنه - مُدافعاً عن الإسلام، وعن نبى الإسلام ﷺ، فكان يبذل نفسه، وماله، فى الدفاع عن النبى ﷺ سواء فى ساحات القتال، أو فى بدء الإسلام.

يقول عروة بن الزبير رحمه الله:

سألت عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما عن أشد ما صنع المشركون برسول الله ﷺ، فقلت: أخبرنى بأشد شىء صنعه المشركون بالنبى ﷺ فيما كانوا يظهرون من عداوته؟

فقال عبد الله: بينا النبى ﷺ يُصلى فى حجر الكعبة، إذ أقبل عقبة بن أبى معيط فوضع ثوبه فى عنقه، فخنقه خنقًا شديدًا، فأقبل أبو بكر، فقام دونه، وهو يبكى، حتى أخذ بمنكبه، ودفعه عن النبى ﷺ، ويقول[1]:

﴿أتقتلون رجلاً أن يقول ربى الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم﴾[2].

وقيل لأسماء بنت أبى بكر رضى الله عنها:

ما أشدّ ما رأيتِ المشركين بلغوا من رسول الله ﷺ؟

قالت: كان المشركون قعدوا فى المسجد يتذاكرون رسول الله ﷺ، وما يقول فى آلهتهم، فبينما هم كذلك إذ أقبل رسول الله ﷺ فقاموا إليه بأجمعهم، فتشبثوا به، فأتى الصريخ إلى أبى بكر، فقيل له:

أدرك صاحبك، فخرج من عندنا، وإن له غدائر أربع، فدخل المسجد، وهو يقول: ويلكم، أتقتلون رجلاً أن يقول ربى الله؟! وقد جاءكم بالبينات من ربكم.

قال: فَلَهُوا عن رسول الله ﷺ، وأقبلوا على أبى بكر، فرجع إلينا أبو بكر،

---

(١) **إسناده صحيحٌ**. أخرجه البخارى (٣٦٧٨)، (٣٨٥٦)، وأحمد (٢/ ٢١٨)، وابن أبى شيبة (٨/ ٤٤١) فى مصنفه، وابن حبان (٦٥٣٥)، والطبرى (٢/ ٣٣٢، ٣٣٣)، وأبو نعيم (ص/ ٦٧) فى الدلائل، والبيهقى (٢/ ٢٧٥، ٢٧٦) فى الدلائل، وأبو يعلى، والطبرانى كما فى مجمع الزوائد (٢/ ١٦).

(٢) سورة غافر: ٢٨.

فجعل لا يمس شيئاً من غدائره إلا جاء معه، وهو يقول:

تباركت يا ذا الجلال والإكرام[1].

فهكذا نرى أبا بكر يدافع عن النبى ﷺ حتى ناله الأذى من المشركين، وتمزقت غدائره، والغدائر هى الذوائب من الشعر، والمفرد: غديرة.

ولعلَّ من المواقف الطريفة فى سيرة أبى بكر، والتى يظل فيها الصديق منافحاً عن النبى ﷺ ما رواه النعمان بن بشير رضى الله فقال:

استأذن أبو بكر رضى الله عنه على النبى ﷺ فسمع صوت عائشة عالياً، وهى تقول:

والله لقد علمتُ أن علياً أحبُّ إليك من أبى!!

فأهوى إليها أبو بكر ليلطمها[2]، وقال: يا ابنة فلانة، أراك ترفعين صوتك على رسول الله ﷺ، فأمسكه رسول الله ﷺ، وخرج أبو بكر مغضباً[3]، فقال رسول الله ﷺ: «**يا عائشة، كيف رأيت، أنقذتك من الرجل**[4]؟!».

ثم استأذن أبو بكر بعد ذلك، وقد اصطلح رسول الله ﷺ وعائشة، فقال: أدخلانى فى السِّلم، كما أدخلتمانى فى الحرب، فقال رسول الله ﷺ: «**قد فعلنا، قد فعلنا**»[5].

وفى هذا الموقف يتضح لنا مدى حب أبى بكر للنبى ﷺ، ودفاعه عنه.

---

(١) **إسناده حسن**. أخرجه الحميدى (٣٢٤) فى مسنده، وأبو يعلى كما فى المجمع (٦/ ١٧)، وأبو نعيم (١/ ٣١ - ٣٢) فى الحلية، وفى سنده ابن كثير، وهو صدوقٌ وابن تدرس، هو أبو الزبير، وقد رواه بالعنعنة، لكنه فى الشواهد.
لذا قال ابن حجر فى الفتح (٧/ ١١٧): رواه أبو يعلى بإسناد حسن.

(٢) ليلطمها: اللطم هو ضرب الخد بالكف، وهو منهىٌ عنه، ولعلَّ ذلك كان قبل النهى، أو وقع ذلك منه لغلبة الغضب، أو أراد أن يلطم، ولم يحدث.

(٣) **مغضبا**: أى غضبان.

(٤) أى خلصتك من ضربه ولطمه.

(٥) **حديثٌ صحيحٌ**. أخرجه أبو داود (٤٩٩٩)، والنسائى (٢٧٣) فى العشرة، وأحمد (٤/ ٢٧٢).

وقال الطيبى: «**من الرجل**»: أى من ضربه ولطمه، والظاهر أن يقال من أبيك، فعدل إلى الرجل، أى من الرجل الكامل فى الرجولية حين غضب لله ولرسوله ﷺ.

ولم يقل من أبيك، وأبعد أبا بكر تطييباً وممازحة لعائشة رضى الله عنها[1].

---

(١) انظر: عون المعبود (١٣/ ٢٣٤).

(٤) ورع الصديق فى مطعمه ومنطقه

كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه ورعاً فى مطعمه، فلا يأكل إلا طيباً، ولا يشرب إلا طيباً، ولا يتصدق إلا بطيبٍ.

تقول عائشة رضى الله عنها:

كان لأبى بكر غلامٌ يخرج له الخراج[1]، وكان أبو بكر يأكل من خراجه، فجاء يوماً بشيءٍ فأكل منه أبو بكر، فقال له الغلام:

أتدرى ما هذا؟ فقال أبو بكر: وما هو؟!

قال: كنتُ تكهنت[2] لإنسانٍ فى الجاهلية، وما أُحسِنُ الكهانة، إلا أنى خَدَعته فأعطانى بذلك[3]، فهذا الذى أكلتَ منه، فأدخلَ أبو بكر يَدهُ فقاء كل شيءٍ فى بطنه[4].

قال ابن التين: إنما استقاء أبو بكر تنزهاً، لأن أمر الجاهلية وُضع، ولو كان فى الإسلام لغُرم مثل ما أكل أو قيمته، ولم يكفه القيء.

أما ابن حجرَ العسقلانى فقال: الذى يظهر أن أبا بكر إنما قاء لما ثبت عنده من النهى عن حلوان الكاهن. **وحلوان الكاهن** ما يأخذه على كهانته[5].

وقد روى هذا الأثر قيس بن أبى حازم فقال: كان لأبى بكر غلامٌ، فكان إذا جاء بغلته لم يأكل من غلته حتى يسأله، فإن كان شيئاً مما يحب أكل، وإن كان شيئاً يكره لم يأكل.

قال: فنسى ليلة فأكل ولم يسأله، ثم سأله فأخبره أنه من شيءٍ كرهه، فأدخل يده فتقيأ، حتى لم يترك شيئاً. يعنى فى جوفه[6].

(١) أى يأتيه بما يكسبه، والخراج ما يقرره السيد على عبده من مالٍ يحضره له من كسبه.

(٢) **تكهنت:** الكاهن من يخبر بما سيكون عن غير دليلٍ شرعى، وكان ذلك قد كثر فى الجاهلية خصوصاً قبل ظهور الإسلام.

(٣) أى عوض تكهنى له.

(٤) **إسناده صحيحٌ**. أخرجه البخارى (٣٨٤٢).

(٥) انظر: الفتح (٧/ ١٥٤).

(٦) **إسناده حسنٌ**. أخرجه أحمد (ص/ ١٠٩) فى الزهد.

وكما تورع أبو بكر فى مطعمه، فكذلك تورع فى مَنطقه، فلا ينطق إلا حقاً، ولا يقول إلا صدقاً، ولا يسأل عما لا يعنيه.

ومع كل ذلك فقد كان يخشى على نفسه من منطقه، ويُحذر غيره منه.

روى أسلم أبو زيد رحمه الله أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه اطلع على أبى بكر رضى الله عنه وهو يمد لسانه، وفى لفظٍ آخر: وهو يجبذ لسانه.

وفى روايةٍ: رأى أبا بكر وهو مدل لسانه، آخذه بيده.

فقال عمر: ما تصنع يا خليفة رسول الله؟!!

وفى رواية: مَهْ[1]، غفر الله لك؟

فقال أبو بكر: إن هذا أوردنى الموارد[2].

وفى روايةٍ: وهل أوردنى الموارد إلا هذا؟!!

إن رسول الله ﷺ قال:

«ليس شىءٌ من الجسد إلا يشكو إلى الله اللسان على حدته»[3].

---

(١) مه: اكفف.

(٢) أى التى يخشى عاقبتها.

(٣) حديثٌ حسنٌ. أخرجه ابن أبى الدنيا فى الصمت (١٣)، والورع (٩٢)، وأبو يعلى كما فى المجمع (١٠/٣٠٢)، والبيهقى (٤٩٤٧) فى شعب الإيمان، وابن السنى (٧) فى عمل اليوم والليلة وأخرجه مقتصراً على الموقوف منه، مالك (١٩٢١) فى الموطأ، وأحمد (ص/١٣٩) فى الزهد، وأبو نعيم (١/ ٣٣) فى الحلية.

(٥) أبو بكر ينهى عن عمل الجاهلية

كان أبو بكر رضى الله عنه ينهى عن أعمال الجاهلية، والابتداع فى الدين، ويدعو إلى أعمال الإسلام، والتمسك بالسُّنة.

يقول قيس بن أبى حازم: دخل أبو بكر على امرأة من أحمس[١]، يقال لها زينب، فرآها لا تتكلم.

فقال أبو بكر: ما لها لا تتكلم؟!

قالوا: نوت حجة مصمتة[٢].

وفى رواية: حَجَّتْ مُصمتة.

فقال لها: تكلمى، فإن هذا لا يحل[٣]، هذا من عمل الجاهلية.

قال: فتكلمت[٤]، فقالت: من أنت؟ قال: أنا امرؤٌ من المهاجرين.

قالت: أىُّ المهاجرين؟ قال: من قريشٍ.

قالت: من أىِّ قريشٍ أنتَ؟ قال: إنك لسؤولٌ، أنا أبو بكر.

قالت: يا خليفة رسول الله: ما بقاؤنا على هذا الأمر الصالح، الذى جاء اللهُ به بعد الجاهلية؟ فقال: بقاؤكم عليه ما استقامت بكم أئمتكم.

قالت: وما الأئمة؟ قال: أما كان لقومك رءوسٌ، وأشرافٌ يأمرونهم

---

(١) **الحمس:** قريش ومَنْ ولدتْ قريش وكنانة، وجديلة، **والأحمس:** المتشدد على نفسه فى الدين، والورع، وقيل لقريش: الحمس لأنهم كانوا يتشددون فى دينهم وشجاعتهم فلا يطاقون.

(٢) أى ساكتة، يقال أصمت وصمت، بمعنى أسكت وسكت.

(٣) يعنى ترك الكلام.

(٤) جاء فى رواية الإسماعيلى من وجه آخر عن أبى بكر الصديق أن المرأة قالت له: كان بيننا وبين قومك فى الجاهلية شر، فحلفتُ إن الله عافانا من ذلك أن لا أكلم أحداً حتى أحج. فقال أبو بكر: إن الإسلام يهدم ذلك، فتكلمى.
انظر: الفتح (٧/ ١٥٠).

فيطيعونهم؟

قالت: بلى قال: فهم أولئك على الناس[1].

«**إنك لسئول**» أي كثيرة السؤال، وهذه الصيغة يستوى فيها المذكر والمؤنث.

«**ما بقاؤنا على هذا الأمر الصالح**» أي دين الإسلام، وما اشتمل عليه من العدل، واجتماع الكلمة، ونصر المظلوم، ووضع كل شيءٍ في محله.

«**أئمتكم**» أي لأن الناس على دين ملوكهم، فَمَنْ حاد من الأئمة عن الحال مال، وأمال.

قال الخطابي رحمه الله: كان من نُسك أهل الجاهلية الصمت، فكان أحدهم يعتكف اليوم والليلة، ويصمت، فنهوا عن ذلك، وأمروا بالنطق بالخير.

وقد استدل بقول أبي بكر هذا من قال بأن من حلف أن لا يتكلم استحب له أن يتكلم، ولا كفارة عليه، لأن أبا بكر لم يأمرها بالكفارة، وقياسه أن من نذر أن لا يتكلم لم ينعقد نذره، لأن أبا بكر أطلق أن ذلك لا يحل، وأنه من فعل الجاهلية، وأن الإسلام هدم ذلك، ولا يقول أبو بكر مثل هذا إلا عن توقيفٍ، فيكون في حكم المرفوع[2].

وقال ابن حجر العسقلاني: وأما الأحاديث الواردة في الصمت وفضله، فلا يعارض لاختلاف المقاصد في ذلك، فالصمت المرغب فيه: ترك الكلام بالباطل، وكذا المباح إن جر إلى شيءٍ من ذلك، والصمت المنهى عنه ترك الكلام في الحق لمن يستطيعه، وكذا المباح المستوى الطرفين، والله أعلم[3].

---

(١) **إسناده صحيحٌ**. أخرجه البخاري (٣٨٣٤)، والدارمي (١/ ٧١) في سننه، وابن سعد (٨/ ٤٧٠) في طبقاته بنحوه.

وعنده: قالت: إنا كنا حديثي عهد بجاهلية، لا يأمن بعضنا بعضاً، وقد جاء الله من الأمر بما ترى فحتى متى يدوم لنا هذا؟ قال: ما صلحت أئمتكم.

(٢) انظر: الفتح (٧/ ١٥٠).

(٣) انظر السابق (٧/ ١٥١).

(٦) أبو بكر يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر

من الصفات التى اتصف بها الصديق رضى الله عنه: الأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر.

فكان على الدوام آمراً بالمعروف، وناهياً عن المنكر، ومبُيناً للناس أن المنكر إذا لم يُغير كان سبباً فى نزول العذاب.

يقول قيس بن أبى حازم: سمعت أبا بكر الصديق يقول:

يا أيها الناس..

إنكم تقرءون هذه الآية: **﴿يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم﴾** إنى سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**إن القوم إذا رأوا المنكر فلم يُغيِّرُوه، عَمَّهُمُ اللهُ بعقابٍ**».

وفى رواية أخرى: يا أيها الناس، إنكم تقرءون هذه الآية، وتضعونها على غير مواضعها، وإنا سمعنا النبى ﷺ يقول: «**إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه، أوشك أن يعمهم الله بعقابٍ**»[1].

فالناس قد أساءوا فهم معنى الآية الكريمة، فجعلوها دليلاً لهم على ترك الأمر بالمعروف، وعدم إزالة المنكر.

فقال لهم أبو بكر الصديق: أيها الناس.. إنكم تقرءون هذه الآية: **﴿عليكم أنفسكم لا يضركم مَنْ ضل إذا اهتديتم﴾** وتضعونها على غير مواضعها، بأن تجرونها على عمومها، وتمتنعون عن الأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر مطلقاً، وليس كذلك.

---

(١) **حديثٌ صحيحٌ**. أخرجه أبو داود (٤٣٣٨)، والترمذى (٢١٦٨)، (٣٠٥٧)، والنسائى (١٧٧) فى تفسيره، وابن ماجه (٤٠٠٥)، والحميدى (٣)، وأحمد (١/ ٢، ٥، ٧، ٩)، وابن حبان (١/ ٢٦٢)، والبيهقى(٧٥٥٠) فى شعب الإيمان،و(١٠/ ٩١)فى سننه الكبرى، والبغوى (٤١٥٣) فى شرح السنة، وابن أبى شيبة (٨/ ٦٦٧) فى مصنفه، وغيرهم.

فالمعنى: أى الزموا حفظ أنفسكم عن المعاصى، فإذا حفظتم أنفسكم، لم يضركم إذا عجزتم عن الأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر، ضلال مَنْ ضل بارتكاب المناهى إذا أهتديتم إلى اجتنابها.

«إن الناس» أى المطيقين لإزالة المنكر مع سلامة العافية «إذا رأوا الظالم» أى علموا فسقه وظلمه، وعصيانه.

«فلم يأخذوا على يديه» أى لم يكفوه عن الظلم بقولٍ، أو فعل «أوشك» أى قارب، أو أسرع «أن يعمهم الله بعقابٍ منه» أى بنوعٍ من العذاب، إما فى الدنيا، أو الآخرة، أو فيهما، لتضييع فرض الله بلا عذر[1].

قال أبو عبيدة: خاف الصديق أن يتأول الناس الآية غير تأويلها، فيدعوهم إلى ترك الأمر بالمعروف، فأعلمهم أنها ليست كذلك، وأن الذى أذن فى الإمساك عن تغييره عن المنكر هو الشرك الذى ينطق به المعاهدون من أجل أنهم يتدينون به، وقد صولحوا عليه.

فأما الفسوق، والعصيان، والريب من أهل الإسلام فلا يدخل فيه[2].

قال النووى: وأما قوله تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم**﴾ الآية.

فليس مخالفاً لوجوب الأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر، لأن المذهب الصحيح عند المحققين فى معنى الآية: أنكم إذا فعلتم ما كلفتم به فلا يضركم تقصير غيركم، مثل قوله تعالى: ﴿**ولا تزر وازرة وزر أخرى**﴾ فإذا كان كذلك فمما كلف به الأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر، فإذا فعله، ولم يمتثل المخاطب فلا عتب بعد ذلك على الفاعل لكونه أدى ما عليه[3].

ولعلَّ من أعظم المنكرات التى قام الصديق بإنكارها الردة التى حدثت بعد وفاة النبى ﷺ.

---

(١) انظر: تحفة الأحوذى (٦/ ٣٨٩) للمباركفورى.

(٢) انظر: تفسير البغوى (٢/ ٧٢).

(٣) انظر: التحفة (٦/ ٣٨٩)، عون المعبود (١١/ ٣٢٩) لأبى الطيب.

(٧) أبو بكر من الكاظمين الغيظ

من صفات أبى بكر رضى الله عنه: كظم الغيظ، وهى صفة رفيعة، وخلق متين.

وقد مدح الله تعالى من اتصفوا بتلك الصفة الجليلة، فقال جل شأنه:

﴿وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض، أعدت للمتقين الذين ينفقون فى السراء والضراء والكاظمين الغيظ، والعافين عن الناس، والله يحب المحسنين﴾[(١)].

ومن شدة اتصاف الصديق بتلك الصفة المحبوبة أخبره النبى ﷺ بما يعينه على التمسك بها، ويزيده إقبالاً على التحلى بها.

يقول أبو هريرة رضى الله عنه: إن رجلاً شتم أبا بكر، ورسول الله ﷺ جالس، فجعل النبى ﷺ يعجب ويبتسم، فلما أكثر الرجل، رد عليه أبو بكر بعض قوله، فغضب النبى ﷺ، وقام، فلحقه أبو بكر، وقال:

يا رسول الله، كان يشتمنى وأنت جالس، فلما أكثر رددتُ عليه بعض قوله، غضبت وقمت!!

فقال عليه الصلاة والسلام: «**إنه كان معك ملك يرد عنك، فلما رددت عليه بعض قوله وقع الشيطان، فلم أكن لأقعد مع الشيطان**».

ثم قال: «**يا أبا بكر، ثلاث كلهم: ما من عبد ظلم بمظلمه، فيغضى عنها[(٢)] لله عز وجل إلا أعز الله بها نصره، وما فتح رجل بابَ عطية، يريدُ بها صلة إلا زاده الله بها كثرة، وما فتح رجل باب مسألة يريد بها كثرة إلا زاده الله بها قلة**»[(٣)]

---

(١) سورة آل عمران: ١٣٣، ١٣٤.

(٢) أى لا يبالى ولا ينتصر لنفسه، بل يصبر ويحتسب.

(٣) **حديثٌ صحيحٌ**. أخرجه أحمد (٢/٤١٦)، و(٢/٤٣٦)، والطبرانى فى الأوسط كما فى المجمع (٨/ ١٩٠) وقال الهيثمى: رجال أحمد رجال الصحيح، وأخرجه عبد بن حميد كما فى الدر المنثور (٢/ ٧٤).

فالصديق اتصف بكظم الغيظ، ولكنه رد ما ظن أنه به يسكت ذلك الرجل، فرغبه النبى ﷺ فى الحلم والأناة، وأرشده إلى ضرورة تحليه بالصبر فى مواطن الغيظ، فإن الحلم وكظم الغيظ مما يزين المرء ويجمله فى أعين الناس، ويرفع قدره عند الله تعالى.

ويتبين لنا كذلك من هذا الموقف حرص الصديق رضى الله عنه على عدم إغضاب النبى ﷺ، والمسارعة إلى إرضائه.

وفى الحديث ذم الغضب للنفس، والنهى عنه، والتحذير منه، واعتزال الأنبياء للمجالس التى يحضرها الشيطان، وبيان لفضل المظلوم، الصابر، المحتسب للأجر والثواب.

وفيه حثٌ على العطايا، وصلة الأرحام، وذم للمسألة وأهلها.

ويظل الصديق متمسكاً بالحلم، وكظم الغيظ، حتى عُرف بالحلم والأناة، ولين الجانب، والرفق.

وهذا لا يعنى أن أبا بكر لم يكن يغضب، وإنما كان غضبه لله تعالى، فإذا رأى محارم الله قد انتهكت غضب لذلك غضباً شديداً.

أما لنفسه فلم يكن يغضب الصديق رضى الله عنه ولعلَّ فى الموقف التالى ما يبين لنا صحة ذلك.

يقول أبو برزة رضى الله عنه: كنا عند أبى بكر الصديق فغضب على رجلٍ من المسلمين فاشتد غضبه عليه جداً، فلما رأيتُ ذلك قلت:

يا خليفة رسول الله، أضرب عنقه؟

فلما ذكرتُ القتل أضرب عن هذا الحديث أجمع إلى غير ذلك من النحو، فلما تفرقنا أرسل إلىَّ فقال:

يا أبا برزة، ما قُلت، ونسيتُ الذى قلت، قُلت: ذكرنيه. قال: أما تذكر ما قلت؟ قلت: لا والله

قال: أرأيت حين رأيتنى غضبتُ على رجلٍ فقلتَ أضرب عنقه يا خليفة رسول الله؟ أما تذكر ذلك؟ أو كنت فاعلاً ذلك؟

قلت: نعم والله، والآن إن أمرتني فعلتُ.

قال: والله، ما هى لأحدٍ بعد مُحمدٍ ﷺ[1].

وفى روايةٍ أخرى قال أبو برزة: غضب أبو بكر على رجلٍ غضباً شديداً حتى تغيز لونه، قلت: يا خليفة رسول الله، والله لئن أمرتنى لأضربن عنقه، فكأنما صُبّ عليه ماءٌ باردٌ، فذهب غضبه عن الرجل.

قال: ثكلتك أمك أبا برزة، وإنها لم تكن لأحدٍ بعد رسول الله ﷺ.

فالصديق تغيظ من الرجل فى البدء لما قيل أنه سبه، فلما ذكر أبو برزة مقالته كان كلامه عظيماً عند أبى بكر حتى زال بسببه غضبه.

ومن هذا الموقف عُلم حكم مَنْ سب النبى ﷺ، وعُرف اتصاف الصديق بكظم الغيظ، والغضب لله تعالى، فرضى الله عنه، وأرضاه، وأعلى فى الجنة درجته.

---

(١) حديثٌ صحيحٌ. أخرجه أحمد (١/ ٩) برقم (٥٤)، (٦١)، وأبو داود (٤٣٦٣)، والنسائى (٧/ ١٠٩ ـ ١١١)، والطيالسى (ص/ ٣) فى مسنده، والحاكم (٤/ ٣٥٤) وصححه وأقره الذهبى.

(٨) اتصافه بالرحمة للأمة الإسلامية

من الشمائل التى اتصف بها الصديق الرحمة للأمة بأسرها، منذ بدء الإسلام، فكان رحيماً بالمسلمين الضعفاء، ومُعتقاً للعبيد والإماء، ومُعيناً للمساكين والفقراء.

تقول عائشة رضى الله عنها:

أعتق أبو بكر رضى الله عنه سبعة ممن كان يُعذب فى الله عز وجل منهمْ: بلال، وعامر بن فهيرة[(١)].

يقول قيس بن أبى حازم: اشترى أبو بكر بلالاً رضى الله عنه بخمسة أواقٍ وهو مدفون بالحجارة، قالوا:

لو أبيت إلا أوقية لبعناه، فقال: لو أبيتم إلا مائة أوقية لأخذته[(٢)].

فما أوسع تلك الرحمة التى جعلت عمر بن الخطاب يقول:

«أبو بكر سيدنا، وأعتق سيدنا، يعنى بلالاً رضى الله عنه[(٣)].

يقول قيس: فقال بلال: يا أبا بكر، إن كنت أعتقتنى لله، فدعنى حتى أعمل لله، وإن كنت إنما أعتقتنى لتتخذنى خادماً، فاتخذنى.

فبكى أبو بكر، وقال: إنما أعتقتك لله، فاذهب، فاعمل لله تعالى[(٤)].

ولما كانت خلافة أبى بكر رضى الله عنه تجهز بلال ليخرج إلى الشام حتى يغزو فى سبيل الله، فقال له أبو بكر:

---

(١) **إسناده صحيحٌ**. أخرجه ابن أبى شيبة (٧/ ٤٧٣) فى مصنفه، والحاكم (٣/ ٢٨٤) وصححه وأقره الذهبى.

(٢) **إسناده صحيحٌ**. أخرجه ابن سعد (٣/ ٢٣٢) فى طبقاته، وأبو نعيم (١/ ٣٨) فى الحلية، (١/ ١٥٠).

(٣) **إسناده صحيحٌ**. أخرجه ابن أبى شيبة (٧/ ٤٧٧)، والحاكم (٣/ ٢٨٤) وصححه، وأقره الذهبى، وأخرجه أبو نعيم (١/ ١٥٠) فى الحلية.

(٤) **إسناده صحيح**. أخرجه أبو نعيم (١/ ١٥٠) فى الحلية.

ما كنت أراك يا بلال تدعنا على هذا الحال ـ وذلك حين توفى الرسول ﷺ وتسلم الصديق للخلافة من بعده ـ لو أقمت معنا فأعنتنا؟

فقال بلال: إن كنت إنما أعتقتنى لله تعالى، فدعنى أذهب إليه، وإن كنت إنما أعتقتنى لنفسك، فاحبسنى عندك.

فأذن له، فخرج إلى الشام، فمات بها(١).

كل تلك المواقف من أبى بكر الصديق ـ رضى الله عنه ـ من صحابى واحد وهو بلال ـ رضى الله عنه تبين لنا قدر رحمة الصديق، وما امتلأ به قلبه من الشفقة على المسلمين.

ولهذا استحق الصديق أن يُلقب بأنه أرحم المسلمين بالأمة.

روى أنس بن مالك رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

«أرحم أمتى بأمتى أبو بكر»(٢).

---

(١) **إسناده صحيح**. أخرجه ابن سعد (٣/ ٢٣٨)، وأبو نعيم (١/ ١٥٠) فى الحلية.

(٢) **حديثٌ صحيحٌ** أخرجه أحمد (٣/ ١٨٤، ٢٨١)، والترمذى (٣٨٧٩)، وابن ماجه (١٥٤)، وابن حبان (٩/ ١٣١، ١٨٧)، وأبو نعيم (٣/ ١٢٢) فى الحلية.

اقرأ فى الصفحات التالية:

تابع الفصل السادس

[٩] جهاده فى سبيل الله.

[١٠] أبو بكر الصديق المتواضع.

[١١] خوفه من الله تعالى.

[١٢] سخاؤه وجوده وكرمه.

[١٣] احترافه العمل وتفرغه للخلافة.

[١٤] تسوية الصديق فى عطاء المال والقصاص.

[١٥] علمه وفتواه وفقهه رضى الله عنه.



(٩) جهاده فى سبيل الله

شهد أبو بكر ـ رضى الله عنه ـ بدراً، وأُحُداً، والخندق، والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، وكان يحمل الراية العظمى يوم تبوك، وكانت سوداء، وكان فيمن ثبت مع رسول الله ﷺ يوم أُحد، ويوم حنين حين ولى الناس.

ولم يختلف أهل السير والتراجم فى أن أبا بكر الصديق ـ رضى الله عنه ـ لم يتخلف عن رسول الله ﷺ فى مشهد من مشاهده كلها.

فعن عائشة ـ رضى الله عنها ـ أنها سئلت عن هذه الآية: ﴿**الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم**﴾ (سورة آل عمران: ١٧٢).

فقالت لعروة بن الزبير: يا ابن أختى، كان أبواك منهم: الزبير، وأبو بكر، لما أصاب رسول الله ﷺ ما أصاب يوم أحد، وانصرف عنه المشركون، خاف أن يرجعوا، قال: «**من يذهب فى إثرهم**»[1].

فانتدب منهم سبعون رجلاً، كان فيهم أبو بكر، والزبير.

ولعلَّ من أعظم صفحات الصديق فى درب الجهاد فى سبيل الله حرصه على قتال المرتدين، وشدته على المنافقين.

---

(١) **إسناده صحيح**. أخرجه البخارى (٤٠٧٧)، وفى الباب عن ابن عباس رضى الله عنه.

١٠ـ أبو بكر الصديق المتواضع

عُرف أبو بكر بالتواضع قبل الإسلام فلم يستطل على أحدٍ، وفى الإسلام فلم يتكبر بأى صورةٍ من صور الكبر المختلفة، حتى بعد تسلمه للخلافة.

حتى إنه سمع النبى ﷺ يقول:

«من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة»(١).

فقال أبو بكر: يا رسول الله، إن أحد شقَّىْ ثوبى يسترخى، إلا أن أتعاهد ذلك منه.

فقال النبى ﷺ: **«إنك لست ممن يصنع للخيلاء»**.

ففى هذا الحديث فضيلة ظاهرة لأبى بكر لخوفه على دينه، وحرصه على عدم الوقوع فى الكبر، والذى ينافى بدوره التواضع.

وقد أشاد النبى ﷺ بأبى بكر، ونفى عنه أن يكون من المتكبرين.

«من جر ثوبه» ويدخل فيه الإزار، والسراويل، والجبة، ونحوها من كل ملبوسٍ.

والجر قد يكون بجر طرفها على الأرض، أو المبالغة فى تطويلها أسفل الكعبين.

وقد يقول البعض: إنما قال هذا فيمن جر إزاره خُيلاء، وأنا لا أفعلُ خيلاء فتراه يكابر، ويُبرئ نفسه الحمقاء، ويعمد إلى نص مُستقلٍ عامٍ، فيخصه بحديثٍ آخر مُستقلٍ بمعنى الخيلاء، ويترخص بقول الصديق: إنه يا رسول الله يسترخى إزارى!.

فقال له: **«لست يا أبا بكر ممن يفعله خيلاء»**.

فيقال لهؤلاء: أبو بكر رضى الله عنه لم يكن يشُدُّ إزاره مسدولاً على كعبيه

---

(١) **حديثٌ صحيحٌ**: أخرجه البخارى(٣٦٦٥)،(٥٧٨٣)،ومسلم (٢٠٨٥)، وأحمد(٢/ ٦٧، ١٠٤)، والترمذى (١٧٣١)،والنسائى(٨/ ٢٠٦، ٢٠٩)والبغوى(٣٠٧٧)فى شرح السنة.

أولاً، بل كان يشده فوق الكعب، ثم فيما بعد يسترخى[1].

قال ابن العربى: لا يجوز للرجل أن يجاوز بثوبه كعبه، ويقول: لا أجرُّه خيلاء، لأن النهى قد تناوله لفظاً، ولا يجوز لمن تناوله اللفظ حكماً أن يقول لا أمتثله، لأن تلك العلة ليست فىَّ، فإنها دعوى غير مُسلمة، بل إطالة ذيله دالة على تكبره.

وحاصله أن الاسبال يستلزم جر الثوب، وجر الثوب يستلزم الخيلاء، ولو لم يقصد اللابس الخيلاء[2].

«إن أحد شقى يسترخى» الشق: الجانب، ويطلق أيضاً على النصف، والمراد الأول ههنا، وكان سبب استرخائه نحافة جسم أبى بكر رضى الله عنه.

ويتضح لنا من ثنايا هذا الحديث حرص الصديق على التواضع، والبُعد عن الأحوال والمواطن التى توردة موطن الكبر.

«لم ينظر الله إليه» نثبت ذلك بغير تكييف، ولا تشبيه، ولا تمثيل، ولا تعطيل، ولا تأويل.

وقد كان يحض غيره على التواضع، وترك الكبر، وخاصة أبناءه.

تقول عائشة رضى الله عنها: لبست ثيابى، فطفقتُ أنظر إلى ذيلى، وأنا أمشى فى البيت، وألتفت إلى ثيابى وذيلى.

فدخل علىَّ أبوبكر، فقال: ياعائشة، أما تعلمين أن الله لاينظر إليك الآن؟![3].

ومن صور تواضعه: أنه كان يشيع المجاهدين تارة على راحلته، وتارة أخرى ماشياً، وفى ذلك من العون المعنوى للمجاهدين الشىء الكثير.

يقول قيس بن أبى حازم:

بعث أبو بكر رضى الله عنه جيشاً إلى الشام، فخرج يشيعهم على راحلته[4].

---

(١) انظر: السير (٣/ ٢٣٤) للذهبى. (٢) انظر: الفتح (١٠/ ٢٦٤).

(٣) **إسناده حسن**..أخرجه أبو نعيم (١/ ٣٧) فى الحلية.

(٤) **إسناده صحيح**: أخرجه ابن أبى شيبة (٧/ ٧٣٢) فى مصنفه.

ويروى جابر الرعينى رحمه الله فيقول: شيع أبو بكر جيشاً، فمشى معهم، فقال: الحمد لله الذى أغبرت أقدامنا فى سبيل الله.

قال: فقال رجلٌ: إنما شيعناهم، فقال أبو بكر رضى الله عنه:

جهزناهم، وشيعناهم، ودعونا لهم[1].

ولعلَّ من أروع صور التواضع التى تركها لنا أبو بكر أسوة، وقدوة، أنه كان يحلب لجوارى الحى.

تروى أنيسة رضى الله عنها فتقول:

نزل فينا أبو بكر ثلاث سنين، سنتين قبل أن يُستخلف، وسنة بعد ما استُخلف، فكان جوارى الحى يأتينه بغنمهن، فيحلبهن لهن[2].

إنه تواضع لم يُسمع به من قبل، ولا من بعد!.

خليفة المسلمين يحلب الأغنام للجوارى !!.

وفى روايةٍ لابن عمر رضى الله عنهما:

كان يحلب للحى أغنامهم، فلما بويع له بالخلافة، قالت جارية من الحى:

الآن لا يحلب لنا منائحنا.

فسمعها أبو بكر فقال: بلى، لعمرى لأحلبنها لكم، وإنى لأرجو أن لا يغيرنى ما دخلتُ فيه عن خُلقٍ كنت عليه.

فكان يحلب لهم، فربما قال للجارية: أتحبين أن أُرغى لك، أو أن أصرِّح؟ فربما قالت: أرغ، وربما قالت صرح، فأى ذلك قالت، فعل[4].

وفى روايةٍ تقول أنيسة رضى الله عنها:

---

(١) إسناده محتمل التحسين. أخرجه ابن أبى شيبة (٧/ ٧٣٢)، والبيهقى (٩/ ١٧٣) فى سننه الكبرى.

(٢) إسناده صحيحٌ. أخرجه ابن سعد(٨/ ٣٦٤)، وأخرجه ابن الأثير(٣/ ٣٢٨)فى أسد الغابة.

(٣) إسناده حسن لغيره. أخرجه ابن سعد (٣/ ١٨٦) فى طبقاته بسندٍ ضعيف، لكن يشهد له السابق.

كنّ جوارى الحى ينتهين بغنمهن إلى أبى بكر الصديق، فيقول لهن:

أتحبون أن أخلب لكم حلب ابن عفراء؟!

أى قلبٍ ذلك القلب المتواضع؟!

ومن صور تواضعه ـ رضى الله عنه ـ حرصه على عدم إغضاب أى مسلمٍ، بل وسعيه فى إرضاء مَنْ أحس أنه قد غضب منه فى شىءٍ.

ومن أوضح المواقف التى ترشدنا إلى ذلك ما رواه عائذ بن عمرو رضى الله عنه من أن أبا سفيان أتى[1] على سلمان، وصهيب، وبلال فى نفرٍ، فقالوا:

والله ما أخذت سيوفُ الله من عنق عدو الله مأخذها.

وفى رواية: ما أخذت سيوف الله من عنق هذا مأخذها بعد.

قال: فقال أبو بكر: أتقولون هذا لشيخ قريشٍ، وسيدهم؟!.

فأتى النبى ﷺ فأخبره، فقال: «**يا أبا بكر، لعلك أغضبتهم، لئت كنت أغضبتهم، لقد أغضبت ربك**»[2].

فأتاهم أبو بكر فقال:

يا إخوتاه، أغضبتكم؟ قالوا: لا، يغفر الله لك[3] يا أُخَىّ[4].

وفى روايةٍ أخرى: أى أخوتنا لعلكم غضبتم؟ قالوا: لا يا أبا بكر، يغفر الله لك.

ففى هذا الموقف فضيلة ظاهرة لسلمان رضى الله عنه ورفقته هؤلاء، وفيه

---

(١) هذا الإتيان لأبى سفيان كان وهو كافر فى الهدنة بعد صلح الحديبية. قاله النووى.

(٢) **حديثٌ صحيحٌ**. أخرجه مسلم (٢٥٠٤)، وأحمد (٥/ ٦٤، ٦٥)، والطبرانى (١٨/١٨) فى الكبير، وأبو نعيم فى الحلية (١/ ٣٤٦)، وابن عساكر فى تاريخه كما فى التهذيب (٣/ ٣١٣) لتاريخ دمشق.

(٣) قال القاضى عياض رحمه الله: قد روى عن أبى بكر أنه نهى عن مثل هذه الصيغة، وقال: قل عافاك الله، رحمك الله، لا تزد، أى لا تقل قبل الدعاء لا، فتصير صورته صورة نفى الدعاء.

قال بعضهم: قل لا، ويغفر لك الله.

(٤) أُخى: تصغير أخى، وهو تصغير تحبيب، وترقيق، وملاطفة.

مراعاة قلوب الضعفاء، وأهل الدين، وإكرامهم وملاطفتهم.

وفيه بيانٌ لتواضع أبى بكر الجم، وحرصه على عدم إغضاب إخوانه من المسلمين.

فهلا اقتدينا بتواضع الصديق، واتصفنا بتلك الصفة؟.

هذا ما أرجوه من الله تعالى، وهذا ما أتمناه.

١١ـ خوفه من الله تعالى

كان الصديق من الخائفين من الله، البكائين من خشيته سبحانه وتعالى.

فإذا تلا آيات القرآن بكى، ولم يملك دموعه، وإذا ذُكر بالله تعالى تذكر وخشع.

وإذا تذكر عقاب الله وحسابه خاف خوفاً شديداً.

فعن أبى بكر بن أبى زهير عن أبى بكر الصديق ـ رضى الله عنه ـ أنه قال:

يا رسول الله، كيف الصلاح بعد هذه الآية: ﴿من يعمل سوءاً يجزبه﴾؟.

فكل سوء عملناه جزينا به!

فقال النبى ﷺ: «**غفر الله لك يا أبا بكر**» قاله ثلاثاً.

«**يا أبا بكر، ألست تمرض؟ ألست تحزن؟ ألست تنصب؟ ألست يصيبك الأذى؟ ألست تصيبك اللأواء؟**».

قلت: نعم. قال: «**فهو ما تجزون به فى الدنيا**»(١).

اللأوء: الشدة، وضيق المعيشة.

ومن صور الخوف عند أبى بكر الصديق ـ رضى الله عنه ـ خوفه من يوم القيامة، والقصاص فيه.

يروى عبد الله بن عمرو ـ رضى الله عنهما ـ أن أبا بكر الصديق ـ رضى الله

---

(١) حديثٌ حسنٌ، أخرجه أحمد (١/ ١١)، والحاكم (٣/ ٧٤) وصححه وأقره الذهبى، وابن حبان (٤/ ٢٥٠)، وابن جرير (٥/ ١٨٩) فى تفسيره، وفيه انقطاعٌ بين ابن أبى زهير والصديق.

وأخرجه الترمذى (٣٢٣٠) من طريقٍ آخر بسندٍ ضعيف، وأخرجه أحمد (١/ ٦) بسندٍ آخر فيه ضعفٌ، وله شاهدٌ من حديث عائشة أخرجه أحمدُ (٦/ ٦٦)، ومن حديث أبى هريرة أخرجه مسلم (٢٥٧٤)، والترمذى (٣٢٢٩)، وخرّجته موسعاً فى الهم والحزن (٨٦) لابن أبى الدنيا.

« **اللأواء**» يعنى الشدة والضر.

عنه ـ قام يوم الجمعة ، فقال: إذا كان بالغداة فأحضروا صدقات الإبل تقسم، ولا يدخل علينا أحدٌ إلا بإذن، فقالت امرأةٌ لزوجها: خذ هذا الخطام، لعلَّ الله يرزقنا جملاً، فأبى الرجل، فوجد أبا بكر وعمر ـ رضى الله عنهما ـ قد دخلوا إلى الإبل فدخل معهما، فالتفت أبو بكر ـ رضى الله عنه ـ فقال:

ما أدخلك علينا؟!

ثم أخذ الخطام منه، فضربه، فلما فرغ أبو بكر من قسم الإبل، دعا بالرجل فأعطاه الخطام، وقال: استقد.

فقال له عمر: والله لا يستقيد، لا تجعلها سُنة.

فقال أبو بكر: فَمَنْ لى من الله يوم القيامة؟!!.

فقال عمر رضى الله عنه: أرضه، فأمر أبو بكر الصديق ـ رضى الله عنه ـ غلامه أن يأتيه براحلته، ورحلها، وقطيفة، وخمسة دنانير، فأرضاه بها(1).

فهذا الموقف يكشف بجلاءٍ عن خوف أبى بكر ـ رضى الله عنه ـ من الله تعالى.

---

(1) **إسناده صحيحٌ.** أخرجه البيهقى (٨/ ٤٩، ٥٠) فى سننه.

١٢ـ سخاؤه وجوده وكرمه

اتصف أبو بكر ـ رضى الله عنه بالسخاء والجود، وعُرف بين الصحب الكرام بالكرم، والإنفاق فى سبيل الله تعالى.

فكم من أموالٍ أنفقها فى سبيل نصرة الإسلام والمسلمين !

وكم من أموالٍ أخرجها إلى الفقراء والمساكين، والمحتاجين !

فعن هشام بن عروة قال: أخبرنى أبى أن أبا بكر أسلم وله أربعون ألف دينار.

قال عروة أبو هشام: فأخبرتنى عائشة قالت:

توفى أبو بكر ولم يترك ديناراً، ولا درهما، ضرب الله سِكّتَه(١).

وكان مع كثرة إنفاقه وعطائه، يدعو الناس إلى ترك السؤال.

يقول جابر بن عبد الله رضى الله عنه:

أتيتُ أبا بكر أسأله فمنعنى، ثم أتيته أسأله فمنعنى، فقلتُ:

إما أن تعطينى، وإما أن تبخل علىَّ.

فقال: وأىُّ داء شرٌ من البخل؟ !.

ما من مرةٍ تسألنى إلا وأنا أريد أن أعطيك ألفاً، فعدَّ لى ثلاثة آلاف(٢).

فالصديق ـ رضى الله عنه ـ كان معروفاً بالتجارة، ولقد بُعث النبى ﷺ وعنده أربعون ألف دينار فكان يُعتق منها، ويُقوى المسلمين حتى قَدِمَ المدينة فى الهجرة بخمسة آلاف دينار، فكان يفعل فيها ما كان يفعل بمكة.

تقول أسماء بنت أبى بكر ـ رضى الله عنها ـ: لما خرج رسول الله ﷺ،

---

(١) **خبرٌ صحيحٌ**. أخرجه ابن سعد (٣/ ١٧٢، ١٩٥) فى طبقاته، وأبو داود (٣٥) فى الزهد، وعبد الله بن أحمد فى زوائد الزهد (ص/ ١٣٦).
وأورده الذهبى فى تاريخ الإسلام (٣/ ١٠٧).

(٢) **إسناده حسن**. أخرجه ابن أبى الدنيا (٤١٣) فى مكارم الأخلاق.

وخرج أبو بكر معه، احتمل أبو بكر ماله كله خمسة آلاف دينار، أو ستة آلاف، فانطلق بها معه[1].

فما أروع إنفاقه فى سبيل الله. .

وما أسخاه فى مرضاة الله تعالى.

---

(١) إسناده صحيحٌ. وسبق تخريجه.

١٣ـ احترافه العمل وتفرغه للخلافة

كان أبو بكر الصديق محترفاً لمهنة التجارة، واشتهر بها، لحسن تعامله، ودماثة خلقه، وظل ذلك دأبه حتى ولى الخلافة.

وليس من اليسير أن يحترف الخليفة لنفسه وأولاده مع عظم المهمات المنوط به القيام بها، وهنا يكفيه بيت المال حاجته، وحاجة أهله.

تقول عائشة رضى الله عنها: لما ولى أبو بكر قال:

قد عَلِمَ قومى أن حِرْفَتى لم تكن لتعجز عن مؤونة أهلى، وقد شُغِلْتُ بأمر المسلمين، وسأحترف للمسلمين فى مالهم، وسيأكلُ آلُ أبى بكر من هذا المَال[١].

ولأن أبا بكر من أهل الحياء لم يطلب بنفسه ما يكفيه، فأعطاه القائم على بيت المال ما غلب على ظنه أنه يكفيه، ولم يكن الأمر كذلك.

يقول ميمون أبو عمرو:

لما استخلفَ أبو بكر جعلوا له ألفين، فقال: زيدونى، فإن لى عيالاً، وقد شغلتمونى عن التجارة.

قال: فزادوه خمسمائة[٢].

وهكذا عاش أبو بكر ـ رضى الله عنه ـ من بيت المال هو وأسرته، فلما كان قرب منيته أوصى بأن يُرد ما عنده من مالٍ إلى بيت المال تورعاً منه.

تقول عائشة رضى الله عنها: لما مرض أبو بكر مرضه الذى مات فيه قال:

انظروا ما زاد فى مالى منذ دخلتُ الإمارة، فابعثوا به إلى الخليفة من بعدى، فإنى قد كنتُ أستحلّه.

وفى روايةٍ: أستصلحه جهدى، وكنت أصيبُ من الودك[٣] نحواً مما كنت أصيب فى التجارة.

---

(١) **إسناده صحيحٌ**. أخرجه ابن سعد (٣/ ١٨٥) فى طبقاته.

(٢) **إسناده صحيح**. أخرجه ابن سعد (٣/ ١٨٥) فى طبقاته.

(٣) **الودك**: دسم اللحم ودهنه الذى يستخرج منه.

قالت عائشة: فلما مات نظرنا فإذا عبدٌ نوبيٌّ كان يحمل صبيانه، وإذا ناضح كان يسقى بستاناً له، فبعثنا بهما إلى عمر، فأخبرنى جدّى أن عمر بكى، وقال: رحمة الله على أبى بكر لقد أتعب من بعده تعباً شديداً[1].

وفى رواية عن عائشة قالت: إن أبا بكر حين حضره الموت قال:

إنى لأعلم عند أبى بكر من هذا المال شيئاً غير هذه اللقحة، وغير هذا الغلام الصيقل، كان يعمل سيوف المسلمين، ويخدمنا، فإذا مِتُّ فادفعيه إلى عمر، فلما دفعته إلى عمر قال: رحم الله أبا بكر، لقد أتعب مَنْ بعده[2].

---

(١) إسناده صحيحٌ. أخرجه ابن سعد (٣/ ١٩٢) فى طبقاته.

(٢) إسناده صحيح. أخرجه ابن سعد (٣/ ١٩٢).

١٤ـ تسوية الصديق فى عطاء المال والقصاص

من شمائل الصديق: أنه سوى بين رعيته فى العطاء، وقسمة المال، واعتبر أن سابقة بعضهم فى الخيرات إنما يُثاب عليها فى الدار الآخرة.

تقول عائشة رضى الله عنها:

قسم أبى أول عام الفىء، فأعطى الحُرّ عشرة، وأعطى المملوك عشرة، والمرأة عشرة، وأمَتها عشرة، ثم قسم فى العام الثانى، فأعطاهم عشرين عشرين[(١)].

وقال سهل بن أبى حثمة رضى الله عنه:

قدم مالٌ فى خلافة الصديق، فكان أبو بكر يقسمه على الناس نُقراً نُقراً، فيصيب كل مائة إنسانٍ كذا وكذا.

وكان يسوى بين الناس فى القسم، الحر والعبد، والذكر والأنثى، والصغير والكبير، فيه سواء[(٢)].

ويقول (أسلمُ) رحمه الله:

ولى أبو بكر ـ رضى الله عنه ـ فقسم بين الناس بالسوية، فقيل لأبى بكر:

يا خليفة رسول الله، لو فضلت المهاجرين والأنصار؟.

فقال: اشترى منهم شرى، فأما هذا المعاش فالأسوة فيه خير من الأثرة.

الشرى: أى سابقتهم.

ومن ملامح التسوية فى حياة الصديق أنه لا يتحرج من القصاص للعامل من أميره، ويقسم على القيام بذلك.

---

(١) **إسناده حسن لغيره.** أخرجه ابن سعد (٣/ ١٩٣) وفيه أسامة بن زيد، فيه ضعفٌ، لكن له شاهدُ من رواية ابن أبى حثمة، وهى التالية، أخرجها ابن سعد (٣/ ٢١٢، ٢١٣) فى طبقاته من رواية الواقدى، وهو متروكٌ، لكن يُستشهد به فى السير والمغازى، وله شاهدٌ يرويه البيهقى (٦/ ٣٤٨) فى سننه الكبرى من رواية أسلم، وفيه أبو معشر ضعيف، وعن عمر مولى غفرة.

(٢) **إسناده حسن لغيره** انظر السابق.

تروى عائشة ـ رضى الله عنها ـ فتقول: كان رجلٌ أسود يأتى أبا بكر ـ رضى الله عنه ـ فيدنيه، ويقرئه القرآن حتى بعث ساعياً، أو قال سرية، فقال: أرسلنى معه.

قال: بل تمكث عندنا، فأبى فأرسله معه، واستوصى به خيراً، فلم يغبر عنه إلا قليلاً حتى جاء قد قُطعت يده، فلما رآه أبو بكر ـ رضى الله عنه ـ فاضت عيناه.

فقال: ما شأنك؟ قال: ما زدتُ على أنه كان يولينى شيئاً من عمله، فخنته فريضة واحدة فقطع يدى.

فقال أبو بكر رضى الله عنه: تجدون الذى قطع هذا يخون أكثر من عشرين فريضة؟!.

والله لئن كنت صادقاً لأقيدنك به.

قال: ثم أدناه، ولم يحول منزلته التى كانت له منه، فكان الرجل يقوم الليل، فيقرأ فإذا سمع أبو بكر رضى الله عنه صوته قال: يا لله لرجلٍ قطع هذا!

قالت: فلم يغبر إلا قليلاً حتى فقد آل أبى بكر ـ رضى الله عنه ـ حُلياً لهم ومتاعاً، فقال أبو بكر رضى الله عنه: طرق الحى الليلة، فقام الأقطع فاستقبل القبلة، ورفع يده الصحيحة، والأخرى التى قطعت، فقال: اللهم أظهر على من سرقهم أو نحو هذا.

وكان ربما قال: اللهم أظهر على من سرق أهل هذا البيت الصالحين.

قالت: فما انتصف النهار حتى عثروا على المتاع عنده، فقال له أبو بكر رضى الله عنه:

ويلك، إنك لقليل العلم بالله، فأمر به قطعت رجله.

وفى رواية قالت عائشة رضى الله عنها:

كان إذا سمع أبو بكر صوته، قال ما ليلك بليل سارقٍ !!

قال العلامة البيهقى: والاستدلال فى هذه المسألة وقع بقوله:

«والله لئن كنت صادقاً لأقيدنك»[1].

فالتسوية والعدل مبدأ من المبادئ القويمة التى عاش من أجلها وعليها الصديق رضى الله عنه وأرضاه.

---

(١) إسناده صحيحٌ. أخرجه البيهقى(٨/ ٤٩)فى سننه الكبرى، وأخرجه مالك عن القاسم بن محمد مرسلاً.

١٥ـ علمه وفتواه وفقهه رضى الله عنه

كان الصديق ـ رضى الله عنه ـ من العلم بمكانٍ رفيع، ومنزلة عالية، عرفها له الصحب الكرام منذ العهد النبوى، وشهد بها التابعون الأخيار.

ومع تلك المنزلة فلم يكن أحد أهيب للفتوى منه، ولا أخوف من القول بغير علمٍ منه.

روى أبو سعيد الخدرى ـ رضى الله عنه ـ أن النبى ﷺ خطب الناس، فقال:

«**إن الله خير عبداً بين الدنيا، وبين ما عنده، فاختار ذلك العبد ما عند الله**».

قال: فبكى أبو بكر، فعجبنا لبكائه، أن يُخبر رسول الله ﷺ عن عبد خُيِّر، فكان رسول الله ﷺ هو المُخير، وكان أبو بكر أعلمنا[١].

فهذا يُبين أن أبا بكر ـ رضى الله عنه ـ كان من أرفع الصحب الكرام فى الفهم، لذا استحق أن يُطلق عليه أعلمنا».

بل وكان أبو بكر ـ رضى الله عنه ـ يفتى فى مجلس النبى ﷺ، وهذا يعد فى عداد فضائله.

وفى هذا المعنى يقول أبو قتادة بن ربعى رضى الله عنه:

خرجنا مع رسول الله ﷺ عام حنين، فلما التقينا كانت للمسلمين جولة[٢]، فرأيتُ رجلاً من المشركين قد علا رجلاً من المسلمين.

قال: فاستدرتُ له حتى أتيته من ورائه، فضربته بالسيف على حبل عاتقه[٣]، فأقبل علىَّ فضمنى ضمة وجدتُ منها ريح الموت، ثم أدركه الموتُ فأرسلنى.

قال: فلقيتُ عمر بن الخطاب، فقلتُ: ما بالُ الناس؟ فقال: أمرُ الله عز وجل[٤].

(١) **إسناده صحيح**. أخرجه البخارى (٣٦٥٤)، ومسلم (٢٣٨٢)، وأحمد (٣/١٨)، والترمذى (٣٦٦٠) وغيرهم.

(٢) أى انهزام وخيفة ذهبوا فيها، أو حركة فيها اختلاف.

(٣) **حبل عاتقه**: هو ما بين العنق والكتف.

(٤) **أمر الله**: أى حكم الله، وما قضى به.

ثم إن الناس رجعوا، فقال رسول الله ﷺ:

«من قتل قتيلاً له عليه بينة فله سلبه».

قال: فلم أر أحداً يشهد لى.

قال: فقمتُ، ثم قلت: من يشهد لى؟ ثم جلست، ثم قال رسول الله ﷺ:

« من قتل قتيلاً له عليه بينة فله سلبه» فقمت، فقلتُ من يشهد لى؟ وجلست.

ثم قال ذلك الثالثة، فقمتُ، فقال رسول الله ﷺ: «مالك يا أبا قتادة؟».

فاقتصصتُ عليه القصة، فقال رجلٌ من القوم: صدق يا رسول الله، وسلب ذلك القتيل عندى فارضه منه يا رسول الله.

فقال أبو بكر رضى الله عنه: لاها الله[1]، إذاً[2] لا يعمد إلى أسدٍ من أسود الله، يُقاتل عن الله، وعن رسوله[3]، فيعطك سلبه[4].

فقال النبى ﷺ: صدق فأعطه، فأعطانيه، فابتعتُ به مخرفاً[5] فى بنى سلمة، فإنه لأوَّلُ مال تأثَّلتُه[6] فى الإسلام[7].

فهذا الحديث يتضمن فتوى أبى بكر بحضرة النبى ﷺ، وهى من المناقب التى انفرد بها[8].

---

(١) بمعنى: لا والله.

(٢) فى نطق «لاها الله إذا» أوجه وآراء أجاد عرضها ونقدها ابن حجر فى الفتح (٨/ ٣٧، ٣٨).

(٣) المعنى: أى لا يقصد رسول الله ﷺ إلى رجلٍ كأنه أسد فى الشجاعة يقاتل عن دين الله ورسوله فيأخذ حقه ويعطيكه بغير طيبة من نفسه.

(٤) أى سلب قتيله، فأضافه إليه باعتبار أنه ملكه.

(٥) المخرف: بفتح الميم البستان، وهو الحائط الذى فيه ثمرٌ قد طاب وبدا صلاحه، والمخرف بكسر الميم هو الوعاء الذى يُخترف فيه الثمر.

(٦) تأثلته: أى أصلته، بمعنى جعلته أصل مال، يقال: تأثل ملكُ فلان: إذا كثر ماله.

(٧) حديثٌ صحيحٌ. أخرجه مالك(١٠٠٥)فى الموطأ، والبخارى (٤٣٢١)،(٤٣٢٢)، ومسلم (١٧٥١)، وأبو داود (٢٧١٧)، والترمذى (١٥٦٢) وأحمد (٥/ ٣٠٦).

(٨) انظر: صفة الصفوة (١/ ٢٤٦) لابن الجوزى.

وهذا لا يكون بكلِّ تأكيدٍ إلا عن علمٍ من الصديق رضى الله عنه، وحسن قبولٍ من النبى ﷺ لحديث الصديق وإفتائه فى مجلسه.

بل كان يأذن له النبى ﷺ فى التعبير للرؤيا فى مجلسه لعلمه ﷺ بما أوتى الصديق من ملكة الفهم، وحسن التعبير للمنامات، وهذا بدوره لا يكون إلا عن علمٍ عميق.

يروى ابن عباس - رضى الله عنهما - أن رجلاً أتى الرسول ﷺ فقال:

يا رسول الله، إنى رأيتُ الليلة[1] فى المنام ظُلة تنطف[2] السمن والعسل[3]، فأرى الناس يتكففون[4] منها: فالمستكثر والمستقل، وإذا سببٌ واصلٌ[5] من الأرض إلى السماء، فأراك أخذت به فعلوت، ثم أخذ به رجلٌ آخر فعلا به، ثم أخذ به رجلٌ آخر فانقطع، ثم وُصل.

فقال أبو بكر: يا رسول الله، بأبى أنت، والله لتدعنى فأعبرها؟ وفى لفظٍ: فلأعبرنها.

فقال النبى ﷺ: **«اعبرها»**.

قال أبو بكر: أما الظلة فظلة الإسلام، وأما الذى ينطف من السمن والعسل فالقرآن، حلاوته ولينه.

وأما ما يتكفف الناسُ من ذلك فالمستكثر من القرآن والمستقل، وأما السبب الواصل من السماء إلى الأرض، فالحق الذى أنت عليه، تأخذ به فيعليك الله به، ثم يأخذ به رجلٌ من بعدك فيعلو به، ثم يأخذ به رجلٌ آخر فيعلو به، ثم يأخذ به

---

(١)يقال ما بين الصبح إلى الظهر: رأيتُ الليلة، وبعد الظهر إلى الليل: رأيتُ البارحة.

(٢) **ينطف منها**: يقطر منها، والنطف هو القطر.

(٣) السمن والعسل: قد يكونا مالاً فى التأويل، وسأل رجلٌ ابن سيرين فقال: رأيتُ كأنى ألعق عسلاً من جامٍ من جوهر فقال: اتق الله، وعاود القرآن، فإنك رجلٌ قرأت القرآن، ثم نسيته، أفاده البغوى فى شرح السنة (١٢/ ٢٢٠).

(٤) **يتكففون**: أى يتلقونه بأكفهم ويأخذونه، يقال: تكفف الرجل الشىء، واستكفه: إذا مد كفه فتناول بها.

(٥) **السبب**: الحبل، والواصل بمعنى الموصول، وسمى الحبل سبباً، لأنه يوصله إلى الماء ونحوه.

رجلٌ آخر فينقطع به، ثم يُوصل له فيعلو به.

فأخبرني يا رسول الله، بأبي أنت، أصبتُ أم أخطأت.

فقال النبي ﷺ: «**أصبت بعضاً، وأخطأت بعضاً**»[1].

قال أبو بكر: فو الله لتحدثني يا رسول الله بالذي أخطأت؟.

فقال: «لا تقسم[2]»[3].

فالسؤال من أبي بكر أولاً وآخراً، وجواب النبي ﷺ دلالة على انبساط أبي بكر معه، وإدلاله عليه، ومنه يتضح أن أبا بكر عالمٌ، ومن علمه تعبير الرؤيا.

ومن فقهه الذي تركه لنا رضي الله عنه: بيان شرط القبض في الهبة، وأن الأمر في التسوية في العطية على الاختيار دون الإيجاب.

وفي ذلك تروي عائشة ـ رضي الله عنها ـ فتقول:

---

(١) **قال بعض أهل العلم**: إنما أخطأ في تركه تفسير بعضها، فإن الرائي قال: رأيت الظلة تنطف العسل والسمن، ففسره الصديق ـ رضي الله عنه ـ بالقرآن حلاوته، ولينه، وهذا إنما هو تفسير العسل، وترك تفسير السمن، وتفسيره السنة، فكان حقه أنه يقول القرآن والسنة.

وقال آخرون: الخطأ وقع في خلع عثمان لأنه ذكر في المنام أنه أخذ بالسبب فانقطع به، وذلك يدل على انخلاعه بنفسه، وفسره الصديق بأنه يأخذ به رجلٌ فينقطع به، ثم يوصل له فيعلو به، وعثمان قد خُلع قهراً وقُتل، وولي غيره.

فالصواب أن يحمل تفسيره ووصله على ولاية غيره من قومه، انظر الفتح (١٢/٤٣٨).

(٢) أي لا تكرر يمينك، فإني لا أُخبرك.

ومن هذا عُلم أن إبرار المقسم المأمور به في الأحاديث الصحيحة إنما هو إذا لم تكن في الإبرار مفسدة، ولا مشقة ظاهرة، فالنبي ﷺ لم يبر قسم أبي بكر لما رأى في إبراره من المفسدة، ولعل المفسدة ما علمه من سبب انقطاع السبب مع عثمان، وهو قتله، وتلك الحروب والفتن المترتبة عليه، فكره ذكرها مخافة من شيوعها.

أو أن المفسدة لو أنكر عليه مبادرته، ووبخه بين الناس، أو أنه أخطأ في تعيين الرجال الذين يأخذون بالسبب بعد النبي ﷺ، وكان في بيانه ﷺ أعيانهم مفسدة.

(٣) **حديثٌ صحيحٌ**. أخرجه البخاري (٩/ ٥٥)، ومسلم (٢٢٦٩)، وأبو داود (٤٦٣٢)، وأحمد (٣/ ٣٩٩)، والترمذي (٢٢٩٣)، وابن ماجه (٣٩١٨)، وعبد الرزاق (٢٠٣٦٠)، وابن حبان (١/ ١٦٢).

إن أبا بكر الصديق نحلها جداد عشرين وسقاً من مال بالغابة، فلما حضرته الوفاة قال: والله يا بنية، ما من الناس أحدٌ أحب إليّ غنيً بعدى منك، ولا أعزّ عليّ فقراً بعدى منك، وإنى كنت نحلتك من مالى جداد عشرين وسقاً، فلو كنت جددتيه، واحتزتيه كان لك ذلك، وإنما هو مال الوارث، وإنما هما أخواك وأختاك، فاقتسموه على كتاب الله.

فقالت: يا أبت، والله لو كان كذا وكذا لتركته، وإنما هى أسماء، فمن الأخرى؟.

قال: ذات بطن بنت خارجة، قد أُلقى فى روعى أنها جارية، فاستوصى بها خيراً.

فولدت أم كلثوم.

يقول القاسم بن محمد: وكانت عنده لم تقبضها(1).

ومن فتاويه رضى الله عنه: ترخيصه فى الوضوء بماء البحر، وهذا وإن روي فيه من المرفوع إلى النبى ﷺ ما يُرخص به، فقد روى أبو الطفيل رحمه الله أن أبا بكر رضى الله عنه سئل عن ذلك، فيقول: سُئل الصديق أيتوضأ من ماء البحر؟.

فقال: هو الطهور ماؤه، والحلال ميتته(2).

ومن فقهه رضى الله عنه: ترك الوضوء مما مست النار، فقد قال الصحابى جابر بن عبد الله رضى الله عنه: إن أبا بكر أكل خبزاً ولحماً فصلياً، ولم يتوضأ(3).

ومن فقهه رضى الله عنه: أن صلاة الفجر لا تبطل بطلوع الشمس فيها.

قال أنس بن مالك ـ رضى الله عنه ـ: صلى بنا أبو بكر صلاة الصبح، فقرأ آل عمران، فقالوا: كادت الشمس تطلع؟!

---

(1) **إسناده صحيحٌ.** أخرجه ابن سعد (٣/ ١٩٥)، والبيهقى (٦/ ١٧٠، ١٧٨) فى سننه الكبرى، وسيأتى الكلام عليه بالتفصيل فى وفاة الصديق واحتضاره.

(2) **إسناده صحيحٌ.** أخرجه ابن أبى شيبة (١/ ١٥٤) فى مصنفه، والبيهقى (١/ ٤) فى سننه الكبرى.

(3) **إسناده صحيحٌ.** أخرجه ابن أبى شيبة (١/ ٦٦)، والبيهقى (١/ ١٥٧).

قال أبو بكر: لو طلعت لم تجدنا غافلين[1].

ومن فقهه رضى الله عنه: رفع اليدين فى كل ركوع، وعند الرفع منه.

يقول عبد الله بن الزبير رضى الله عنه: صليتُ خلف أبى بكر الصديق ـ رضى الله عنه ـ فكان يرفع يديه إذا افتتح الصلاة، وإذا ركع، وإذا رفع رأسه من الركوع[2].

ومن فقهه: أن المال لا زكاة فيه حتى يحول عليه الحول.

قال جابر بن عبد الله رضى الله عنه: لما مات النبى ﷺ جاء أبا بكر ـ رضى الله عنه ـ مالٌ من قِبَل ابن الحضرمى، فقال أبو بكر: من كان له على النبى ﷺ دينٌ، أو كانت له قبله عدة فليأتنا.

قال جابر: فقلت وعدنى رسول الله ﷺ يعطينى كذا وكذا، فبسط يديه ثلاث مرات، أظنه قال: خذه فحثوتُ فإذا هى خمسمائة.

قال جابر: فعدّ فى يدى خمسمائة، ثم خمسمائة، وقال: ليس عليك فيه صدقة، حتى يحول عليه الحول[3].

ومن فقهه رضى الله عنه: عدم نقل رءوس القتلى من الأعداء بدعوى إظهار النصر عليهم.

يقول عقبة بن عامر رضى الله عنه: إن عمرو بن العاص وشرحبيل بن حسنة بعثا عقبة بريداً إلى أبى بكر الصديق رضى الله عنه برأس يَناقٍ ـ بطريق الشام ـ فلما قدم على أبى بكر ـ رضى الله عنه ـ أنكر ذلك، فقال له عقبة:

يا خليفة رسول الله ﷺ، فإنهم يصنعون ذلك؟!

فقال أبو بكر: أفاستنانٌ بفارس والروم؟!

لا يحمل إلىّ رأس، فإنما يكفى الكتاب والخبر[4].

---

(١) إسناده صحيحٌ. أخرجه ابن أبى شيبة (١/ ٣٨٩)، والبيهقى (١/ ٣٧٩).

(٢) إسناده صحيحٌ. أخرجه البيهقى (٢/ ٧٣) فى سننه الكبرى.

(٣) إسناده صحيحٌ. أخرجه عبد الرزاق(٧٠٣٤) فى مصنفه، وعن طريقه البيهقى (٤/ ١٠٩) فى سننه.

(٤) إسناده صحيحٌ. أخرجه البيهقى (٩/ ١٣٢) فى سننه.

ومن فقهه رضى الله عنه: أنه كان يترك السنة مخافة أن يظن ما لا علم له أنها فريضة أو واجبة.

فعن حذيفة بن أسيد ـ رضى الله عنه ـ أنه قال:

رأيت أبا بكر وعمر رضى الله عنهما، وما يضحيان مخافة أن يستن بهما.

وفى رواية: كراهية أن يقتدى بهما[1].

وهذا يدل على تمام علم الصديق، وعمق فهمه، وحسن فقهه رضى الله عنه وأرضاه.

(١) إسناده صحيح. أخرجه الطبرانى (٣٠٥٧) فى الكبير، والبيهقى (٩/ ٢٦٥) فى سننه الكبرى.

اقرأ فى الصفحات التالية

الفصل السابع



[١] من كلام أبى بكر الصديق ووصاياه

إذا تأمل المرءُ فى كلام أبى بكر الصديق - رضى الله عنه - وما ترك من الوصايا لوجد الكلام المفيد فى الدنيا والآخرة، ولسمع العظة البليغة، ولعرف الوصية الجامعة.

يرشد الصديق المسلمين إلى البكاء من خشية الله تعالى، فإن فضله معلوم، وأجره عظيم، ثم يُعرف الصديق بطريقٍ من الطرق التى تعين إلى الوصول إلى تلك الخصلة الغالية.

فماذا قال الصديق؟ وما هى الطريقة التى أرشد إليها؟

يقول أبو بكر الصديق رضى الله عنه:

«ابكوا، فإن لم تبكوا فتباكوا».

وفى روايةٍ: **«من استطاع منكم أن يبكى فليبك، ومن لم يستطع فليتباك»**(١).

ويحض أبو بكر على الصفات الرشيدة كصفة الصدق، وينفر عن الصفات المرذولة وعلى رأسها صفة الكذب.

يقول أبو بكر رضى الله عنه:

«عليكم بالصدق، وإياكم والكذب، فإن الكذب مجانبٌ للإيمان»(٢).

ومن الصفات التى نفر عنها أبو بكر رضى الله عنه صفة البخل، فهى تخرب البلاد، وتكون سبباً فى هلاك العباد.

يقول أبو بكر رضى الله عنه:

«وأى داءٍ شرٌ من البخل؟!»(٣).

(١) إسناده حسن. أخرجه ابن المبارك (٤٢) فى الزهد، ووكيع (٢٩) فى الزهد، وابن أبى شيبة (٨/ ١٤٥) فى مصنفه، وأحمد (ص/ ١٣٥) فى الزهد.

(٢) إسناده صحيحٌ. أخرجه هناد (١٢٢٨) فى الزهد، ووكيع (٣٩٩) فى الزهد، وأحمد (١/ ٥)وابن أبى الدنيا (٤٧٥) فى الصمت، والخرائطى (١٣٢) فى المساوئ، وغيرهم.

(٣) إسناده حسن. أخرجه ابن أبى الدنيا (٤١٣) فى المكارم.

ومن وصاياه الجامعة لخصال الخير، وشرائع الإسلام: وصيته إلى رافع بن أبى رافع الطائى[1]:

يقول رافع الطائى رضى الله عنه: صحبت أبا بكر فى غزوة، فلما قفلنا، قلت: يا أبا بكر، أوصنى.

قال أبو بكر: أقم الصلاة المكتوبة لوقتها، وأد زكاة مالك طيبة بها نفسك، وصم رمضان، واحجج البيت.

واعلم أن الهجرة فى الإسلام حسنٌ، وأن الجهاد فى الإسلام حسنٌ، ولا تكون أميراً، وفى روايةٍ: ولا تؤمرن على اثنين.

قلت: هل تكون الأمرة إلا فيكم أهل بدر؟

قال أبو بكر: يوشك أن تفشو وتكثر حتى ينالها من ليس لها بأهلٍ، وحتى تبلغك، ومن هو دونك!

إن الله عز وجل لما بعث نبيه ﷺ دخل الناس فى الإسلام، فمنهم من دخل فهداه الله، ومنهم مَنْ أكرهه السيف، فهو عواد الله، وجيران الله فى خفارة الله[2].

وأنه من يكن أميراً، فإنه من أطول الناس حساباً، وأغلظه عذاباً، إن الرجل إذا كان أميراً فتظالم الناس بينهم، فلم يأخذ لبعضهم من بعضٍ، انتقم الله منه.

ومن لا يكون أميراً فإنه من أيسر الناس حساباً، وأهونه عذاباً، لأن الأمراء أقرب الناس من ظلم المؤمنين، ومن يظلم المؤمنين فإنما يخفر الله[3]، هم جيران الله، وهم عباد الله.

---

(١) **إسناده صحيح لغيره.** أخرجه ابن المبارك (٦٧٤) فى الزهد، وفى سنده جهالة، وأخرجه الطبرانى (٤٤٦٧) فى الكبير، وفى سنده ابن المهاجر فيه ضعفٌ، وأخرجه (٤٤٦٩) من طريق آخر، وفيه عنعنة الأعمش، وهو مدلسٌ، وأخرجه ابن خزيمة من طريقٍ آخر فيه متابعة من طلحة بن مصرف للأعمش كما فى الإصابة (٤/١٨٨)، وأخرجه ابنُ راهويه، والعدنى، والبغوى.

(٢) **خفارة:** عهد وأمان، وذمة.

(٣) أى ينقض عهد الله.

إن الرجل لتؤخذ شاة جاره، فيظل ناتئ عضلته غضباً لجاره، فإن الله أحق أن يغضب لجاره.

قال رافع: فمكثتُ سنة، ثم إن أبا بكر استخلف، فركبت إليه، فقلتُ: يا أبا بكر، أتعرفنى؟ قال: نعم. قلت: أتذكر شيئاً قلته لى؟!

كنتُ لقيتك يوم كذا وكذا، مكان كذا وكذا، قال: عرفت. قلت: كنت نهيتنى عن الإمارة، فقلت لى أن لا أتأمر على رجلين، ثم وليت أمر الأمة!!

وفى رواية: ثم ركبت بأعظم من ذلك أمة محمد ﷺ؟!

قال أبو بكر: إن رسول الله ﷺ قبض، والناس حديث عهد بكفر، فخفتُ عليهم أن يرتدوا، وأن يختلفوا، فدخلت فيها، وأنا كاره.

ولم يزل بى أصحابى، فلم يزل يعتذر حتى عذرته.

ثم قال: فمن لم يقم فيهم بكتاب الله، فعليه بهلة الله، يعنى لعنة الله.

ومن أجل وصايا الصديق التى حفظها لنا سلفنا الصالح: وصيته إلى الفاروق رضى الله عنه[1].

يقول زبيد بن الحارث رحمه الله أن أبا بكر حين حضره الموتُ أرسل إلى عمر يستخلفه، فقال الناس: تستخلف علينا فظاً غليظاً، ولو قد ولينا كان أفظ وأغلظ، فما تقول لربك إذا لقيته، وقد استخلفت علينا عمر؟!

قال أبو بكر: أبربى تخوفونى؟!!

أقول.. اللهم استخلفت عليهم خير خلقك، ثم أرسل إلى عمر فقال له:

إنى موصيك بوصية، إن لله حقاً بالنهار لا يقبله بالليل، وإن لله حقاً بالليل لا يقبله بالنهار، وأنه لا يقبل نافلة حتى تؤدى الفريضة، وإنما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم فى الدنيا الحق وثقله عليهم، وحق لميزان لا

(١) **إسناده حسن لغيره:** أخرجه ابن أبى شيبة (٨/ ٥٧٤، ٥٧٥) فى مصنفه، من رواية زبيد وفيها انقطاع، وأخرجه أبو نعيم (١/ ٣٦) فى الحلية من رواية عبد الرحمن بن عبد الله بن سابط، وفيها انقطاعٌ وبمجموع الطريقين يحسن الأثر والله أعلم.
وللجزء الأول منه شاهدٌ من رواية عائشة، وأسماء بنت عميس.

يوضع فيه إلا الحق أن يكون ثقيلاً.

وإنما خفت موازين من خفت موازينه يوم القيامة باتباعهم الباطل، وخفته عليهم، وحق لميزان لا يوضع فيه إلا الباطل أن يكون خفيفاً.

وأن الله تعالى ذكر أهل الجنة بصالح ما عملوا، وأنه تجاوز عن سيئاتهم، فيقول القائل: ألا أبلغ هؤلاء!!

وذكر أهل النار بأسوأ ما عملوا، وأنه رد عليهم صالح ما عملوا، فيقول القائل:

أنا خيرٌ من هؤلاء، وذكر آية الرحمة، وآية العذاب، ليكون المؤمن راغباً راهباً، لا يتمنى على الله غير الحق، ولا يلقى بيده إلى التهلكة.

فإن أنت حفظت وصيتى لم يكن غائب أحب إليك من الموت، وإن أنت ضيعت وصيتى لم يكن غائب أبغض إليك من الموت، ولن تعجزه.

[٢] خطب أبى بكر الصديق

(١) خطبة فى الحض على الصدق

يقول أوسط بن إسماعيل رحمه الله:

سمعت أبا بكر الصديق رضى الله عنه يخطب بعد وفاة رسول الله ﷺ بسنةٍ، فقال: قام فينا رسول الله ﷺ مقامى هذا عام أول، ثم بكى أبو بكر، ثم قال.

وفى روايةٍ: ثم ذرفت عيناه، فلم يستطع من العبرة أن يتكلم، ثم قال:

«أيها الناس».

«اسألوا الله العافية، فإنه لم يُعط أحد خير من العافية بعد يقينٍ، وعليكم بالصدق فإنه مع البر، وهما فى الجنة، وإياكم والكذب، فإنه مع الفجور، وهما فى النار» «ولا تقاطعوا، ولا تدابروا[١]، ولا تباغضوا، ولا تحاسدوا[٢]، وكونوا عباد الله إخواناً»[٣].

ومن هذه الخطبة نتعلم التمسك بالصدق، والنفور من الكذب، وأن مأوى الصادقين فى الجنان، ومستقر الكافرين فى النيران.

وترشدنا الخطبة إلى تقوية الرابطة الأخوية بين المسلمين، وتحريم التقاطع، والندابر، والتباغض والتحاسد.

وتحضنا على التعاون، ومحبة المسلمين بعضهم بعضاً، وائتلافهم.

---

(١) **التدابر**: أن يعرض عن الإنسان ويهجره، ويجعله كالشيء الذى وراء ظهره، وهو أشد من التقاطع.

(٢) **الحسد**: تمنى زوال النعمة عن الغير، وهو مُحرمٌ فى القرآن الكريم، والسنة النبوية.

(٣) **حديثٌ صحيحٌ**. أخرجه أحمد (١/ ٣، ٥، ٦، ٧)، والطيالسى (١/ ٣)، والبخارى فى الأدب المفرد (٧٢٤)، وابن ماجه (٣٨٤٩)، وابن حبان (٥٧٠٤)، وأبو الشيخ (٣٤)، (٣٥) فى التوبيخ، وابن أبى الدنيا (٤٤١) فى الصمت، والخرائطى (١٠٩)، (١١٠) فى مساوئ الأخلاق بتحقيقى.

(٢) خطبة فى التحذير من الغرور

روى أنس بن مالك رضى الله عنه فقال:

كان أبو بكر يخطبنا، فيذكر بدء خلق الإنسان، ويقول:

خرج من مجرى البول مرتين!! خُلق من مجرى البول مرتين!!

فيذكر بدء الخلق، حتى يتقذر أحدنا نفسه[١].

ومن هذه الخطبة نتعلم البُعد عن العُجب بالنفس، وترك الغرور، ومن أعظم الأسباب المُعينة على ترك هذا الداء المُهلك اتعاظ المرء ببدء خلقه، وخروجه من مجرى البول[٢] فى صورة الماء المهين.

*****

(٣) خطبة فى مبادرة الأجل وقصر الأمل

عن عبد الله بن عكيم قال: خطبنا أبو بكر رضى الله عنه فقال:

أما بعد..

فإنى أوصيكم بتقوى الله، وأن تثنوا عليه بما هو له أهل، وأن تخلطوا الرغبة بالرهبة، وتجمعوا الإلحاح بالمسألة، فإن الله أثنى على زكريا وأهل بيته، فقال:

﴿إنهم كانوا يسارعون فى الخيرات، ويدعوننا رغباً ورهباً، وكانوا لنا خاشعين﴾.

ثم اعلموا عباد الله أن الله قد ارتهن بحقه أنفسكم، وأخذ على ذلك مواثيقكم، فاشترى القليل الفانى بالكثير الباقى، وهذا كتاب الله فيكم لا تفنى عجائبه، ولا يطفأ نوره، فصدقوا قوله، وانتصحوا كتابه، واستوضئوا منه ليوم الظلمة، فإنما خلقكم للعبادة، ووكل بكم الكرام الكاتبين يعلمون ما تفعلون.

ثم اعلموا عباد الله أنكم تغدون وتروحون فى أجلٍ قد غيّب عنكم علمه،

---

(١) **إسناده صحيحٌ**. أخرجه ابن أبى شيبة (٧/ ١٤٥) فى مصنفه، وابن أبى الدنيا (٢٠٠) فى «التواضع».

(٢) مرة من مجرى بول أبيه، وثانية من مجرى بول أمه.

فإن استطعتم أن تنقضى الآجال وأنتم فى عمل الله فافعلوا، ولن تستطيعوا ذلك إلا بالله، فسابقوا فى مهل آجالكم قبل أن تنقضى آجالكم فيردكم إلى أسوأ أعمالكم، فإن أقواماً جعلوا آجالهم لغيرهم، ونسوا أنفسهم، فأنهاكم أن تكونوا أمثالهم.

فالوحا الوحا[1]، ثم النجا النجا، فإن وراءكم طالباً حثيثاً مَرُّهُ[2] سريع.

وفى رواية أخرى:

أين مَنْ تعرفون من إخوانكم؟! ومن أصحابكم؟! قد وردوا على ما قدموا، قدموا ما قدموا فى أيام سلفهم، وحلوا فيه بالشقوة والسعادة.

أين الجبارون الذين بنوا المدائن، وحففوها بالحوائط؟!

قد صاروا تحت الصخر، والآبار.

أين الوضاءة، الحسنة وجوههم، المعجبون بشبابهم؟!

أين الملوك؟ وأين الذين كانوا يعطون الغلبة فى مواطن الحرب؟!

قد تضعضع بهم الدهر، فأصبحوا فى ظلمات القبور.

لا خير فى قول لا يراد به وجه الله، ولا خير فى مالٍ لا ينفق فى سبيل الله، ولا خير فيمن يغلب جهله حلمه، ولا خير فيمن يخاف فى الله لومة لائم.

إن الله تعالى ليس بينه وبين أحدٍ من خلقه نسب يعطيه به خيراً، ولا يصرف عنه سوءاً، إلا بطاعته واتباع أمره، وإنه لا خير بخيرٍ بعده النار، ولا شر بشرٍ بعده الجنة.

واعلموا أنكم ما أخلصتم لله عز وجل فربكم أطعتم، وحقكم حفظتم.

وأوصيكم بالله لفقركم وفاقتكم أن تتقوه، وأن تثنوا عليه بما هو أهله، وأن تستغفروه إنه كان غفاراً.

أقول قولى هذا، وأستغفر الله لى ولكم[3].

---

(١) **الوحا الوحا**: السرعة السرعة، يقال: توحيت أى أسرعت.

(٢) مره: مروره.

(٣) **إسناده حسن لغيره**. أخرجه ابن أبى شيبة (٧/ ١٤٤) فى مصنفه، وهناد (٤٩٥) فى الزهد، وأبو نعيم (١/ ٣٥) فى الحلية، والحاكم (٢/ ٣٨٣). =

(٤) فى الحث على الحياء

عن الزبير بن العوام رضى الله عنه قال:

إن أبا بكر قال وهو يخطب الناس:

«يا معشر المسلمين»

«استحيوا من الله عز وجل، فوالذى نفسى بيده، إنى لأظل حين أذهبُ الغائط فى الفضاء متقنعاً بثوبى استحياء من ربى عز وجل»[١].

وفى الخطبة دعوة إلى الحياء من الله عز وجل، والعظة بما يحدث للمرء عند قضاء حاجته.

*****

(٥) عظة إلى كل والٍ وحاكم

قال قيس بن أبى حازم: خطبنا أبو بكر فقال:

وليتُ أمركم ولستُ بخيركم، فإن أنا أحسنتُ فأعينونى، وإن أنا أسأتُ فسددونى، وإن لى شيطاناً يعترينى، فإذا رأيتمونى غضبتُ فاجتنبونى، لا أوثر

= كلهم من طريق عبد الرحمن بن إسحاق عن عبد الله القرشى عن ابن عكيم به..

وفيه ابن إسحاق، وهو فى عداد الضعفاء.

وأخرجه أبو نعيم (١/ ٣٥) فى الحلية بسنده عن عمرو بن دينار مرسلاً.

وأخرجه أبو داود (٢٨) فى الزهد، وابن أبى الدنيا (٤٦) فى «ذم الدنيا»،

وأخرجه أبو نعيم (١/ ٣٦) فى الحلية بسنده عن يحيى بن أبى كثير مرسلاً،

وأخرجه أبو داود (٢٧) فى الزهد عن نعيم بن محمد بنحوه، وهو مُحرف عن نعيم بن نمحة.

فأخرجه الطبرانى (٣٩) فى الكبير، وأبو نعيم (١/ ٣٦) فى الحلية بسند الطبرانى عن نعيم بن نمحة، وقال محقق المعجم الكبير: نعيم بن نمحة ذكره الحافظ فى شيوخ حريز فى التهذيب، ولم نجد له ترجمة.

وأخرجه الطبرى (٣/ ٢٢٣ ـ ٢٢٥) فى تاريخه من رواية عاصم بن عدى، وفيه سيف الضبى، وهو من المتروكين، فمثله لا يصلح فى الشواهد والمتابعات.

(١) **إسناده صحيحٌ.** أخرجه ابن المبارك(٣١٦)فى الزهد، وعن طريقه ابن أبى الدنيا (٩٢) فى المكارم، وعبد الله بن أحمد (ص/ ٢٦٠) فى زوائد الزهد، وأبو نعيم(١/ ٣٤) فى الحلية.

أجسادكم وأبشاركم[1].

وفي روايةٍ: إنما أنا بشرٌ، ولستُ بخيرٍ من أحدٍ منكم فراعوني، فإذا رأيتموني استقمتُ فاتبعوني، وإن رأيتموني زُغتُ فقوّموني.

قال الحسن البصري: بلى والله إنه لخيرنا، ولكن المؤمن يهضم نفسه[2].

«أبشاركم» جمع بَشَر، وهو ظاهر جلد الإنسان وفي الخطبة دعوة لكل والٍ وحاكم بالتواضع، وطلب المشهورة من رعيته، وإعانتهم على القيام بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر.

*****

أول خطبة في الإسلام للصديق

عن قيس بن أبي حازم رحمه الله قال:

إني لجالسٌ عند أبي بكر خليفة رسول الله ﷺ بعد وفاة النبي ﷺ بشهرٍ، فذكر قصةً، ثم قال:

فنودي في الناس.. إن الصلاة جامعةٌ، وهي أول صلاة في المسلمين نودي بها: إن الصلاة جامعةٌ، فاجتمع الناسُ فصعد المنبر، وهي أول خطبة خطبها في الإسلام، قال:

فحمد الله، ثم أثنى عليه، ثم قال:

يا أيها الناس..

ولوددتُ أن هذا كفانيه غيري، ولئن أخذتموني بسنة نبيكم ﷺ ما أُطيقها إن كان لمعصوماً من الشيطان، وإن كان لينزل عليه الوحيُ من السماء[3].

*****

(١) **إسناده حسن.** أخرجه أبو داود (٣١) في الزهد، وأبو عبيد (ص/ ١٨٧) في «الخطب».

(٢) **إسناده صحيحٌ.** أخرجه أبو داود (٣٢) في الزهد، وابن سعد (٣/ ٢١٢) في طبقاته، وعبد الرزاق (٢٠٧٠١) في مصنفه.

(٣) **إسناده حسنٌ.** أخرجه أحمد (١/ ١٤) برقم (٨٠) فيه عيسى بن المسيب صالح الحديث كما في الجرح والتعديل (٦/ ٢٨٨).

خطبة يوم الاستخلاف

يقول عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه:

خطب أبو بكر الناس فقال: والله ما كنت حريصاً على الإمارة يوماً ولا ليلة قط، ولا كنت فيها راغباً، ولا سألتها الله عز وجل فى سر ولا علانية، ولكنى أشفقت من الفتنة، ومالى فى الإمارة من راحةٍ، ولكن قلدت أمراً عظيماً مالى به من طاقة، ولا يد إلا بتقوية الله عز وجل.

ولوددت أن أقوى الناس عليها مكانى اليوم(١).

*****

خطبة فى النهى عن سُنَّة الأعاجم

قال معاوية بن خديج رضى الله عنه: هاجرنا على عهد أبى بكر الصديق ـ رضى الله عنه فبينا نحن عنده، إذ طلع المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

إنه قدم علينا برأس «يناق» البطريق، ولم تكن له به حاجة، إنما هذه سُنَّة العجم(٢).

وفى هذا بيان للأمة بعدم الاقتداء بهدى أعداء الدين، ولو فى أساليب التعبير عن النصر فى القتال.

*****

تلقيب الصديق بخليفة رسول الله ﷺ

لم يلقب بخليفة رسول الله ﷺ إلا الصديق رضى الله عنه، وكل من جاء بعده لُقِّب بأمير المؤمنين، وذلك من فضائل الصديق وخصائصه.

يقول أنس بن مالك رضى الله عنه: طفنا بغرفة فيها أبو بكر حين أصابه وجعه الذى قبض فيه، فاطلع علينا اطلاعة، فقال:

أليس ترضون بما أصنع؟ قلنا: بلى يا خليفة رسول الله ﷺ(٣).

---

(١) **إسناده حسن.** أخرجه الحاكم (٣/ ٦٦) وصححه، وأقره الذهبى.

(٢) **إسناده حسن فى الشواهد.** أخرجه البيهقى (٩/ ١٣٢) فى سننه، وله شاهدٌ من رواية عقبة بن عامر رضى الله عنه.

(٣) **إسناده حسن:** أخرجه الحاكم (٣/ ٧٩) وصححه وأقره الذهبى، وفيه عاصم بن على، وهو صدوقٌ.

ويقول أبو وائل: قيل لعلى: ألا تستخلف علينا؟ قال: ما استخلف رسول الله ﷺ فأستخلف، ولكن إن يرد الله بالناس خيراً فسيجمعهم بعدى على خيرهم، كما جمعهم بعد نبيهم على خيرهم[١].

وقال عبد الله بن جعفر رضى الله عنه:

ولينا أبو بكر فكان خير خليفة، وأرحمه بنا، وأحناه عليه[٢].

عن طارق بن شهاب رحمه الله قال:

«رأيت رسول الله ﷺ وغزوتُ فى خلافة أبى بكر»[٣].

ويقول قيس بن أبى حازم رحمه الله: رأيتُ عمر بن الخطاب بيده عسيبُ نخلٍ، وهو يُجلس الناس، ويقول: اسمعوا لقول خليفة رسول الله ﷺ[٤].

وقال أبو برزة رضى الله عنه: غضب أبو بكر من رجلٍ، فاشتد غضبه جداً، فقلتُ: يا خليفة رسول الله، اضرب عنقه.

قال: ويلك، ما هو لأحدٍ بعد رسول الله ﷺ[٥].

---

(١) **إسناده صحيحٌ**. أخرجه الحاكم (٣/ ٧٩) وصححه، وأقره الذهبى.

(٢) **إسناده لا بأس به**. أخرجه الحاكم (٣/ ٧٩) وصححه، وأقره الذهبى.

(٣) **إسناده حسن**. أخرجه الحاكم (٣/ ٨٠).

(٤) **إسناده صحيحٌ**. أخرجه أحمد (١/ ٣٧)، والطبرى (٣/ ٤٢٩) فى تاريخه.

(٥) سبق تخريجه.

(٤) الأيام الأخيرة فى حياة الصديق

مَرِضَ الصديق رضى الله عنه واشتد عليه المرض فى أيامه الأخيرة، وكان الصحب الكرام يدخلون عليه، يذكرونه بحسن الظن بالله تعالى، ويوصيهم بالوصية الجامعة لخير الدنيا والآخرة، ومن تلك المواقف ما يرويه لنا أنس بن مالك رضى الله عنه يقول:

أطفنا بغرفة أبى بكر الصديق فى مرضته التى قُبض فيها، قال: فقلنا: كيف أصبح، أو كيف أمسى خليفة رسول الله ﷺ؟

قال: فاطّلع علينا اطلاعة، فقال: ألستم ترضون بما أصنع؟

قلنا: بلى قد رضينا. قال: وكانت عائشة هى تُمرّضُه.

قال: فقال: أما إنى قد كنت حريصاً على أن أُوَفّرَ للمسلمين فيئهم[1] مع أنى قد أصبتُ من اللحم واللبن، فانظروا إذا رجعتم منى فانظروا ما كان عندنا فأبلغوه عُمَرَ.

قال: فذاك حيث عرفوا أنه استخلف عمر.

قال: وما كان عنده دينارٌ ولا درهمٌ، ما كان إلا خادم، ولقحة، ومِحْلَب[2]، فلما رأى ذلك عمر يُحملُ إليه، قال:

يرحم الله أبا بكر، لقد أتعب مَنْ بعده[3].

ويطلب الصحابى الجليل سلمان الفارسى الوصية، والعهد من الصديق، فبم أوصاه؟ وما الذى عهد به إليه؟

يروى أسير بن عمر قال سلمان رضى الله عنه:

دخلتُ على أبى بكر الصديق فى مرضه فقلت: يا خليفة رسول الله، اعهد

(١) **الفيء**: هو ما أصابه المؤمنون من الكفار بغير مشقة ولا قتال.

(٢) **محلب**: هو ما يُحلب فيه.

(٣) **إسناده صحيح**. أخرجه ابن سعد (٣/ ١٩٢، ١٩٣) فى طبقاته.

إلىَّ عهداً، فإنى لا أراك تعهدُ إلىَّ بعد يومى هذا.

قال أبو بكر رضى الله عنه: أجل، يا سلمان إنها ستكون فتوحٌ، فلا أعرفن ما كان من حظك منها ما جعلتَ فى بطنك، أو ألقيته على ظهرك، (يقصد الأكل واللباس).

واعلم أنه مَنْ صلى الصلوات الخمس، فإنه يصبح فى ذمة الله، ويمسى فى ذمة الله، فلا تقتلن أحداً من أهل ذمة الله فيطلبك الله بذمته فيكبك الله على وجهك فى النار(١).

وفى هذه الوصية الجامعة نجد الحض على القيم والمُثل التالية:

[١] الحرص على ما يبقى، والزهد فيما يفنى.

[٢] بيان فضل الحريص على المشاركة فى الفتوحات.

[٣] من فضائل الصلوات الخمس: الحفظ والأمان.

[٤] بيان حماية الإسلام لأهل الذمة الذين يقطنون ديار المسلمين.

وكما أوصى الصحب الكرام، أوصى أبو بكر أقاربه، وعلى رأسهم ابنته عائشة رضى الله عنها.

تقول عائشة: لما حضر أبا بكر الوفاة جلس فتشهد، ثم قال:

أما بعدُ..

يا بنيتى.. فإن أحب الناس غنىً إلىَّ بعدى أنتِ، وإن أعز الناس علىَّ فقراً بعدى أنت، وإنى كنتُ نحلتُك(٢) جداد(٣) عشرين وسقاً من مالى، فوددتُ والله أنكِ حُزته(٤)، وأخذته، وإنما هو مال الوارث، وهما أخواك وأختاكِ.

قالت: قلتُ: هذا أخواى، فَمنْ أختاى(٥)؟!.

(١) **إسناده صحيح.** أخرجه ابن سعد (٣/ ١٩٤).

(٢) **نحلتك:** أعطيتك، والنحلة: العطية.

(٣) **جداد:** هو صرامُ النخل، أى قطع ثمره.

(٤) وفى رواية: خَزَنْته.

(٥) السؤال لأنه لم يَكُن سوى أختها أسماء رضى الله عنها.

قال: ذات بطن ابنة خارجة[١]، فإنى أظُنها جارية[٢].

وهذه الوصية من الصديق رضى الله عنه لابنته عائشة فيها حضٌ على إعطاء الحقوق لأهلها من التركة، وفيها فراسة منه بأنه سيرزق بابنة بعد موته، تكون أختاً لعائشة وأسماء.

ومعنى تلك الوصية أن أبا بكر ـ رضى الله عنه ـ كان أعطى عائشة فى صحته نخلاً، كان يجُدُّ منها كل سنة عشرين وسقاً، ولم يكن أقبضها ما نحلها بلسانه.

فلما مرضَ رأى النخل وهو غير مقبوض غير جائز لها، فأعلمها أنه لم يصح لها، وأن سائر الورثة شركاؤها فيها[٣].

ومما حدث فى أيام الصديق الأخيرة ما يرويه عروة بن الزبير عن عائشة رضى الله عنها تقول: قلتُ لما مرض أبو بكر:

مَنْ لا يزال دمعه مُقنَّعاً فإنه لابُدّ مَرّةً مَدقوقُ

فقال أبو بكر: ليس كذلك أى بُنية[٤]، ولكن ﴿**جاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد**﴾[٥].

فحتى فى تلك الأيام الأخيرة لا زال الصديق يتذكر الخير ويُذكّر به، ويعظ بآيات القرآن الكريم ويتعظ به.

---

(١) هى حبيبة بنت خارجة، وكانت حاملاً حين تُوفِّى أبو بكر، فولدت بعد وفاته جارية سميت أم كلثوم.

(٢) إسناده صحيحٌ. أخرجه ابن سعد (٣/ ١٩٤).

(٣) انظر: لسان العرب (٣/ ١١٢).

(٤) إسناده صحيحٌ. أخرجه ابن سعد (٣/ ١٩٧) فى طبقاته.

(٥) سورة ق: الآية: ١٩.

(٥) استخلاف أبى بكر الصديق للفاروق

من أجل الحسنات التى تضاف إلى سجل أعمال الصديق، بل ومن أعظمها: استخلافه للفاروق عمر بن الخطاب رضى الله عنه.

فقد استخلفه الصديق، ولم يُرد بذلك إلا صلاح الأمة، وخوفه من الفتنة من بعده، فاجتهد رأيه فأحسن، وولى عليهم خيرهم.

تروى أسماء بنت عِميس رضى الله عنها فتقول:

دخل رجلٌ من المهاجرين على أبى بكر - رحمه الله - وهو شاكٍ، فقال: استخلفت عمر، وقد كان عتا[1] علينا، ولا سلطان له!!

فلو قد ملكنا لكان أعتى علينا وأعتى، فكيف تقول لله إذا لقيته؟!

فقال أبو بكر: أجلسونى، فأجلسوه، فقال: هل تُفرّقنى[2] إلا بالله، فإنى أقول إذا لقيته: استخلفت عليهم خير أهلك.

قال معمر: فقلتُ للزهرى: ما قوله: خير أهلك؟

قال الزهرى: خير أهل مكة[3].

وفى روايةٍ أخرى، قالت أسماء رضى الله عنها:

إن رجلاً من المهاجرين دخل على أبى بكر حين اشتد وجعه به الذى توفى فيه، فقال: يا أبا بكر، أذكِّرُك الله، واليوم الآخر، فإنك قد استخلفتَ على الناس رجلاً فظاً، غليظاً، ولا سلطان له، وإن الله يُسائلك.

تقول أسماء بنت عميس:

فقال أبو بكر: أجلسونى، فأجلسناه، فقال: هل تفرقونى إلا بالله، فإنى

---

(١) **عتا**: أى تجبر واشتد.

(٢) **تفرقنى**: أى تخوفونى.

(٣) **إسناده صحيحٌ**. أخرجه عبد الرزاق (٩٧٦٤) فى مصنفه، وعن طريقه ابن عساكر (٥٣/ ٢١٢، ٢١٣) فى تاريخه.

أقول لله: استخلفت عليهم خير أهلك[1].

وتروى أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها فتقول:

لما ثَقُلَ أبى دخل عليه فلان وفلان فقالوا: يا خليفة رسول الله، ماذا تقول لربك إذا قدمت عليه غداً، وقد استخلفت علينا ابن الخطاب؟!

فقال: أجلسونى، أبالله تُرهبونى؟!! أقول: استخلفتُ عليهم خيرهم[2].

وقد كُتب استخلاف الصديق لعمر فى صحيفة، وأُخرج إلى المسلمين، حتى لا يحدث اختلاف بينهم.

وفى هذا المعنى يقول قيس بن أبى حازم رحمه الله:

رأيت عمر بن الخطاب بيده عَسيبُ نخلٍ[3]، وهو مُجلِسُ الناس، يقول: اسمعوا لقول خليفة رسول الله ﷺ.

فجاء مولى لأبى بكر يقال له: شُدَيد بصحيفة، فقرأها على الناس، فقال: يقول أبو بكر: اسمعوا وأطيعوا لمن فى هذه الصحيفة، فوالله ما ألوتكم.

قال قيس: فرأيتُ عمر بعد ذلك على المنبر[4].

وفى رواية أخرى يقول قيس رحمه الله:

خرج علينا عمر ومعه شديد مولى أبى بكر، ومعه جريدة يُجلِسُ بها الناس، فقال: أيها الناس، اسمعوا قول خليفة رسول الله ﷺ: إنى قد رضيتُ لكم عمر

---

(١) **إسناده صحيح**. وأخرجه ابن عساكر (٥٣/ ٢١٢) فى تاريخه، وبنحوه الطبرى (٣/ ٤٣٣) فى تاريخه.

(٢) **إسناده حسن**. أخرجه ابن سعد (٣/ ٢٧٤)، والبيهقى (٨/ ١٤٩) فى سننه، وابن عساكر عن طريقه (٥٣/ ٢١٣) فى تاريخه، فيه صالح بن رستم، وهو حسن فى الشواهد والمتابعات، وقد توبع عليه، وهو فى الشواهد.

(٣) أى: جريدة من النخل، وهى السعفة مما لا ينبت عليه الخوص.

(٤) **إسناده صحيح**. أخرجه أحمد (١/ ٣٧) برقم (٢٥٩)، والطبرى (٣/ ٤٢٩) فى تاريخه، وأورده ابن شبة (٢/ ٦٦٩) فى «تاريخ المدينة»، وابن عساكر (٥٣/ ٢١٩) فى تاريخه، وابن الجوزى (ص/ ٥١، ٥٢) فى «مناقب عمر».

فبايعوه[1].

وقد كان أبو بكر رضى الله عنه فى استخلافه الفاروق من المتوسمين، أصحاب الفراسة واليقين.

لذا يقول عبد الله بن مسعود رضى الله عنه:

«أفرس الناس ثلاثة: أبو بكر حين تفرس فى عمر بن الخطاب، فاستخلفه، وصاحبة موسى التى قالت: ﴿**يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوى الأمين**﴾[2] قال: وما رأيت من قوته؟ قالت: جاء إلى البئر وعليه صخرة لا يقلها كذا وكذ فرفعها.

قال: وما رأيت من أمانته؟ قالت: كنت أمشى أمامه، فجعلنى خلفه.

والعزيز حين تفرس فى يوسف ﷺ فقال لأمراته[3]:

﴿**أكرمى مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولداً**﴾[4].

(١) **إسناده صحيح**. أخرجه ابن الجوزى (ص/ ٥١)، وابن عساكر (٥٣/ ٢١٩)، وأورده ابن شبة (٢/ ٦٦٩).

(٢) سورة القصص: الآية: ٢٦.

(٣) **إسناده صحيح**. أخرجه ابن أبى شيبة (٨/ ٥٧٥) فى مصنفه، والحاكم (٣/ ٩٠) وصححه، وأقره الذهبى، والطبرانى (٨٨٢٩)، (٨٨٣٠) فى الكبير، وابن عساكر (٥٣/ ٢١٧) فى تاريخه، وأورده ابن شبة (٢/ ٦٦٩) فى «تاريخ المدينة».

(٤) سورة يوسف: الآية: ٢١.

(٦) احتضار الصديق رضى الله عنه ووصيته

وجاءت اللحظات الأخيرة من حياة الصديق رضى الله عنه حيث الاحتضار، وحصول السكرات، ومفارقة الأهل والأحباب، وترك الأسباب، ومواجهة الحساب.

وفى شدة تلك اللحظات لا يغفل الصديق عن كلام رب الأرض والسموات، ويُذكر ابنته عائشة رضى الله عنها بعظيم الآيات.

تقول عائشة: لما حُضر أبو بكر قلتُ كلمةً من قول حاتم

لعَمرُك ما يغنى الثراءُ عن الفتى   إذا حشرجت يوماً وضاق بها الصدرُ

فقال أبو بكر: لا تقولى هكذا يا بُنية، ولكن قولى:

﴿وجاءت سكرةُ الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد﴾[١].

انظروا مُلاءَتَىّ هاتين، فإذا مِتّ فاغسلوهما، وكفنونى فيهما، فإن الحى أحوج إلى الجديد من الميت[٢].

وفى روايةٍ أخرى زيادة: إنى قد كنت نحلتك حائطاً، وإن فى نفسى منه شيئاً، فرُدّيه إلى الميراث.

قالت: نعم فرددته، فقال: أما إنا منذ ولينا أمر المسلمين لم نأكل لهم ديناراً، ولا درهماً ولكنا قد أكلنا من جريش[٣] طعامهم فى بطوننا، ولبسنا من خشن ثيابهم على ظهورنا، وليس عندنا من فىء المسلمين قليلٌ، ولا كثيرٌ إلا هذا العبد الحبشى، وهذا البعير الناضح، وجَرْدَ هذه القطيفة، فإذا مِتُّ فابعثى بهن إلى عمر، وابرئى منهن، ففعلتُ.

فلما جاء الرسولُ عمرَ بكى حتى جعلت دموعه تسيل فى الأرض، ويقول:

---

(١) سورة ق: الآية: ١٩.

(٢) إسناده حسن. أخرجه أحمد (ص/١٣٦) فى الزهد، وابن سعد (٣/١٩٦) فى طبقاته، وابن جرير (٢٦/ ١٠٠) فى تفسيره من طريقين عن عائشة.

(٣) الجريش: غليظ الطعام.

رحم الله أبا بكر، لقد أتعب من بعده، رحم الله أبا بكر لقد أتعب من بعده، يا غلام ارفعهن. فقال عبد الرحمن بن عوف: سبحان الله!! تَسْلُبُ عيال أبى بكر عبداً حبشياً، وبعيراً ناضحاً، وجرد قطيفة ثمن خمسة الدراهم؟

قال: فما تأمر؟ قال: تردهن على عياله.

فقال عمر: لا والذى بعث محمداً بالحق، لا يكون هذا فى ولايتى أبداً، ولا خرج أبو بكر منهن عند الموت، وأردهن أنا على عياله، الموتُ أقربُ من ذلك[1].

وفى قوله تعالى: ﴿وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد﴾فيه وجهان من التأويل، **أحدهما**: وجاءت سكرة الموت وهى شدته وغلبته على فهم الإنسان، كالسكرة من النوم، أو الشراب ﴿بالحق﴾ من أمر الآخرة، فتبينه للإنسان حتى تثبته **والثانى**: ﴿وجاءت سكرة الموت﴾ بحقيقة الموت[2].

ومع شدة الاحتضار بدأ أبو بكر رضى الله عنه يُدرك أن المنية قد دنت، وأن الرحيل قد أزف.

تقول عائشة رضى الله عنها:

لما ثقل أبو بكر قال: أى يومٍ هذا؟ قلنا يوم الاثنين. قال: فى أى يومٍ مات رسول الله ﷺ؟

قالت: قلنا قُبض يوم الاثنين. قال: ما شاء الله، فإنى لأرجو فيما بينى وبين الليل.

قال: ففيم كفنتموه؟ قالت: فى ثلاثة أثوابٍ بيضٍ سَحُولية يمانية، ليس فيها قميصٌ، ولاعمامة.

قالت: وكان على أبى بكر ثوبٌ فيه رَدْعٌ[3] من مِشْقٍ[4]، فقال أبو بكر: انظرى ثوبى هذا فيه ردعُ زعفران أو مشقٍ، فإذا أنامتِ، فاغسليه، واجعلى معه

---

(١) **إسناده حسن لغيره**. أخرجه ابن سعد (٣/ ١٩٦) وفيه انقطاع، لكن له متابعات كثيرة.

(٢) نقلاً عن تفسير الطبرى (٢٦/ ١٠٠).

(٣) **رَدْع**: أى لطخ بالصبغ ولم يعمه كله.

(٤) **مشق**: هو نوع من الأصباغ كالزعفران، يقال له: المغرة.

ثوبين جديدين، وكفّنوني في ثلاثة أثواب.

فقالت: يا أبتِ هو خَلَق[1]، ألا نجعلها جُدداً كلها؟

فقال: لا[2]، إنما هو للمُهْلة[3]، وإن الحى أحق بالجديد من الميت.

وكان عبد الله بن أبى بكر أعطاهم حُلّةً حِبَرَةً فأُدرِجَ رسول الله ﷺ فيها، ثم استخرجوه منها فكُفّن في ثلاثة أثواب بيضٍ[4]، فأخذ عبد الله الحُلة، فقال:

لأكفّنن نفسى فى شيء مسّ النبى ﷺ ثم قال بعد ذلك: والله لا أكَفّنُ فى شيءٍ مَنَعَهُ الله نبيه أن يُكفن فيه.

ومات أبو بكر ليلة الثلاثاء، ودُفن ليلاً رحمه الله[5].

وقد أوصى الصديق قبل موته زوجته أسماء بنت عميس أن تُغسله[6]، وكُفن فى ثلاثة أثوابٍ، وصلى عليه الجنازة عمر بن الخطاب رضى الله عنه.

فعن على بن الحسين أنه سأل سعيد بن المسيب رحمه الله، فقال:

أين صُلّىَ على أبى بكر؟ فقال: بين القبر والمنبر.

قال: مَنْ صلّى عليه؟ قال عمر. قال: كم كَبَّر عليه؟ قال: أربعاً[7].

ودُفن الصديق مع أحبّ الناس إليه، دفن مع الرسول الأمين ﷺ إلى جَنْبِهِ، وجُعل رأسه عند كتفى الرسول ﷺ، وأُلصق لحده بقبر الرسول ﷺ.

---

(١) خَلَق: أى غير جديد.

(٢) ظاهره أن أبا بكر رضى الله عنه كان يرى عدم المغالاة فى الأكفان، ويؤيده قوله بعد ذلك «إنما هو للمهلة».

(٣) المهلة: روى بضم الميم وفتحها وكسرها، وقال ابن حبيب: هو بالكسر: الصديد، وبالفتح التمهل، وبالضم: عكر الزيت، والمراد هنا الصديد.

(٤) فيه: استحباب التكفين فى الثياب البيض، وتثليث الكفن.

(٥) إسناده صحيحٌ. أخرجه ابن سعد (٣/ ٢٠١) فى طبقاته، (٣/ ٢٠٤) من طريقين، والبخارى (١٣٨٧)، والحاكم (٣/ ٦٥) مختصراً، والطبرى (٣/ ٤٢١) فى تاريخه.

(٦) إسناده صحيحٌ. أخرجه ابن سعد (٣/ ٢٠٣، ٢٠٤).

(٧) خبرٌ صحيحٌ. أخرجه ابن سعد (٣/ ٢٠٦) وروى ذلك عن إبراهيم النخعى، وعروة بن الزبير، ومحمد بن عمار، وابن سعد، وكثير بن زيد، والمطلب بن حنطب، وغيرهم.

يقول القاسم بن محمد رحمه الله:

دخلتُ على عائشة رضى الله عنها فقلتُ: يا أمّه اكشفى لى عن قبر النبى ﷺ، وصاحبيه، فكشفت لى عن ثلاثة قبورٍ، لامشرفةٍ، ولا لاطئةٍ مبطوحةٍ ببطحاء العرصة الحمراء.

قال: فرأيتُ قبر النبى ﷺ مُقَدّماً، وقبر أبى بكر عند رأسه، ورأس عمر عند رِجْلِ النبى ﷺ(١).

وكان بعض الصحب الكرام كابن عمر كلما وقف على هذه القبور دعا لأصحابها، يبدأ بالنبى ﷺ، يثنى بالصديق، ويثلث بالفاروق.

يروى عبد الله بن دينار فيقول: رأيتُ عبد الله بن عمر يقف على قبر النبى ﷺ، فيصلى على النبى ﷺ، ويدعو لأبى بكر وعمر رضى الله عنهما(٢).

وهكذا انتهت رحلة الصديق فى هذه الدنيا، لينتقل إلى الحياة البرزخية، حيث النعيم المقيم، والثواب العظيم، فرضى الله عنه وأرضاه، وجعل أعلى عليين مأواه.

---

(١) **إسناده صحيح**. أخرجه ابن سعد (٣/ ٢٠٩)، والطبرى (٣/ ٤٢٢).

(٢) **إسناده حسن**. أخرجه ابن سعد (٣/ ٢١٠).

(٧) حديث عن وفاة الصديق

اختلف فى سبب وفاة الصديق رضى الله عنه، ما بين قائلٍ أنه حُمّ فى يومٍ بارد، وقائل أن اليهود سمَّتْه فى أُرُزّة، وقال بعضهم: بل سُمّ فى خزيرة[(١)].

فما القول الصحيح فى ذلك؟

أما الذين قالوا أن سبب وفاته أن اليهود سمته فى أرزة، فإنه لم يصح سنده، وعليه فلا يُعول عليه[(٢)].

والذين قالوا: إن سبب وفاته أن أبا بكر والحارث بن كلدة كانا يأكلان خزيرة أُهديت لأبى بكر، فقال الحارث: ارفع يدك يا خليفة رسول الله، والله إن فيها لسَمّ سنةٍ، وأنا وأنت نموت فى يومٍ واحدٍ.

قال: فلم يزالا عليلين حتى ماتا فى يومٍ واحدٍ عند انقضاء السنة.

فحاله كسابقه لم يصح إسناده[(٣)].

ويروى عن ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ أنه قال:

«كان سبب موت أبى بكر موت رسول الله ﷺ ما زال جسمه يحرى[(٤)] حتى مات» وفى روايةٍ أخرى: «كان سبب موت أبى بكر وفاة رسول الله ﷺ، كَمدَ، فما زال جسمه يحرى حتى مات»[(٥)].

---

(١) **الخزيرة**: عبارة عن لحمٍ يُقطع ويُصبُّ عليه الماء، فإذا نضج ذُرَّ عليه الدقيق.

(٢) **إسناده مسلسل بالضعفاء والمتروكين والمجاهيل**. أخرجه الطبرى(٣/ ٤١٩) فى تاريخه من طريق على بن محمد عن أبى معشر ـ وهو من الضعفاء ـ ويزيد بن عياض ـ وهو من المتروكين ـ وغسان بن عبد الحميد ـ وهو من المجهولين ـ كلهم عن مشيختهم، وهم من المجاهيل.

(٣) **إسناده ضعيف**. أخرجه ابن سعد (٣/ ١٩٨) فى طبقاته، والحاكم (٣/ ٦٤) من رواية الزهرى مرسلاً، ومراسيل الزهرى شبه الريح، وأخرجه ابن الجوزى (١/ ٢٦٣) فى صفة الصفوة به.

(٤) **يحرى**: ينقص، ويصيبه الهزال.

(٥) **إسناده ضعيف جداً**. أخرجه الحاكم (٣/ ٦٣، ٦٤)، وتعقبه الذهبى بقوله: إسناده واهٍ، وأخرجه ابن الجوزى (١/ ٢٦٣) فى صفة الصفوة.

أقول: لقد وصفت عائشةُ ـ رضى الله عنها ـ مرض الصديق، ووصيته، ولم تذكر مسألة أنه سُمّ، أوأن موته كان حُزناً على فقد النبى ﷺ.

وكذا دخل جُل الصحب الكرام على الصديق فى مرضه، وما تحدث أحدٌ منهم عن قضية السم أو الحزن، وهذا أمر لا يخفى، بل لعُرف منذ الوهلة الأولى تلك الأسباب، وذُكرت ضمن المرويات الصحيحة التى رويت فى شأن مرضه، ووفاته رضى الله عنه.

وقد روى البعض عن الشعبى قوله:

ماذا يتوقع من هذه الدنيا الدنية، وقد سُمّ رسول الله ﷺ، وسم أبو بكر الصديق، وقتل عمر بن الخطاب حتف أنفه، وكذلك قتل عثمان، وعلى، وسم الحسن، وقتل الحسين حتف أنفه[1].

فهذا لا يُعول عليه لعدم صحته.

فالراجح فى علته ما روته عائشة رضى الله عنها، تقول:

كان أولُ بدء مرض أبى بكر أنه اغتسل يوم الاثنين لسبع خلون من جمادى الآخرة، وكان يوماً بارداً، فحُمّ خمسة عشر يوماً لا يخرج إلى الصلاة، وكان يأمر عمر بن الخطاب يصلّى بالناس، ويدخل الناس عليه يعودونه، وهو يثقل كل يومٍ، وهو نازلٌ يومئذ فى داره التى قطع له النبى ﷺ، وجاه دار عثمان بن عفان اليوم، وكان عثمان ألزمهم له فى مرضه.

وتوفى أبو بكر ـ رحمه الله ـ مساء ليلة الثلاثاء لثمانى ليالٍ بقين من جُمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة من مُهاجر النبى ﷺ.

فكانت خلافته سنتين وثلاثة أشهر، وعشر ليالٍ[2].

رضى الله عنه وأرضاه، وحشرنا فى زمرته، وأماتنا على محبته.

---

(١) **إسناده ضعيف جداً**. أخرجه الحاكم (٣/ ٦٤) وفيه السرى بن إسماعيل من المتروكين.

(٢) **إسناده ضعيفٌ**. أخرجه ابن سعد (٣/ ٢٠١، ٢٠٢) من طريق الواقدى عن ابن أخى الزهرى عن الزهرى عن عروة عن عائشة به. ومن هذا الطريق أخرجه الحاكم (٣/ ٦٣) وسكت عنه هو والذهبى.

وعن طريق ابن سعد أخرجه الطبرى (٣/ ٤١٩، ٤٢٠) فى تاريخه، فيه الواقدى، وقال =

[٨] ثناء الصحابة على أبى بكر الصديق

كان أصحاب النبى ﷺ يعرفون قدر الصديق، وينزلونه فى منزلته التى أنزله إياها النبى ﷺ، فكانوا لا يفضلون عليه أحداً، ويبجلونه، ويوقرونه.

وتلك باقة طيبة من كلماتهم توضح ذلك الأمر، وتبينه بياناً شافياً.

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه:

«لأن أقدم فتضرب عنقى أحب إلىَّ من أن أتقدم قوماً فيهم أبو بكر الصديق» وفى لفظ آخر: «لأن أقدم فيضرب عنقى فى غير ما يقربنى ذلك إلى إثمٍ، أحب إلىَّ من أن أتأمر على قومٍ فيهم أبو بكر»(١).

وقال ابن أبى ليلى: تذاكروا أبا بكر وعمر رضى الله عنهما فقال رجلٌ من عطارد:

عمر خيرهما، وقال الجارود: أبو بكر خير.

فبلغ ذلك عمر رضى الله عنه، فأقبل على الآخر فضربه، ثم أقبل على الجارود فقال: إليك عنى، وقال: إن أبا بكر كان خير الناس بعد رسول الله ﷺ فى كذا، فى كذا، فى كذا ثلاثاً.

فمن قال غير ذلك حلَّ عليه ما حل على المفترى(٢).

وكان على بن أبى طالب رضى الله عنه يقول:

«ألا أخبركم بخير الناس بعد رسول الله ﷺ: أبو بكر، وبعده عمر رضى الله عنهما»(٣) وفى لفظٍ آخر:

= الذهبى: قد تقرر أن الواقدى ضعيفٌ، يُحتاج إليه فى الغزوات والتاريخ، ونورد آثاره من غير احتجاج، أما فى الفرائض فلا ينبغى أن يذكر.انظر السير (٩/ ٤٦٩).

(١) **إسناده صحيح**. أخرجه البخارى (٦٨٣٠)، وابن أبى شيبة (٨/ ٤٧٢) فى مصنفه.

(٢) إسناده صحيح .أخرجه أحمد(٣٩٦)فى فضائل الصحابة،وأبو نعيم(٦٨)فى تثبيت الإمامة.

(٣) **إسناده صحيح**. أخرجه البخارى (٣٦٧١)، وابن ماجه (١٠٦)، وأحمد (١/ ١١٠، ١١٣، ١١٤، ١١٥، ١٢٦)، وابن أبى شيبة (٨/ ٤٧٥، ٤٧٧) فى مصنفه، وأبو داود (٤٦٢٩)،وابن أبى عاصم(١٢٠١)،(١٢٠٢)، (١٢١٤)، والتيمى(٢/ ٣٤٤) فى الحجة.

«خير هذه الأمة بعد نبيها: أبو بكر، وبعد أبى بكر عمر، ولو شئتُ أن أحدثكم بالثالث لفعلتُ» قال محمد بن الحنفية قلتُ لأبى - يعنى علياً -: أى الناس خيرٌ بعد رسول الله ﷺ؟

قال: أبو بكر: قلتُ: ثم مَنْ؟ قال: ثم عُمر، وخشيتُ أن يقول عثمان، قلت: ثم أنت؟ قال: ما أنا إلا رجلٌ من المسلمين[(١)].

وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال:

كنا نتحدث على عهد رسول الله ﷺ أن خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، فيبلغ النبى ﷺ ذلك فلا ينكره[(٢)].

وفى لفظ آخر: كنا نُخير بين الناس فى زمن النبى ﷺ فنُخيِّرُ أبا بكر، ثم عمر بن الخطاب ثم عثمان بن عفان رضى الله عنهم[(٣)].

ويقول على بن أبى طالب رضى الله عنه:

«قبض رسول الله ﷺ على خير ما قبض عليه نبى من الأنبياء، ثم إستخلف أبو بكر فعمل بعمل رسول الله ﷺ وبسنته، ثم قبض أبو بكر على خير ما قبض عليه أحد، وكان خير هذه الأمة بعد نبيها، ثم استخلف عمر فعمل بعملهما وسنتهما، ثم قبض على خير ما قبض عليه أحدٌ، وكان خير هذه الأمة بعد نبيها، وبعد أبى بكر»[(٤)].

وفى لفظ: قيل لعلى بن أبى طالب: ألا تستخلف علينا؟ قال: ما استخلف رسول الله ﷺ فاستخلف، "ولكن إن يزد الله بالناس خيراً، فسيجمعهم بعدى على

---

(١) **إسناده صحيح**. أخرجه البخارى (٣٦٧١)، وابن ماجه (١٠٦)، وأحمد (١/ ١١٠، ١١٣، ١١٤، ١١٥، ١٢٦)، وابن أبى شيبة (٨/ ٤٧٥، ٤٧٧) فى مصنفه، وأبو داود (٤٦٢٩)، وابن أبى عاصم(١٢٠١)،(١٢٠٢)، (١٢١٤)، والتيمى (٢/ ٣٤٤) فى الحجة.

(٢) **إسناده صحيح**. أخرجه ابن أبى عاصم(١١٩٣)، (١١٩٦)، والتيمى (٣٢٩) فى الحجة، وغيرهما.

(٣) **إسناده صحيح**. أخرجه البخارى (٣٦٥٥)، (٣٦٩٧)، وأبو داود (٤٦٢٨)، والترمذى (٣٦٩٧)، وابن أبى عاصم (١١٩٢) فى السنة، وأبو نعيم (٧٣) فى تثبيت الإمامة.

(٤) **إسناده حسن والخبر صحيح**. أخرجه ابن أبى شيبة (٨/ ٥٧٤) فى مصنفه، وفيه ابن سلع، وهو صدوقٌ، وأخرجه به أحمد(١/ ١٢٨)، وابن عساكر (٥٣/ ٢٢٠) فى تاريخه.

خيرهم كما جمعهم بعد نبيهم على خيرهم[1].

فعليٌّ رضى الله عنه يجزم فى هذا الخبر بخيرية الصديق رضى الله عنه وتفرده بتلك الخيرية بعد وفاة النبى ﷺ.

وهذا من أكبر الدلائل والبراهين على تقديم الصحابة كلهم للصديق، وعلى رأسهم على بن أبى طالب رضى الله عنهم أجمعين.

وقد سمع عليٌّ رضى الله عنه فى خلافته بأناسٍ يفضلونه على أبى بكر وعمر، فقام بذمهم ذماً شديداً، بل أعلن أنه سيقيم حد المفترى على من يسمعه يتلفظ بتلك المقالة القبيحة.

ويقول علقمة رحمه الله: بلغ علياً رضى الله عنه أن أقواماً يفضلونه على أبى بكر وعمر، فصعد المنبر، فحمد الله، وأثنى عليه، ثم قال:

أيها الناس، إنه بلغنى أن قوماً يفضلونى على أبى بكر، وعمر، ولو كنت تقدمت فيه لعاقبت منه، فمن سمعته بعد اليوم يقول هذا فهو مفتر، عليه حدّ المفترى.

ثم قال: إنّ خير هذه الأمة بعد نبيها: أبو بكر، ثم عمر، ثم الله أعلم بالخير بعد.

قال علقمة: وفى المجلس الحسن بن على رضى الله عنه فقال:

والله لو سمّى الثالث لسمّى عثمان[2].

وكان ابن مسعود رضى الله عنه يقول:

ما رأى المسلمون حسناً فهو عند الله حسن، وما رآه المسلمون سيئاً فهو عند الله سيىء، وقد رأى الصحابة جميعاً أن يستخلفوا أبا بكر رضى الله عنه[3].

فالصحابة رضى الله عنهم أجمعوا، وإجماعهم لا يكون على ضلالةٍ أبداً.

---

(١) خبرٌ صحيح. أخرجه الحاكم (٣/ ٧٩) وصححه، وأقره الذهبى.

(٢) خبرٌ صحيحٌ. أخرجه التيمى (٣٢٧) فى الحجة من طريق ابن أبى عروبة عن ابن المعتمر عن إبراهيم عن علقمة، وأخرجه ابن أبى عاصم(١٢١٩) فى السنة من طريقٍ آخر، وأحمد (٤٨٤) فى الفضائل، والبيهقى (ص/ ٣٦١) فى الاعتقاد فيه أبو معشر من الضعفاء.

(٣) إسناده حسن. أخرجه الحاكم(٣/ ٧٨ ـ ٧٩) وصححه، وأقره الذهبى، فيه عاصم، وهو صدوقٌ.

اقرأ فى الصفحات التالية

الفصل الثامن

[١] ثناء التابعين وتابعيهم عن الصديق.

[٢] سن الصديق عند وفاته.

[٣] خاتمة فى العظات والعبر من حياة أبى بكر الصديق.

(١) ثناء التابعين وتابعيهم عن الصديق

قال عامر الشعبى رحمه الله: عن مسروق بن الأجدع رحمه الله قال:

«حب أبى بكر وعمر بن الخطاب، ومعرفة فضلهما من السنة»[١].

فالسنة التى كان عليها أصحاب النبى ﷺ هى تقديم الصديق والفاروق، وحبهما، وإنزالهما منزلتهما التى استحقاها لما قدما فى نصرة الإسلام والمسلمين.

ويرشدنا الربيع بن أنس إلى قدر النفع الذى اتصف به الصديق أينما تواجد، فيقول:

«أبو بكر مثل القطر حيثما وقع نفع»[٢].

فالمطر ينفع العباد، والبلاد، والشجر، والدواب، وكذلك كان أبو بكر ينتفع من ورائه فى سائر شئون حياة المسلمين.

وقد كان سلفنا الصالح يعرفون لأبى بكر فضله، ويقدرونه حق قدره، ويُعودون أولادهم على معرفة ذلك الفضل.

يروى مالك بن أنس رحمه الله فيقول:

«كان السلف الصالح يعلمون أولادهم حبّ أبى بكر، وعمر كما يعلمون السورة من القرآن»[٣].

---

(١) **إسناده صحيحٌ**. أخرجه ابن أبى شيبة (٨/ ٤٧٢) فى مصنفه عن الشعبى، والتيمى (٢/ ٣٣٧) فى الحجة عن مسروق.

(٢) إسناده قابل للتحسين. أخرجه ابن أبى شيبة (٨/ ٤٧٣).

(٣) **إسناده حسن**. أخرجه ابن الجوزى (ص/ ٣٦)، والتيمى (٢/ ٣٣٨) فى الحجة.

فهلا اتصفنا بما اتصف به سلفنا الصالح؟

وهلا تخلقنا بأخلاقهم الكريمة، وتعلمنا منهم توقير أصحاب نبينا ﷺ؟

ويروى أبو حازم الزاهد عن على بن الحسين رحمه الله، فيقول:

ما رأيتُ هاشمياً أفقه من على بن الحسين، سمعت على بن الحسين يقول، وهو يسأل: كيف منزلة أبى بكر وعمر عند رسول الله ﷺ؟

فأشار بيده إلى القبر، ثم قال:

كمنزلتهما منه الساعة، هما ضجيعاه[1].

فما أدقها من إجابة تبين بجلاء منزلة الصديق، والفاروق رضى الله عنهما من النبى ﷺ، فمنزلتهما مِن النبى ﷺ كمنزلتهما منه الساعة فى القبر.

ومن حكمة الله تعالى أن يكون الصديق فى قبرة أقرب إلى النبى ﷺ، دلالة وعلامة على قُربه منه فى الحياة، وبعد الممات.

فكان النبى يجلس ومعه أبو بكر وعمر، ويذهب ومعه أبو بكر وعمر، ويدخل ثم من بعده الصديق، والفاروق، وهكذا كانوا بعد الموت.

ويقول مالك بن أنس رحمه الله: قال لى هارون الرشيد:

يا مالك، صف لى قرب أبى بكر، وعمر من النبى ﷺ؟

فقلت له: يا أمير المؤمنين، قربهما منه فى حياته، كقربهما منه فى وفاته.

فقال هارون الرشيد: شفيتنى يا مالك[2].

قلت: وقد علمنا فيما سبق أن قبر أبى بكر أقرب إلى النبى ﷺ من قبر عمر فقبر أبى بكر عند رأسه، ورأس عمر عند رجل النبى ﷺ.

وهذا يطابق الواقع، فقد كان الصديق فى حياته أقرب إلى حب النبى وقلبه من عمر، وإن كان عمر رضى الله عنه يليه فى الفضل، والقُرب له مقام وقدر معلوم.

ويكفى الصديق منقبة قتاله للمرتدين، كما قال ابن الأهتم لعمر بن عبد

---

(١) **إسناده حسن**. وأخرجه البيهقى (ص/ ٣٦٢) فى الاعتقاد، وابن الجوزى (ص/ ٣٩) فى المناقب، والتيمى (٢/ ٣٥٠) فى الحجة.

(٢) **إسناده صحيح**. أخرجه ابن الجوزى (ص/ ٣٩) فى مناقب عمر، والتيمى (٢/ ٣٣٥) فى الحجة.

العزيز: إن أبا بكر الصديق قام بعد رسول الله ﷺ، فدعا إلى سنته، ومضى على سبيله، فارتدت العرب، أو من ارتد منهم، فعرضوا أن يقيموا الصلاة، ولا يؤتوا الزكاة، فأبى أن يقبل منهم إلا ما كان رسول الله ﷺ قابلاً فى حياته.

فانتزع السيوف من أغمادها، وأوقد النيران فى شعلها، وركب بأهل حق الله أكتاف أهل الباطل، حتى قررهم بالذى نفروا منه، وأدخلهم من الباب الذى خرجوا منه، حتى قبضه الله إليه، فرضى الله عنه وأرضاه(١).

وعمر رضى الله عنه كان يُدرك أن أبا بكر أقرب منه، وأحب إلى النبى ﷺ، ولذا تروى أم المؤمنين رضى الله عنها عن عمر رضى الله عنه أنه قال:

«كان أبو بكر سيدنا، وخيرنا، وأحبنا إلى رسول الله ﷺ»(٢).

فأبو بكر الصديق أفضل الصحابة - رضى الله عنهم - وخيرهم بإجماع الصحابة والتابعين، وأئمة المسلمين، وسائر أهل الأمصار.

ولذا بايعوه، وانقادوا له، وأقروا له بالفضل، وكان أفضلهم فى الخصال التى يستحق بها الإمامة من العلم، والزهد، وقوة الرأى، وسياسة الأمة لما فيه خير الإسلام والمسلمين.

ويقرر أبو عبد الله الشافعى رحمه الله منزلة أبى بكر، وتقديمه على غيره من الصحب الكرام، فيقول رحمه الله:

أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ: أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم على، رضى الله عنهم.

واضطر الناس بعد رسول الله ﷺ إلى أبى بكر، فلم يجدوا تحت أديم السماء خيراً من أبى بكر، من أجل ذلك استعملوه على رقاب الناس.

وأجمع الناس على خلافة أبى بكر، واستخلف أبو بكر، ثم جعل عمر الشورى إلى ستة، على أن يُولُّوها واحداً، فولوها عثمان رضى الله عنهم أجمعين(٣).

---

(١) الاعتقاد (ص/ ٣٤٥) للبيهقى.

(٢) **إسناده صحيح**: أخرجه الترمذى (٣٦٥٦)، وابن حبان (٦٨٢٣)، والحاكم (٣/ ٦٦) وصححه وأقره الذهبى.

(٣) **إسناده صحيح**. أخرجه البيهقى (١/ ٤٣٣، ٤٣٤) فى «مناقب الشافعى».

(٢) سنُّ الصديق عند وفاته

اتضح لنا مما سبق أن أبا بكر - رضى الله عنه - تُوفى لثمانى ليالٍ بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشْرة من الهجرة النبوية.

وقد استكمل الصديق بخلافته سن رسول الله ﷺ، فتوفى عن سن ثلاثٍ وستين سنة.

قال جرير بن عبد الله رضى الله عنه:

كنتُ عند معاوية بن أبى سفيان فقال: توفِّىَ النبى ﷺ وهو ابنُ ثلاث وستين سنة، وتوفى أبو بكر وهو ابن ثلاث وستين سنة، وقتل عمر وهو ابن ثلاث وستين سنة[١].

وقد كان أبو بكر من أسن أصحاب النبى ﷺ رضى الله عنه، وقد قال أنس ابن مالك بمثل الذى رواه معاوية رضى الله عنهما[٢].

فمن الحكم الجديرة بالتفكر أن تنتهى حياة الصديق، ورفيقه الفاروق عند نفس الحد، والقدر الذى توفى عنده النبى ﷺ.

ويقول أبو إسحاق السبيعى رحمه الله:

كنتُ جالساً مع عبد الله بن عتبة، فذكروا سنى رسول الله ﷺ فقال بعض القوم: كان أبو بكر أكبر من رسول الله ﷺ.

قال عبد الله بن عتبة: قُبض رسول الله ﷺ وهو ابن ثلاث وستين، ومات أبو بكر، وهو ابن ثلاث وستين، وقُتل عمر، وهو ابن ثلاثٍ وستين.

قال: فقال رجلٌ من القوم، يقال له عامر بن سعد: حدثنا جرير قال:

كنا قعوداً عند معاوية بن أبى سفيان فذكروا سنى رسول الله ﷺ، فقال معاوية: قبض رسول الله ﷺ وهو ابن ثلاث وستين سنة، ومات أبو بكر وهو ابن ثلاث وستين، وقُتل عمر، وهو ابن ثلاث وستين[٣].

---

(١) **إسناده صحيح**. أخرجه البخارى فى التاريخ الصغير (١/ ٣٠)، وابن سعد (٣/ ٢٠٢)، والطبرى (٣/ ٤٢٠).

(٢) **إسناده صحيح**. وأخرجه البخارى (١/ ٣١)، ومسلم (٢٣٤٨).

(٣) **إسناده صحيح**. أخرجه مسلم(٢٣٥٢)، وأحمد(٤/ ٩٦، ٩٧، ١٠٠)، والترمذى(٣٧٣٣).

(٣) خاتمة

فى العظات والعبر من حياة الصديق

هكذا انتهى حديثنا عن صديق الأمة، الذى كان أول الناس إسلاماً، وأخلصهم إيماناً، وأشدهم يقيناً، وأخوفهم لله، وأعظمهم غناء، وأدفعهم عن الإسلام ورسوله ﷺ، وأحسنهم صحبة، وأفضلهم مناقب، وأكثرهم سوابق، وأرفعهم درجة، وأقربهم من رسول الله ﷺ، وأشبههم به هدياً، وخلقاً، وسمتاً، وأوثقهم عنده، وأشرفهم منزلة، وأكرمهم عليه منزلة، فجزاه الله عن الإسلام، وعن رسوله ﷺ، وعن المسلمين خيراً.

فقد صدّق رسول الله ﷺ حين كذبه الناس، فسُمّى الصديق، وصحبه فى الهجرة فاستحق ذكره فى القرآن، وخلّفه فى أمته بأحسن الخلافة حين أرتد الناس، فقام بدين الله أحسن قيام.

وكان رضى الله عنه أقلهم كلاماً، وأصوبهم منطقاً، وأطولهم صمتاً، وأبلغهم قولاً، وأشجعهم قلباً، وأشدهم يقيناً، وأحسنهم عملاً، وأعرفهم بالأمور.

وكان قوياً فى أمر الله، متواضعاً، جليلاً عند المسلمين، لم يكن لأحد فيه مهمز، ولا لقائل فيه مغمز، ولا فيه مطمع لأحد.

كان الضعيف الذليل عنده قوياً حتى يأخذ له بحقه، والقوى العزيز عنده ذليلاً حتى يؤخذ منه الحق، والقريب والبعيد عنده فى الحق سواء.

وكان له على المؤمنين رأفة ورحمة، وعلى الكافرين غلظة وقسوة.

فألحقه الله تعالى بنبيه، ولا حرمنا الله أجره، ولا أضلنا بعده.

ويستطيع المرءُ المسلم استخلاص العظات والعبر التالية من حياة وسيرة أبى بكر الصديق رضى الله عنه وأرضاه، وأسكنه فسيح جناه.

[١] حبُّ الإسلام، والمسارعة إلى نصرته، وإعلاء شأنه.

[٢] المسابقة فى الخيرات، والتنافس فى الباقيات الصالحات.

[٣] الزهد فى الدنيا، والرغبة فى الآخرة.

[٤] التواضع والرحمة فى معاملة المؤمنين، والغلظة على المنافقين، والشدة فى قتال الكافرين.

[٥] الخوف من عقاب الله تعالى، والرجاء وحسن الظن بعفوه ورحمته.

[٦] الإمارة والحكم أمانة، وتكون يوم القيامة حسرة وندامة إلا لَمَنْ أداها بأمانة.

[٧] حرص الحاكم المسلم على الاهتمام برعيته اهتمامًا شديداً.

[٨] الجود والسخاء، والبذل والعطاء، والشجاعة والفداء.

[٩] صدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، والعفة وحسن الديانة.

[١٠] الشدة فى مواطن الشدة مكرمة، واللين والرقة فى مواطن اللين منقبة.

وأخيراً...

فرحم الله أبا بكر الصديق رحمة واسعة، وجزاه أفضل الجزاء عما قدمه لدينه وأمته وهنيئاً لك أبا عائش، فى أعلى عليين، مع النبيين، والصديقين، والشهداء، والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً.

وسلامٌ على الصادقين، والحمد لله رب العالمين.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

تم الكتاب والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات

الفهرس

الموضوع	رقم الصفحة
الفصل الأول:	
[١] تقديم	٥
[٢] بين يدى الكتاب	٦
[٣] تعريف الصحابى وشروط الصحبة	١٠
[٤] بيان عدالة الصحابة جميعًا	١٢
[٥] واجبنا نحو الصحابة الكرام	١٤
[٦] حكم من انتقص أحدًا من الصحابة	١٦
[٧] التفاضل بين الصحابة الكرام	١٨
[٨] كيفية معرفة الصحابة	١٩
[٩] منهج العمل فى الكتاب	٢١
الفصل الثانى:	
[١] اسمه ونسبه العريق	٢٧
[٢] مولده وأسرته	٢٩
[٣] صفة أبى بكر الخلقية	٣١
[٤] نبذة عن حياته قبل الإسلام	٣٢
[٥] أولية إسلام أبى بكر الصديق	٣٥
[٦] مناقب أبى بكر الصديق وفضائله	
[١] الرفيق والخليل للنبى ﷺ	٤٠
[٢] الأمر بسد الأبواب إلا باب أبى بكر	٤٣
الفصل الثالث:	
[٣] حرص الرسول ﷺ على ذكره بالفضل	٤٧
[٤] الملقب بالصديق فى الأمة الإسلامية	٥٠
[٥] صلاة الصديق إمامًا فى العهد النبوى	٥١
[٦] الصديق صاحب صنيعة عظيمة	٥٥
[٧] الصديق أحب الناس إلى النبى ﷺ	٥٦
[٨] تزكية الرسول ﷺ للصديق	٥٨
[٩] دعوة الأمة الإسلامية للاقتداء به	٦٣
[١٠] ثقة الرسول ﷺ بالصديق لإيمانه	٦٥
[١١] الصديق بمنزلة السمع والبصر للأمة الإسلامية	٦٩
[١٢] الصديق أعلم الصحابة بحال النبى ﷺ	٧٠
[١٣] أول العشرة الذين يدخلون الجنة من الأمة	٧١
[١٤] سيد كهول أهل الجنة	٧٣
الفصل الرابع	
[٧] الرفيق فى الهجرة الشريفة	٧٥
[٨] ثبات الصديق عند وفاة النبى ﷺ	٧٩
الفصل الخامس:	
[١] استخلاف أبى بكر الصديق فى السقيفة	٨٧
[٢] مبايعة على بن أبى طالب للصديق	٩٨
[٣] البيعة العامة لأبى بكر الصديق فى المسجد النبوى	١٠٦
[٤] صفة بيعة الصحابة للصديق	١٠٨

الموضوع	رقم الصفحة



الفهارس العلمية

١ ـ فهرس الموضوعات [وقد سبق]

٢ ـ فهرس الآيات القرآنية.

٣ ـ فهرس الأحاديث النبوية.

٤ ـ فهرس الآثار السلفية.



٢ ـ فهرس الآيات القرآنية مرتبة أبجدياً

الآيـة	اسم السورة	رقم الآية	رقم الصفحة بالكتاب
﴿أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله﴾.	غافر	٢٨	١٣٥
﴿إذ يقول لصاحبه لا تحزن﴾	التوبة	٤٠	٩٧
﴿أكرمى مثواه عسى أن ينفعنا....﴾	يوسف	٢١	١٩١
﴿إن الله معنا﴾	التوبة	٤٠	٩٧
﴿إنك ميت وإنهم ميتون﴾	الزمر	٣٠	٩٦/٨٣
﴿ثانى اثنين إذ هما فى الغار﴾	التوبة	٤١	٩٧/٤٠
﴿جاءت سكرة الموت بالحق...﴾	ق	١٩	١٨٨
﴿خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم﴾	التوبة	١٠٥	١١٥
﴿الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح﴾	آل عمران	١٧٢	١٥١
﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس....﴾	آل عمران	١١٠	١٢
﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم﴾	التوبة	١٢٨	١٢١
﴿لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة﴾	الأحزاب	٢١	٦
﴿ليغيظ بهم الكفار﴾	الفتح	٢٩	١٦
﴿محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار... أجراً عظيما﴾	الفتح	٢٩	٧
﴿من يعمل سوءا يجز به﴾	النساء	١٢٣	١٥٧
﴿والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا...﴾	الحشر	١٠	١٤

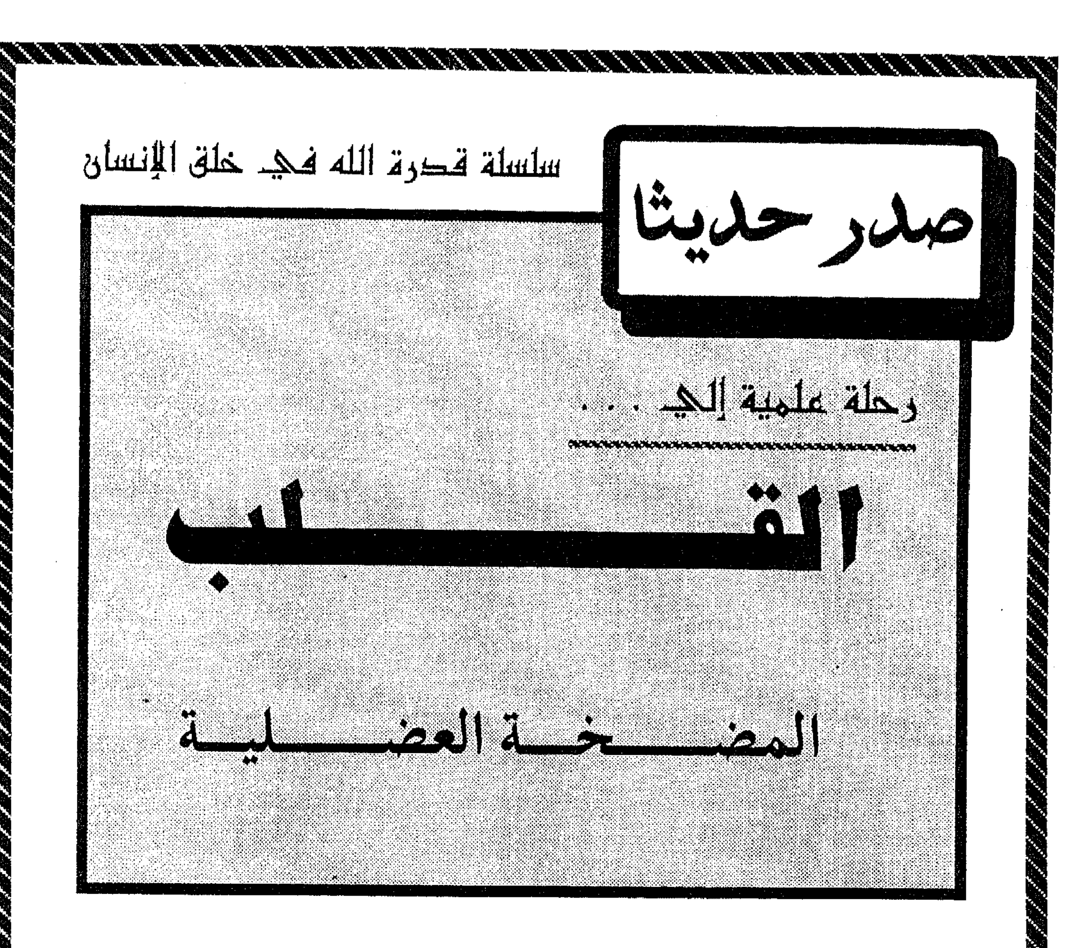
الآيـة	اسم السورة	رقم الآية	رقم الصفحة بالكتاب
﴿والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار...﴾	التوبة	١٠٠	٧
﴿وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض.... المحسنين﴾	آل عمران	١٣٣ ـ١٣٤	١٤٤
﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطًا....﴾	البقرة	١٤٣	١٢
﴿وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل....﴾	آل عمران	١٤٤	٧٩/ ٨٢/ ٨٣/ ٨٧
﴿لا يستوى منكم من أنفق قبل الفتح وقاتل....﴾	الحديد	١٠	٧
﴿يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوى الأمين﴾	القصص	٢٦	١٩١/ ١٩٢/ ١٩٣
﴿يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم....﴾	المائدة	١٠٥	١٤٢/ ١٤٣
﴿يوم لا يخزى الله النبى والذين آمنوا معه...﴾	التحريم	٨	٨

٣ ـ فهرس أطراف الأحاديث النبوية

طرف الحديث النبوى	الراوى	رقم الصفحة بالكتاب
مروا بلالاً فليؤذن.	-	٩٥
معى رجلان أبو بكر وبلال.	عمرو بن عبسة	٣٥
من أنفق زوجين.	أبو هريرة	٥٨
من جر ثوبه خيلاء.	ابن عمر	١٥٢
من قتل قتيلاً له عليه بينة.	أبو قتادة	١٦٧
من يذهب فى إثرهم.	عائشة	١٥١
الناس تبع قريش.	جابر بن عبد الله	٩٢
هذان سيدا كهول أهل الجنة.	جابر بن عبد الله	٧٣
هل فيكم أحد أصبح اليوم صائمًا.	عبد الرحمن بن أبى بكر	١٣٠
والذى نفسى بيده لو أنفق أحدكم.	أبو سعيد الخدرى	٧
لا نورث ما تركناه صدقة.	عائشة	١٠٠
لا يجمع الله عليك موتتين.	عائشة	٨٠
لا يزال هذا الأمر فى قريش.	ابن عمر	٩٢
يأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر.	عائشة	٥٣
يا أبا بكر ألست تمرض؟	أبو بكر الصديق	١٥٧
يا أبا بكر ثلاث كلهم.	أبو هريرة	١٤٤
يا أبا بكر لعلك أغضبتهم؟	عائذ بن عمرو	١٥٥
يا عائشة كيف رأيت؟	النعمان بن بشير	١٣٦
يغفر الله لك يا أبا بكر	أبو الدرداء	٤٧

٤ ـ فهرس الآثار السلفية

طرف الأثر	الراوى	رقم النص بالكتاب
إن أبا بكر نحلها.	عائشة	١٧٠
إن الله قسم الأعمال.	مالك	٦٢
إن خير هذه الأمة بعد نبيها.	على بن أبى طالب.	٢٠٠
إن رجلا شتم أبا بكر.	جابر بن عبد الله	١٤٤
إن عمر اطلع على أبى بكر.	أسلم	١٣٩
إن فاطمة أرسلت إلى أبى بكر.	عائشة	١٠٠
إن كان الريان علمًا.	إبراهيم الحربى	٥٩
إن هذا أوردنى الموارد.	أبو بكر	١٣٩
إنه قدم علينا برأس يناق.	معاوية بن حديج	١٨٤
أول من أسلم من الناس.	ابن عباس/ زيد بن أرقم	٣٦
أول من جمع بين اللوحين.	صعصعة بن صوحان	١٢٢
أول من صلى.	إبراهيم النخعى	٣٧
بعث أبو بكر جيشاً.	قيس بن أبى حازم	١٥٣
بعث إلىَّ أبو بكر.	زيد بن ثابت	١٢٠
بلى لعمرى لأحلبنها لكم.	أبو بكر	١٥٤
بلى والله إنه لخيرنا.	الحسن البصرى	١٨٣
بينا النبى يصلى فى حجر الكعبة.	عبد الله بن عمرو	١٣٥
بينما رأسه ذات يوم على منكبى.	عائشة	٨٢
تكلمى فإن هذا لا يحل.	أبو بكر	١٤٠
توفى أبو بكر ولم يترك ديناراً	عائشة	١٥٩
توفى رسول الله فنزل بأبى بكر.	عائشة	/١٩١/١١١ ١٩٣/١٩٢
جهزناهم وشيعناهم.	أبو بكر	١٥٤
حب أبى بكر ومعرفة فضله.	مسروق	٢٠١
حب أصحاب النبى كلهم سنة.	قبيصة بن عقبة	١٤
خاف الصديق أن يتأول الناس.	أبو عبيدة	١٤٣



بقلم

حسام العقاد

دار الصحابة للتراث بطنطا







صدر حديثاً

صحيح التوثيق في ..

سيرة وحياة الفاروق

عمر بن الخطاب رضي الله عنه

تأليف

مجدي فتحي السيد